قصتى مع .....

إحسان عبد القدوس

● د. غـالى شـكرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عملت عـاماً واحـداً فى دار « روز اليوسف » هـو العـام ١٩٥٧ . وكنت فى الثانية والعشرين من عمرى حين توجهت إلى مكتب أحمد بهاء الـدين رئيس تحريـر المجلة الجـديدة حينذاك « صباح الخير » ، وقدمت إليه بعضاً من كتـاباتى المنشورة وغير المنشورة . وبدأت أعرض كتاباً جديداً فى باب « عصير الكتب » . وقد فوجئت بالجو الذى يسـود دار روز اليوسف ، لأول وهلة تقـول إنها الفـوضى . ولكنك سـرعان ما تكتشف أنها المحبـة والألفة والـروح العائليـة والأحلام والمعاناة المشتركة والبحث عن مستقبل . فى دار روز اليوسف تعرفت على أقدم زملائى فى الصحافة المصرية ، بالرغم من أننى لم أستمـر فى العمل معهم . واستمـرت علاقتى بهم ، كمجمـوعات لا كـأفراد ، لأننى لم أر أيّهم بمفـرده . حتى لحظات الكتابة والرسم كنت أراهم مجتمعين لا منفردين . هل من المعقول أن تكون هناك مدينة فاضلة فى الصحافة ؟ وكنت أكتشف الفروق فى الميول والتكوين والأخلاق وأندهش بينى وبين نفسى متسائلاً ما ومن الذى يجمع هذا الشتات ؟ كانت « كلمـة السر » هى إحسـان عبـد القـدوس ، مغنـاطيس المواهب ، ملك الشباب ، روح التجديد ! أوصاف لا نهاية لها للمايسترو الذى يقود هذه « الكتيبة » المقاتلة دون أن يقف فى المقدمة أوفى الوسط . إنه فى الظاهر « واحد » بين كثيرين . أصغر محرر أو أحدث رسام يشعر أنه صـاحب البيت . لم يحدث قط أن ضبط إحسان فى حالة تلبس « بالرئاسة » . لم يكن رئيساً قط أو مالكاً . كان واحداً من أفراد هذه الفرقة . وجزء كبير من نجاح روز اليوسف فى أصعب الأوقات أن كل صحفى وكل عامل فيها كان على يقين من أنه شريك حقيقى فيها .

كـان إحسان يكـره « المحترفـين » ومن يدعـوهم الناس « نجـوماً » . وكـان فى حالـة بحث دائم عن « الهواة » من أصحاب المواهب والأحـلام والمشاريـع . لذلـك كانت « روز اليـوسف » مجلة الـرأى الأولى ، الرأى بـالكلمـة والـرأى بالكاريكاتير والرأى بالنكتة والرأى بـالقصة . كـان الجميع أصحاب آراء . لذلك كانت روز اليوسف أيضاً أشجـع منبر صحفى فى مصر ، أيام الملك وأيام الثورة على السواء . وكانت أضعف مرتبات تلك التى يتقاضاها « أهل روز اليوسف » . كان الجميع فقراء ، ولكنهم أكثر الصحفيين سعادة ، لأنهم يقولون آراءهم ، يكتبونها ويرسمونها بشجاعة . هذه الحرية هى التى أثمرت أكبر الرسامين والكتاب والمحررين . وقد دخل أغلبهم السجون على دفعات ، وفى مقدمتهم إحسان نفسه . وكانوا يخرجون من بوابة المعتقل ويتوجهون إلى روز اليوسف قبل الذهاب إلى بيوتهم .

ولم أر إحسان عبد القدوس خلال العام الذى أمضيته فى روزاليوسف وكان على أن أختار بين التعليم والصحافة . وبين عامى ١٩٥٨ و ١٩٦٠ أكببت على أول مؤلفاتى النقدية ، وهو كتاب « أزمة الجنس فى القصة العربية » . كان الجنس وما يزال أحد أهم المحاور فى الأدب العربى الحديث . أحياناً كانت العلاقة بين الرجل والمرأة هى التى تجذب قلم الكاتب إلى هذه الدائرة النفسية الجسدية المحفوفة بالمخاطر . وأحياناً أخرى كان مفهوم الجنس يوجز رؤية اجتماعية أو فلسفية للأديب ، كأن يستكشف مدى التخلف أو التقدم فى المجتمع أو الطبقة أو البيئة ، أو أنه يستشرف معانى الوجود والعدم والطبيعة وما وراء الطبيعة .

وكانت الفلسفتان الوجودية والماركسية تتصارعان على الساحة الفكرية العربية ، وبيروت هى المطبعة الكبرى التى تترجم وتنشر أعمال سارتر وسيمون دى مفوار وكولن ولسن وماركس وإنجلز ولينين وجرامشى وكورش . وكانت عناوين « الجنس الآخر » « الثورة الجنسية » أو « الجنس والصراع الطبقى » وما يشبه ذلك ، هى العناوين الرائجة .

وكانت هناك ليلى بعلبكى فى لبنان ، وكوليت خورى فى سوريا ، وصوفى عبد الله فى مصر ، يكتبن أدباً صريحاً فى تعرية مشاعر المرأة والرجل . ولم تكن غادة السمان قد حققت بعد إنجازاتها الرفيعة .

وأخيراً وضعت أمامى هذا السؤال : كيف الأديب العربى المعاصر العلاقة بين الرجل والمرأة ؟ كنت قد طالعت تفصيلاً لمحاكمة د . هـ . لورانس حول روايته « عشيق الليدى تشاترلى » . وأتيح لى أن أقرأ ملفاً أكاديمياً حول رواية فلوبير « مدام بوفارى » وما أثارته من ردود فعل صاخبة عند ظهورها . وهو ما جرى لإحسان عبد القدوس عندما بدأ ينشر أعماله على نطاق واسع . ولكنى أثناء البحث أكتشف أن إحسان لم يكن وحده الذى يعالج الجنس على نحو صريح ومكثف ، فقد كان نجيب محفوظ ومحمود البدوى ويحيى حقى وسهيل إدريس ويوسف إدريس يتناولون علاقة الرجل بالمرأة من زوايا مختلفة وبدرجات متباينة من الجرأة .

وفى عام ١٩٦٠ كنت قد أنجزت جانباً كبيراً من كتابى « أزمة الجنس فى القصة العربية » الذى يتضمن فصلاً عنوانه « الرجل والمرأة وإحسان ثالثهما » . ثم دخلت السجن السياسى فى العام نفسه . وقد استكملت بعض فصول الكتاب داخل السجن وبعضها حين خرجت فى أواخر ١٩٦٢ . وتصادف وجود الدكتور سهيل إدريس صاحب « الآداب » فى القاهرة حينذاك فبادر إلى نشر الكتاب وإصداره فى الأسبوع الأخير من نهاية ذلك العام .

وأرسلت نسخة فى يناير ١٩٦٣ إلى كل من كتبت عنهم ، ومن بينهم ـــ طبعاً ـــ إحسان عبد القدوس . وبالرغم من أن الكتاب قد اسْتُقْبِل من القراء والنقاد على السواء بحفاوة كبيرة فإن إحسان كتب فى « خواطره » تعليقاً حاداً ضد النقد والنقاد وضد الكاتب والكتاب . ولم أغضب . ولكنى كنت تقدمت بكتابى إلى جائزة الدولة التشجيعية التى ينظمها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . وهذا هو السر الذى دفعنى إلى أن أطلب من الناشر أن يسرع بإصدار الكتاب قبل نهاية ديسمبر ١٩٦٢ حتى أتمكن من تقديمه للمسابقة . وكان الناقد الراحل أنور المعداوى هو الذى أصر أن أتقدم للجائزة ، وقد كتب أيامها مقالاً مطولاً فى مجلة « أدب » اللبنانية التى يرأس تحريرها يوسف الخال ، يشيد بالكتاب . وقد ضم هذا المقال إلى كتابه « كلمات فى الأدب » قبل وفاته بوقت قصير . ولكنى فوجئت بلويس عوض يقول لى : إن طه حسين ، وهو رئيس لجنة التحكيم ، قد سأله عما إذا كنت لبنانياً ، أو من أصل لبنانى . وأجابه لويس عوض بأننى مصرى وعائلتى من الصعيد ، ولكنى أكتب كثيراً فى لبنان . وحدّد لى طه حسين موعداً لمقابلته . كان بين أعضاء اللجنة محمد مندور وسهير القلماوى ، وقد كتبا تقريرين إيجابيين عن الكتاب . قال لى طه حسين : حسبتك لبنانياً فقد قيل لى ذلك . وعلى أية حال فمنافسك على الجائزة هو بمثابة الأستاذ لك ، وأيضاً هو تلميذى صقر خفاجة . وكتابك جيد . لذلك انتظر إلى العام المقبل ، فلن نسجل كتابك بين الأعمال التى تقدمت هذا العام ولم يكن لدىّ ما أقوله فى حضرة العميد الذى توثقت علاقتى به بعدئذ . ولم أتقدم بالكتاب ولا بغيره مرة أخرى إلى أية مسابقة أو جائزة . ولكن المفاجأة التى كانت تنتظرنى بعد سنوات عديدة هى أن كاتباً صديقاً لإحسان عبد القدوس هو الذى قال لطه حسين إننى لبنانى حتى يحرمنى من حق التقدم إلى الجائزة . كان يخشى من أننى لو فزت بها لكان ذلك يعنى موافقة ضمنية من أكبر نقاد مصر على رأيى فى أدب إحسان عبد القدوس .

ماذا رأيت فى هذا الأدب حتى يصل الأمر إلى هذا الحد ؟ يجب أوّلاً أن أشير إلى أن أحداً من النقاد لم يسبقنى إلى دراسة أدب إحسان بمثل هذه الجدِّية . لم تكن هناك أكثر من تعليقات صحفية أقرب إلى المجاملات أو المشاغبات . ولكن ما يسمى « النقد الجاد » لم يتعرض لإحسان . وقد رأيت أن هذا التجاهل ضار وغير موضوعى ، لأن إحسان ظاهرة اجتماعية إذا لم يكن ظاهرة أدبية ، فهو يتمتع بقاعدة عريضة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من القراء فى كل جيل ، وهى قاعدة من الشباب ، طلاب وطالبات المدارس الثانوية والجامعات . ومن الغريب أن يتجاهل النقد هذه القاعدة الهامة من جمهور إحسان ، فالنقد ليس حواراً مع الكاتب وحده ، بل هو فى المقام الأول حوار مع جمهور الكاتب . كان النقاد اليساريون يتجاهلونه غالباً لأسباب أيديولوجية ، وكان الآخرون يتجاهلونه إما لأسباب يظنونها أخلاقية أو لأسباب يقولون إنها فنية . فى جميع الأحوال كانت هناك ظاهرة « التجاهل » لا لإحسان وحده ، بل لقطاع كامل من الجيل الذى ينتمى إليه . ولذلك تصورت أن الاهتمام « الجاد » بأدب إحسان هو عمل إيجابى . ولكن الاهتمام شىء والتقيم شىء آخر . لقد وجدت فى رواية « أنا حرة » عملاً مهماً ، ولكنى وجدت فى أعمال أخرى رؤية سطحية للجنس وموقفاً تجريدياً من علاقة الرجل بالمرأة . ورأيت أن هذه العلاقة مبتورة السياق عن مجمل المشهد الإنسانى . ورأيت كذلك أن لغة إحسان قد أسهمت فى صياغة قصصه على نحو لا هو بالأدب ولا هو بالصحافة ولا هو بين بين .

وغضب إحسان غضباً شديداً ، لأنه كان يواجه لأول مرة نقداً مُفَصَّلاً موثقاً باستشهادات من النصوص .

وقام صديق مشترك بإعداد جلسة هى الأولى بينى وبين إحسان . وقد مضى الآن سبعة وعشرون عاماً على هذه الجلسة التى مازلت أذكر تفاصيلها لحظة فلحظة . ولكنى أوجزها فأقول إن إحسان كان رقيقاً بشوشاً ودوداً إلى أقصى مدى ، فلم يفتح الموضوع الذى التقينا من أجله ، بل فجأنى بقوله : لماذا تركت روز اليوسف بعد عام واحد ؟ وحين رويت له قصتى مع التعليم والسجن علّق قائلاً : « على أية حال لو أنك بقيت فى روزا لاعتقلوك عام ١٩٥٩ لا عام ١٩٦٠ . لقد وفرت سنة من السجن وقرناً من التعذيب » . كان يقصد أن التعذيب قد توقف بعد استشهاد شهدى عطية الشافعى عام ١٩٦٠ قبل تشريفى سجن القناطر الخيرية بشهرين فقط . وراح يسألنى عن الوضع المعيشى داخل السجن ، وعن أحوال الزملاء من كتّاب ورسامى روز اليوسف . وأخذ يبشرنى بإفراج جماعى قريب . وانتهت الجلسة وقد صرنا صديقين . يُرسل إلىّ مؤلفاته الجديدة بانتظام ، نتكلم أحياناً بالتليفون ، ونلتقى أحياناً فى مكتبه . وقد لاحظت أن إحسان ليس كما يتصوره الناس ، فهو اجتماعى فى حدود دار روزاليوسف أو البيت ، ولكنه ، لا يغشى السهرات ولا تستهويه الزحمة .

وكان « كلامنا » خلال السنوات الست الواقعة بين ١٩٦٣ و ١٩٧٠ حول قصة جديدة صدرت له أو فيلم مأخوذ عن إحدى رواياته أو معركة حول إحدى قصصه .

وكثيراً ما كان يرجع بذاكرته إلى الماضى ليروى لى حادثاً يدلل به على صدق ما يقول ، أو العكس يحاول أن « يتنبأ » بما سيحدث . لايقصد النبؤة بمعناها الحرفى ، ولكنه يجتهد فى رؤية المستقبل . كان يقول لى مثلاً إن أدبه قد جَرّ عليه ويلات لا تقل قسوة عن الويلات السياسية . ويحكى بألم شديد أنه اضطر ذات يوم لأن يكتب رسالة طويلة إلى جمال عبد الناصر يدفع فيها عن نفسه الاتهامات المزيفة التى كان يهمس بها البعض للرئيس حول « الإباحية » فى قصصه . وقد نقل إليه مسؤول كبير أن الرئيس معجب به غاية الإعجاب وأنه يحرص على مشاهدة أعماله السينمائية ، ولكنه يريد أن يعرف منه مباشرة أسرار الضجة المثارة حول إحدى رواياته . وقد كتب إحسان رسالته إلى الرئيس دون أن يتنازل عن حرف واحد مما كتب . شرح كيف يكتب . لذلك فهى رسالة تفيد الباحثين فى علم الجمال ، كما تفيد الباحثين عن العلاقة بين الأدب والسلطة . لقد كان جمال عبد الناصر بنفسه هو الذى أفرج عن كتاب « محمد رسول الحرية » للراحل عبد الرحمن الشرقاوى ، وهو الذى منع الآخرين من التعرض لنجيب محفوظ حين نشر « ثرثرة فوق النيل » . وهو أيضاً الذى تدخل لمنع الأذى عن إحسان حين كتب « أنف وثلاث عيون » و « البنات والصيف » . الأول عام ١٩٦٤ وبسببها تعرض عبد القادر حاتم لاستجواب فى مجلس الأمة طالب صاحبه بمنع إحسان من الكتابة ومنع قصصه من الإذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما . ولكن شيئاً من هذا لم يحدث . واتضح فيما بعد أن النائب صاحب الاستجواب لم يقرأ الرواية . أما مجموعة « البنات والصيف » التى نشرت عام ١٩٥٩ فقد كانت هى السبب فى « الهمسة » التى وصلت إلى الرئيس ، والرسالة التى كتبها إحسان إليه .

وبالرغم من تدخلات عبد الناصر إلى جانب إحسان ، فقد عكّرت الأجهزة صفو هذه العلاقة عديداً من المرات ، دخل فى إحداها السجن الحربى عام ١٩٥٤ ، وفى غيرها تجمّد نشاطه أكثر من مرة . وقد أهداه الرئيس وساماً رفيعاً ، ولكن المجلس الأعلى للفنون والآداب لم يمنحه جائزة الدولة إلى يوم وفاته . ولا تعليق ، إلا أن البرلمان الذى سمح باستجواب نائب لم يقرأ الرواية موضع الاستجواب ، ووزارة التعليم التى رفضت رواية « فى بيتنا رجل » بحجة أن صاحبها كاتب جنسى (وهى رواية سياسية تخلو كلياً من الجنس) ، والمجلس الأعلى الذى يدين بوجوده لإحسان عبد القدوس صاحب الفكرة ولا يمنحه جائزة ، يعنى أن للدولة فى مصر — على اختلاف العهود —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موقفاً سلبياً من إحسان عبد القدوس ، وأنه لولا الشعبية الكاسحة لمقالاته وروایاته وأفلامه لما استطاع أن يقاوم بمفرده .. فإحسان لم يكن حزبياً فى أى وقت ، ولم يكن وراءه أية جهة سياسية تسانده . حتى عندما جاء السادات إلى الحكم ، وهو الذى عاش بين نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات بفضل إحسان عبد القدوس محرراً فى دار الهلال ، قام بحبس الإبن الأكبر لإحسان . وقد توقع أن يتشفع الأب لولده . ولكن إحسان لم يفعل ، وظل مرفوع الرأس .

فى عام ١٩٦٩ اقترحت على إحسان أن « نتحاور علناً » فى مواجهة نقدية شاملة . وذلك ضمن مشروع شخصى أقوم عليه ، هو الخروج بالنقد الأدبى من مأزق المقال السردى — شبه المونولوج إلى رحاب الحوار الثنائى الذى يواجه فيه الناقد صاحب النص بجملة استخلاصاته ، ويستوضحه ما غمض ويحتكم إليه فيما توصل إليه من تحليل وتقييم . وقد كان هذا أيضاً أحد فصول ضمت محمد مهدى الجواهرى ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وفتحى غانم ويوسف السباعى .

كنت أفكر على النحو التالى : أن النقد ليس « حكماً » نهائياً ، وإنما هو قراءة . والنص نفسه ليس « وثيقة » نهائية ، وإنما هو قراءة . وطالما أن الحقيقة الجمالية — كأية حقيقة أخرى — متعددة المستويات والوجوه ، ونسبية ، فإنها تقبل ، وربما تتطلب ، القراءة المشتركة بين الكاتب والناقد . وهى القراءة التى تظل ناقصة أبداً ، فهى تكتمل بقراءات لا حصر لها من المُتلقّين للنص الأدبى جيلاً بعد جيل .

أعجبت إحسان الفكرة وتحمس لها . وفى بيته الجميل الذى يطل على النيل بدأت جلستنا الأولى التى جعلته يتردد كثيراً فى استئنافها . لم يتصور صعوبة الرحلة . كانت لدىّ عشرات الملاحظات ، فقد أضفت إلى قراءاتى السابقة ما أضافه إحسان إلى مكتبة القصة والرواية . وقد أسعده ذلك غاية السعادة . ولم يكن يتصور أن من ندعوهم بالمثقفين يقرأونه بهذا التفصيل . ولكن الملاحظات لم تَسرُّه تماماً . كان حواراً يتجاوز سلبية السؤال والجواب . قلته : إننا لا نفعل شيئاً إذا سألتك واجبتنى . إنه مونولوج فى شكل حوار . السؤال وحده سلبى ، والجواب وحده سلبى ، كأننا دائرتان ، كلتاهما مغلقة على ذاتها ، الحوار أكثر تداخلاً وتعمقاً وتركيباً ، فقد نشترك فى سؤال دون جواب ، وقد تجيبنى على سؤال بسؤال ، وقد لا أملك أنا السؤال بل أنت . النَّص يطرح علينا الأسئلة ، وعلينا أن نكتشف نصوصاً أخرى داخل النَّص وخارجه . وهكذا . واقتنع إحسان بصعوبة شديدة أن نكمل حوارنا فى ثلاث جلسات . وبعد أن صغت الحوار ، عرضته عليه كما هى عادتى ، فأصر أن يكتب إلىَّ رسالة تصحح معلومة حول طفولته . وقد كان . ثم نشرت المواجهة فى كتابى « مذكرات ثقافة تحتضر » الذى صدر للمرة الأولى فى بيروت أيضاً عام ١٩٧١ . واغتبط إحسان بهذه الدراسة الحوارية « كما كان يدعوها اغتباط شديداً ، بالرغم من أننى أشرت إلى مقدمتها إلى خلافى القديم والمقيم معه .

ولم أتوقف حتى اخر أيامى فى مصر — قبل مغادرتها إلى لبنان — عن متابعة إحسان . ولم تحل صداقتنا دون إبداء الرأى صريحاً فى أدبه الذى راح يكتبه منذ أوائل السبعينات . كانت مياه كثيرة قد جرت من تحت الجسر : الهزيمة فى ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف وأيلول الأسود ورحيل عبد الناصر فى ١٩٧٠ . وكتب إحسان فى « أخبار اليوم » عند منتصف ١٩٧٢ قصته « رصاصة واحدة فى جيبى » وتمثيلية « لا أستطيع أن أفكر وانا ارقص » . وقد اختلفت معه بشأنهما اختلافاً شديداً فى مقالى حينذاك « المفكر راقصاً على برميل من البارود » كُنّا جميعاً نعانى مرارات الهزيمة وأهوال النظام الذى اخترقته ، ولكنى رفضت لصديقى أن يدفعه اليأس إلى الحافة المخطرة .

ثم سافرت إلى بيروت وبقيت فيها أكثر من ثلاث سنوات وددت أن تطول إلى آخر العمر ، ويصدق استفسار طه حسين عما إذا كنت لبنانياً بالرغم من أن الأمر بدا « فرية » لإنقاذ إحسان عبد القدوس من « جائزة مضادة » .

ومن بيروت إلى باريس إلى القاهرة أخيراً خمسة عشر عاماً لم أعرف عن إحسان سوى مواقفه السياسية . مرة واحدة خلال تلك الفترة زرت القاهرة لأسبوعين (بين ١ و ١٦ يناير ١٩٧٧) وحرصت على رؤية إحسان . كان فى « الأهرام » ، وقد اصطحبنى إلى مكتب توفيق الحكيم حيث كان فى رفقته نجيب محفوظ ويوسف إدريس . قال لى إحسان أمامهم : يجب أن تعود . لم يتردد الحكيم فى القول : لا ، ليس الآن ، انتظر . أما نجيب محفوظ فقد انشغل بالنظر عبر زجاج النافذة الكبيرة إلى الشارع . يوسف إدريس وضع يده على كتفى قائلاً : أنت وحدك صاحب القرار ، هذا الموضوع لا يحتمل النصائح من الآخرين . عاد بى إحسان إلى مكتبه وهو يردد : بل يجب أن تعود ، والآن .

ولم أعد إلاّ بعد عشر سنوات من هذا اللقاء . وكان إحسان قد « شاخ » . أذهلتنى شيخوخته ، كأننى لم أتوقع أن يشيخ أبداً . يرتبط إحسان فى مخيلتى بالشباب الدائم . اسمه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورسمه ، حروفه وخيالاته ، شخوصه وانطباعاته وحركاته ، لا تعنى لى سوى الشباب . ولكنه كان قد أصبح شيخاً . والصدفة وحدها جعلتنى قريباً منه غاية القرب . أراه يومياً تقريباً . تناولت منه كل ماكتب خلال فترة غيابى . ولم أدع سطراً واحداً دون ان اقراه .

وفجأة يصعقنى الخبر ــ أحد أيام ١٩٨٨ ــ بأن إحسان أصيب بدوار وقد نقلوه إلى المستشفى . وفى المستشفى فهمت أنه نزيف فى المخ . نزيف بسيط ، ولكنه ضاعف من شيخوخة إحسان . ترك « بصمة » على حركة اللسان والذراع والساق . لم يعد إحسان شاباً .

قال لى : ربنا ستر . إننى أتحسن . ولست أستطيع الآن أن أرصد مشاعرى وأفكارى . الحزن والغم والهم ، وايضاً كيف نترك إحسان يتسرب من بين أيدينا . وتزاحمت الأفكار والمشروعات والأمانى . وقلت له : عشرون عاماً مَرَّت منذ عام ١٩٦٩ إلى الآن ، تعال نتسلّى ، أنا وأنت فى مواجهة جديدة . ابتسم وهو يسألنى فى مُنتهى الجدِّية : هل هى شهوة النقد أو أنك تعتقد أننى راحل قريباً ؟ . أجبت بالأمانة كلها : لا هذا ولا ذاك ، وإنما أنا مهموم بدراسة جديدة حول المثقف والسلطة . وأنت نموذج نادر للعلاقة المعقدة مع السلطة . وفى هذه المرة لن يقتصر الحوار علينا ، بل سوف أستشهد بمعاصريك كلما كان ذلك ضرورياً وممكناً . لقد تطورت « المواجهة » فى عملى ، ولم تعد فحسب حواراً نقدياً ثنائياً يستخلص علامات النصّ وصاحبه ، وإنما أضحت تعتمد على تعدّد الأصوات . أصوات الماضى والحاضر والمستقبل ، وأصوات الزمان والمكان ، وأصوات الداخل والخارج . لذلك سوف أستحضر آراء مختلف النقاد والمؤرخين والسياسيين والأقربين والخصوم .

وبدأنا العمل فى « الأهرام » حيناً وفى البيت الجميل أحياناً . كان أصعب حوار فى حياتى على الإطلاق ، لأن الطرف الثانى فى المواجهة كان يعانى من متاعب جَمَّة ، مَتاعب عضوية ونفسية بدءاً من الصداع وضعف القدرة على الحركة ، إلى ضعف الذاكرة والملل . ولكن إحسان لم يقلّ حرصاً عنى فى إنجاز المواجهة التى احتاجت إلى شهرين متصلين من الدأب والصبر (وكانت أطول المواجهات التى نشرتها « الوطن العربى » على حلقات) .

وتصادف أن إحسان كان فى رحلة صحية إلى الولايات المتحدة أثناء نشر الدراسة . ولكنى عرفت منه بعد عودته ان الأصدقاء كانوا يُـزَوِّدونه بأعداد « الوطن العربى » أولاً فأول ، وانه يشعر بأنه أخذ حَقَّه ، ولم يعد لديه ما يقوله .

وكانت هذه آخر مرة أرى فيها صديقى إحسان عبد القدوس .

القاهرة ــ غالى شكرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد آدم في « متاهة الجسد »

د. محمد عبد المطلب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١)

عندما أهدانى محمد آدم ديوانه (متاهة الجسد) لفتنى هذا العنوان فأقبلت على الديوان أقرأه ثم عاودت قراءته محاولا استيعاب أكبر قدر من الطاقات الدلالية التى توزعت على ثلاث عشرة قصيدة ، استغرقت ستمائة وسبعا وأربعين صفحة ، أى أن معدل القصيدة الواحدة خمسون صفحة تقريبا . وأظن أن النظرة الكمية كانت وراء تقديم القصائد فى (فصول) تسمح للمتلقى بالتقاط أنفاسه داخل القصيدة الواحدة .

وقد شغلنى الديوان أكثر بعد قراءته ، وعزمت الكتابة عنه وأنا أفكر فى اختيار عنوان يصلح أن يعبر عن الدراسة التى يمكن أن تدور حوله ، ثم شغلت عن الديوان وصاحبه عدة أيام ، سنحت لى خلالها فرصة اللقاء بأستاذنا الدكتور عبد القادر القط ، فحدثته فى أمر الديوان ، وعزمى الكتابة عنه ، وحاورته فى اختيار العنوان المناسب ، فما كان منه إلا أن قال : إن أنسب عنوان أراه ، هو إجراء تبديل شكلى للغلاف ، أى يتقدم اسم المؤلف على اسم الديوان ، إذ أن هذا التعديل يقدم أصدق تعبير عن المضمون الفكرى والنفسى للديوان وصاحبه ، فكان (محمد آدم فى متاهة الجسد) .

والحق أن القراءة الأولية تقدم نوعا من التصور الكمى الذى يعطى مؤشرا واضحا على هذه الحقيقة الدلالية ، إذ ان عالم الجسد يشكل فضاء الديوان ، ويكاد بمفرداته يقدم معجما شعريا خاصا ، ساهم فى إنتاج الدلالة الكلية ، وتدخل فى توجيهها إلى مناطق معينة ربما لا نجدها إلا عند فئة من « العرفانيين » .

وأهمية هذا المعجم أنه كان ذا طبيعة تكرارية تدفع المتلقى إلى الوقوف عندها والانشغال بها ، والمجاهدة لفك مغاليقها وصولا إلى طاقاتها الجمالية .

وقبل الولوج إلى عالم الجسد ومتاهاته فى الديوان ، يجب الإشارة لى أن هذا العالم لا يمكن إدراكه إلا بربطه بمعجم آخر جاء موازيا له تعبيريا وهو معجم (الليل والنهار) وما يتصل بهما من دوال تنتمى إليهما على نحو مباشر أو غير مباشر ، فقد ترددت مفردات الليل وما يتصل به ثلاثمائة وعشرين مرة ، كما ترددت مفردات النهار وما يتصل به مائتين وأربع وعشرين مرة ، فيكون مجموعهما معا خمسمائة وأربعا وأربعين مرة ، بمعدل تردد يبلغ اثنتين وأربعين مفردة للنص الواحد ، وهى نسبة تردد عالية تجعل من الديوان كيانا زمنيا ممتدا يصلح لاستيعاب الدلالة الأصلية التى شكلتها (متاهة الجسد) ، وهى متاهة لها غوايتها التى شدت الذات المبدعة إليها وأغرقتها فيها ، فالجسد إذن محكوم بإطار زمنى ، أى أن فناءه وتحلله أمر مفترض منذ البداية .

وبرغم أن مفردات الجسد ومرادفاته وما يتصل به تأتى فى المرتبة الثانية عدديا ، نجد أن هذه المفردات هى التى تشكل المبدأ الدلالى الأول الذى انتجه الديوان ، إذ تبلغ مفردات (الجسد) مائتين وسبعاً ، ومفردات (الجسم) اثنتين وثمانين ، ومفردات (البدن) خمس عشرة ، ثم يبلغ ما يتصل بالجسد من تفصيلات أو رغبات أو أجزاء محددة (كالسرة) ستا وأربعين مفردة . فيكون المجموع ثلاثمائة وخمسين مفردة . وتكون نسبة التردد فى النص الواحد سبعا وعشرين مفردة تقريبا ، وهذا يضفى على معجم الشاعر طابعا مميزا ، له أثره البالغ فى توجيه عملية الاختيار المنوطة بالدوال ، وفى توجيه عملية التوزيع المنوطة بالمركبات .

ويلاحظ هنا أن هذا التوجيه كان خالصا للبناء الداخلى ، نتيجة لغياب البنية الإيقاعية التى دفعت الديوان إلى دائرة (قصيدة النثر) .

(٢)

وعالم الجسد عند محمد آدم لا يمكن إدراكه بعيدا عن مقامات التحول العرفانية ، وهى مقامات تستمد مقدماتها المعرفية من التشكيل المعجمى ، ثم تتجاوزه إلى الحدود الاصطلاحية ، التى تتصل بمفارقات التعامل اللغوى من ناحية ، وتجليات التحول من ناحية أخرى .

ومنطقة المعجم تقدم دال (الجسم) فى صورة مادية خالصة ، لها طول وعرض وعمق ، أى أنه يقوم على الكثافة ، ويكاد ـ فى ذلك ـ يساوى عالم (الجسد) بحيويته وبعده عن عالم الجوامد .

ويتصل عالم الجسم والجسد بعالم (البدن) اتصال العموم بالخصوص ، حيث يحتل البدن قطاعا علويا من الجسد[١] .

ومن هذا المنطلق يمكن التعامل مع الجسم باعتباره جماع البدن ، أو الأعضاء بالنسبة للكائنات الحية ، وهو نفس ما يمكن أن يوصف به الجسد لا قتصاره على الأجسام المتغذية ، وإن كان فى بعض حالاته يمكن أن يقال لما لا يعقل ، عندما يأخذ معنى الجثة .[٢]

ولا يمكن فهم (متاهة الجسد) إلا بربطها بالعرفانية الصوفية ، حيث فرق الصوفيون بين الجسد والجسم ، فقالوا : إن الجسم هو كل صورة مرئية قابلة للأبعاد الثلاثة ، فى حالة كونها كثيفة الأصل بالطبع . أما الجسد : فهو عبارة عن كل صورة يتشكل بها روح من الصور الجسمانية ، وعلى هذا يكون سر ظهور الأجساد بالطريق المعتاد بمثابة تصورات الأرواح الجزئية ، كما يجرى للشخص فى حال تفكره من تصور روحه الجذبية بالصورة الخيالية المشهودة له غيبا .[٣]

كما أن التجاوز الذى عبرت عنه الاتجاهات العرفانية بالترك والتخلى وخلع البدن ، يمكن أن يفسر مجازيا بعدم الاستهلاك فى الحواس ، أو الاستغراق فى المحسات ، باعتباره أمرا ضروريا فى بداية التجربة الروحية . ذلك أن العارف إذا توغل فى معراج المعرفة ، وارتقى بواسطته إلى الأفق الأعلى ، تفتح على الجسم ، فلا يعود يزرى بالحس والمحسوسات لدخولها فى بنية التجلى دخولا أفضى ببعض العرفاء إلى القول بأن الذات حسية لا تدرك ، ومتى شاهد العارف هذا التجلى الوجودى المتنوع ، التذ بالمحسوس ، لا من حيث هو محسوس فحسب ، وإنما بوصفه تجليا للوجود ، وعند هذا الحد لا يفر من جسمه لأنه صورة من صور التجلى ، ولا يهرب من عالم حسه ، وعندئذ يشهد الوجود متجليا فى حقيقة ذات حدين يئولان إلى ما هو روح وفكر ، وما هو ممتد فى المكان .[٤] والنظر فى البناء اللغوى للديوان يؤكد وجود مثل هذه التحولات المعجمية والإشراقية ، وخاصة فيما يتصل بثالوث (الجسد ـ الجسم ـ البدن) التى شكلت عالم اللذائذ السوية والمنحرفة وجذبت إليها كل طاقات الشاعر الإبداعية .

(٣)

ويجب أن نلاحظ أن الترقى فى المعرفة كان وسيلة الانفتاح على (الجسد) على عكس التصور الأولى الذى يقدم ناتجا مغلوطا ، وهو أن الممارسة التعبيرية هى وسيلة الإفضاء إلى عالم الشهوات واللذائذ ، وعلى هذا يدخل الجسد بكل تحولاته دائرة التجلى ليصير أداة شعرية من الطراز الأول .

كما يجب الملاحظة أن المفارقة بين تجلى الجسد وتجلى الجسم ، قد انعكس صياغيا فى مفردات يتغلب فيها الدال الأول بنسبة عالية ، إذ جاوزت مفردات الجسد المائتين ، وهذا مؤشر على موقف محمد آدم من العالم وانقسامه الثنائى إلى (الجسد والروح) ثم انحيازه إلى الطرف الأول انحيازا عرفانيا لم يتح لدال (الروح) أن يتردد فى الديوان إلا خمس مرات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الجسم - باعتبار قابليته للكثافة الثلاثيه - فقد جاء تاليا فى التردد ، ولكنه من ناحية أخرى قد اكتسب خصوصية بارتفاع نسبة تضايفه مع الذات ، إذ جاء مرتبطا بها ستا وأربعين مرة بنسبة تبلغ حوالى ٥٦ ٪ ، وهى نسبة مرتفعة إذا قيست بنسبة انتساب الجسد للذات ، إذ تبلغ تسعا وعشرين مرة بنسبة ١٤٪ ويقع (البدن) بينهما إذ تبلغ مرات انتسابه للذات سبع مرات بنسبة ٤٦ ٪ تقريبا .

وليس معنى هذا أن العلاقة بين الذات وهذه الدوال الثلاث تتوقف عند حدود هذا الإحصاء ، بل إنها تجاوزه إلى ما هو أبعد وأعمق ، ذلك أن العلاقة كانت تأخذ أشكالا لا تنكشف إلا بعد إلحاح ومثابرة ، لأنها كانت تأتى بطريق مباشر من خلال التعليق النحوى ، كما كانت تأتى بطريق غير مباشر ، أو ضمنى . فإذا أخذنا فى الاعتبار تردد دال (الجسد) بصيغة الجمع اثنتى عشرة مرة ، وصيغة المثنى ست مرات ، وتردد دال (الجسم) خمس مرات بصيغة الجمع ، ومرة واحدة بصيغة المثنى : لأدركنا كثافة الوجود الجسدى من ناحية ، وكثافة علاقته بالذات من ناحية أخرى . ولاشك أن هذا كله تأكيد لعنوان الدراسة عن وقوع الشاعر فى (متاهة الجسد) .

(٤)

والنظر فى الحقول الدلالية لمحور (الجسد) يدل على طبيعة التكثر فيها ، وشمولها لمفردات الواقع الخاضع لرؤية الشاعر : إذ تبلغ هذه الحقول أربعة وعشرين حقلا على النحو التالى :

١ - حقل الانسانية	٦٧ مرة
٢ - حقل الأرض	٣٠ مرة
٣ - حقل الماء	٢٠ مرة
٤ - حقل النبات	٢٠ مرة
٥ - حقل التفتح	١٣ مرة
٦ - حقل الخفاء	٧ مرات
٧ - حقل الزمن	٦ مرات
٨ - حقل السماء	٦ مرات
٩ - حقل اللون	٦ مرات
١٠ - حقل الرموز	٥ مرات
١١ حقل الحيوانية	٤ مرات
١٢ - حقل التوالد	٣ مرات
١٣ - حقل اللغة	٣ مرات
١٤ - حقل النوم	مرتان
١٥ حقل السكر	مرتان
١٦ - حقل الانغلاق	مرتان
١٧ - حقل النغم	مرتان
١٨ - حقل السكون	مرتان
١٩ - حقل العرفانية	مرتان
٢٠ - حقل الانصهار	مرة واحدة
٢١ - حقل القيود	مرة واحدة
٢٢ - حقل الجفاف	مرة واحدة
٢٣ - حقل الشافية	مرة واحدة
٢٤ - حقل النعومة	مرة واحدة

وعلى هذا النحو يتسع عالم الجسد اتساعا يستوعب العالم ، أو هو يشكل العالم من خلال رؤية جسدية ، هذا من حيث الناتج الكلى ، أما من حيث البعد الصياغى : فإن هذا التعامل قد جعل الدال أداة شعرية لها إمكانات متعددة ، وذلك راجع إلى غرسه فى التراكيب غرسا يمنع توافقه مع مدلوله ، نتيجة لوجود فراغ (صوت دلالى) بينهما ، يضيق أحيانا ويتسع أحيانا أخرى ، ولكنه لا يسمح للطرفين بالتطابق بحال من الأحوال .

مدلول هذا أن اختيارات الشاعر قد تجاوزت منطقة المواضعة ، وربطت الدال بمدلولات أخرى لا تلائمه ، وهذا الربط هو الذى أنتج الفراغ الذى أشرنا إليه ، وهنا تتجلى عملية التلقى بإمكاناتها فى ملء هذه الفراغات لتعيد للصياغة توازنها مرة أخرى .

وهذه الحقيقة التعبيرية يمكن الكشف عنها تطبيقيا بمتابعة الديوان فى حقل الماء - مثلا - حيث يقول فى الفصل السابع من (واردات الوقت) :

أرى شجرة ذاكية تخرج من فوضى الجسد ، وجذع المرأة ، فأظلل بها ، وأكلل بها وقتى ، إلى أن ترينى من الحال ، والكلام ، ما أخوض به لجة الجسد ، ومحار الحروف .

ويتم تفجير الدلالة بداية من دائرة (الذات) التى يستحضرها الفعل (أرى) إذ هو ببنائه يتضمن الفاعل ضرورة ، ويترتب على هذا الحضور خضوع الواقع لرؤية الذات ، حيث تستحيل المفردات إلى كيانات صوتية مفرغة من دلالاتها ، ومليئة بدلالات بديلة تتوافق مع طبيعة الرؤية ، فالجسد فى السطر الأول - يتحول من كيان موحد ، إلى مفردات مبعثرة فوضوية ، لكنها ذات طابع توليدى تنقله من حقله المعجمى إلى حقل النبات ، ثم يمتد التحول إلى الدوال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التالية ، حيث تنتمى (المرأة) إلى الحقل نفسه ، وهذا التحول أتاح لها احتمال بعدى المكان والزمان (أظلل) (وقتى) .

والترقى فى الرؤية ينقل (الجسد) ـ فى السطر الثالث ـ إلى حقل الماء (لجة الجسد) ، وهو تحول يتيح للذات أن تغرق فيه بكل إمكاناتها الداخلية ، ومن ثم يمكن إنتاج علاقة توحد بين الذات والموضوع ، برغم محافظة الذات على طبيعتها البشرية . وما كان يمكن أن يتم كل ذلك إلا بهز العلاقة المعجمية بين الدال والمدلول ، وانزياح الدال عن مدلوله لخلق فراغ يسمح للطابع الشعرى أن يتخلله ، حيث يصير الجسد كائنا انسيابيا يحيط بالذات من كل نواحيها .

وقد امتد هذا الأثر الدلالى إلى المفردات التالية فى (محار الحروف) ، إذ أن التضايف هنا قد نقل (الكلام) من عالم اللغة إلى عالم الماء أيضا ، والتحولات تتم تجريديا على النحو التالى :

الجسد ← فوضى ← شجرة
المرأة ← جذع ← شجرة
الجسد ← لجة ← ماء

وهذه التحولات ـ فى جملتها ـ لا تتم إلا بعملية الاهتزاز التى رصدناها .

(٥)

أما حقول (الجسم) فبرغم قلة عددها بالنسبة لحقول الجسد ، لكنها تشكل طابعا شموليا أيضا ، من حيث استغراقها لمعظم مفردات الواقع ، وتبلغ سبعة عشر حقلا هى :

١ ـ حقل الإنسان	٢٥ مرة
٢ ـ حقل النبات	١٣ مرة
٣ ـ حقل الأرض	٨ مرات
٤ ـ حقل الخفاء	٦ مرات
٥ ـ حقل الانفتاح	٥ مرات
٦ ـ حقل الكتابة	٥ مرات
٧ ـ حقل الثياب	٤ مرات
٨ ـ حقل النعومة	٣ مرات
٩ ـ حقل الرموز	مرتان
١٠ ـ حقل السماء	مرتان
١١ ـ حقل الماء	مرتان
١٢ ـ حقل اللون	مرتان
١٣ ـ حقل الحركة	مرتان
١٤ ـ حقل الموت	مرة واحدة
١٥ ـ حقل الشياطين	مرة واحدة
١٦ ـ حقل الخيال	مرة واحدة
١٧ ـ حقل السكر	مرة واحدة

وتكاد تتوافق حقول (الجسم) مع حقول (الجسد) ، مع تغييب حقول معينة من محور الجسد هى : الزمن ـ الحيوانية ـ التوالد ـ العرفانية ـ الانصار ـ القيود ـ الجفاف ـ الشفافية ـ النوم ـ النغم ـ وإضافة حقول جديدة هى : الشياطين ـ الخيال ـ الثياب .

وعملية الحذف والإضافة لها مدلولها الخاص ، إذ أن (الجسم) على هذا النحو يميل أكثر إلى طابعه البشرى . كما يحافظ على كثافته الثلاثية : الطول والعرض والعمق ؛ ومن ثم يكون محلا صالحا لممارسة الشهوات واللذائذ ، وبخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار الإضافات الحقلية التى تعلقت به ، ورفعته إلى دائرة الخيال تارة ، وأنزلته إلى دائرة الشياطين تارة أخرى ، ووضعته فى منطقة وسطى عندما كسته الثياب تارة ثالثة .

وهذا الوضع التعبيرى يمكن متابعته تطبيقيا فى الفصل الثانى من (أتهيأ لكتابة اسمى ولا أحد يرانى) حيث يقول محمد آدم :

قلت :
أنزع عن جسمى شهوة القراءات .
وعن عينى .
رغبة البكاء والفرح .[٦]

وتتفجر الدلالة من منطقة (الذات) حيث حضورها التأملى من خلال اسنادها إلى فعل (القول) ، والذى ينحل فى بنيته العميقة إلى : حدث صوتى + زمن ماضى + ذات فاعلة + استحضار ذات أخرى يمكن أن تحتمل رد فعل القول وهى ـ بالضرورة ـ ذات مندمجة فى الذات الأولى ، أى أن بناء السطر الأول يعتمد على محاورة داخلية تأملية .

ثم يأتى السطر الثانى ليعاود استحضار الذات مرة ثانية فى بنية الفعل (أنزع) ، لأنه ينحل أيضا إلى : ذات (أنا) + حدث (النزع) + زمن الحضور . وهذا الإجراء الصياغى يزرع علاقة التوتر الزمنى داخل الذات بين الرغبة الخفية فى البقاء داخل كثافة (الجسم) ، والرغبة الظاهرة فى الانعتاق من قيود (الجسم) ، وإن تغلبت الرغبة الثانية نوعا ما عن طريق الحفاظ على (الجسم) داخل طبيعته الإنسانية من جانب ، والترقى به فوق الشهوات من جانب آخر ، أى أن الرغبة الثانية قد تحولت ـ حقيقة ـ إلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رغبة ثالثة ، تقع فى منطقة وسطى بين الرغبتين الأولى والثانية .

ومع التحرك الصياغى تدرك الذات خطورة المتاهة التى تغوص فيها ، فتقوم بعملية تحويل مكشوفة ، إذ تنقل عالم الشهوة إلى دائرة المعرفة (القراءات) ، ونقول إنها عملية مكشوفة ، لأن حقيقة (النزع) تخلص الشهوة للداخل وحده ، أى أن النزع ينصرف للعوامل الخارجية لاكساب الشهوة عمقا جسميا خالصا .

وتتأكد هذه الحقيقة عندما يمتد تأثير (النزع) إلى (العينين) ليخلصهما من رغبتين متقابلتين هما : البكاء والفرح ، لأنهما فى الحقيقة يحولان بين الجسم وبين غيبوبته التى تلازم متعته ولذائده ، إذ هما أمران فوق الفرح والبكاء ، أى أن البنية العميقة هنا تقدم ناتجا مخالفا لطبيعة بنية السطح ، وما كان يمكن أن يكون كل ذلك إلا بتفريغ دال (الجسم) من مدلوله الأول ، وملئه بالمدلول الثانى عن طريق هز التطابق بين الدال والمدلول .

(٦)

ويشكل (البدن) الضلع الثالث من أضلاع المثلث الجسدى ، وإن كان أقل الأضلاع مساحة ، وبالتالى أقلها فى عدد الحقول التى اتصلت به واستوعبته ، إذ تبلغ سبعة حقول هى :

١ ـ حقل الإنسان	٤ مرات
٢ ـ حقل الظلام	٣ مرات
٣ ـ حقل الانفتاح	مرتان
٤ ـ حقل الضوء	مرتان
٥ ـ حقل القيود	مرة واحدة
٦ ـ حقل الخفاء	مرة واحدة
٧ ـ حقل الماء	مرةواحدة

ويحافظ حقل (الإنسان) على تصدره لبقية الحقول ، متساوقا فى ذلك مع المحورين السابقين ، ثم يتبعه حقل (الظلام) ليؤكد الكثافة البدنية ، وارتباطها بقيود المحسوسات ، ثم يحدث نوع من التوازن بتدخل حقل (الانفتاح) لكنه توازن يئول إلى توتر بين الارتباط بأبعاد الكثافة الجسدية ، والترقى فى مدارج الانعتاق .

وقد تغلبت عملية الترقى نتيجة لمؤازرتها بحقل (الضوء) حيث يتم التعلق بالبدن لا من حيث هو محسوس فحسب ، بل بوصفه تجليا للوجود ذاته . ويتأكد ذلك بالتوازن القائم بين حقل (القيود) بماديته ، وحقل (الخفاء) بشفافيته . وإن تأكدت الشفافية واتسعت بحقل (الماء) ، والذى من طبيعته أن يضيف بعد (الحياة) إلى المحور كله .

فعلى عكس الإشراقيين لم يحدث الشاعر قطيعة بين الروحى والمادى ، لأن (البدن) قد حافظ على كينونته بوصفه جماع محسوس ، ولكنه ـ على نحو آخر ـ يحاول الانعتاق لبلوغ مشارف الاشراقات ، وإن كان ذلك لا يلغى المبدأ الأول لضرورة التحرك من دائرة المحل الجسدى المظلم .

ويفارق محور البدن المحورين السابقين عليه بخاصية دلالية مميزة ، وهى أن مفرداته تنتمى إلى الذات على الإطلاق ، بعيدا عن تدخل العلاقة الاسنادية . على معنى أن تحرك المبدع كان (تحركا وقوفيا) إن صح التعبير ، أى أنه يبدأ من منطقة بعينها ، لكنه لا يجاوزها ، وإنما يظل يلح عليها بالتحولات التى تنقلها من حقل إلى آخر دون أن تنفصل عن الذات انفصالا كاملا .

ونستطيع متابعة هذا المحور تطبيقيا فى الفصل السابع عشر من (الخضراء أحيانا تسمى الوردة) حيث يقول الشاعر :

أطلق صيحاتى حول جزائر بدنى المعتم
وسفائن جسدى الغارقة ،
وأدعوكم ،
انفجر رمادا ،
ويواقيت ....(٧)

ويقدم السطر الأول (البدن) من خلال حقلين معا ؛ حقل الماء وحقل الظلمة ، وانتماء البدن إلى هذين الحقلين يدخله دائرة المفارقة التى تجمع بين الشفافية والكثافة ، وعلى مسافة قريبة منه تقف الذات بتجليها فى بنية فعل (الإطلاق) الذى ينحل فى بنيته العميقة إلى (حدث + زمن + ضمير) ويمتد تجلى الذات فى (الياء) من (صيحاتى) ثم (الياء) فى (بدنى)

وحضور الذات كان ذا طابع مزدوج ، إذ برزت مرتين فى تشكيل خارجى (تطلق وتصيح) ومرة فى تشكيل داخلى عند التضايف مع البدن ، وهذا الازدواج ، أو بمعنى أدق : الانشطار يهيىء للذات قدرا من الإدراك الواعى بحقيقة البدن ، حيث الغربة المحصورة فى نطاق مادى (الجزائر) ، وحيث الظلمة الموحشة ، وإدراك الحقيقة على هذا النحو كان سبب إطلاق الصياح ، وبرغم تتابع الانطلاق ، وانفجار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصياح ، لم يكن هناك وسيلة لا ختراق البدن ، وإنما ظل كل ذلك فى دائرة الإحاطة غير المؤثرة ، وأصبحنا فى مواجهة مادية خالصة بين طرفين منفصلين على المستوى السطحى وملتحمين على المستوى العميق .

وتلعب صيغة (الجمع) هنا دورا مؤثرا فى إنتاج الدلالة ، إذ يتوافق تعدد (الصيحات) مع تعدد (الجزر) ، ومن ثم يكون إحساس الذات بالوحدة والكآبة طاغيا ، وإن ظل الإحساس فى إطار سلبى غير مؤثر ، إذ لا سبيل إلى الخلاص من الطبيعة البدنية الكثيفة .

والخلوص إلى هذا الناتج جاء باجراءات صياغية خلخلت العلاقة بين الدال والمدلول البدنى ، إذ أصبحت الاشارة الصادرة من الدال موجهة إلى طرفين بعيدين عن منطقة دلالته وهما : الجزائر من ناحية ، والظلمة من ناحية أخرى .

وتمتد الطبيعة الكثيفة من البدن إلى (الجسم) الذى عجز عن مواجهة الواقع ، ولم يجد وسيلة سوى الهروب الصياغى بالغوص ، بالرغم من محاولات الإنقاذ التى شكلت الجسم فى صورة قابلة للطفو (سفائن) ، وعلى هذا يكون اتصال حقل الماء بالبدن تارة ، وبالجسم تارة أخرى ، عاملا فاعلا فى تأكيد الكثافة لا الشفافيه كما يتبادر من القراءة الأولى .

ويأتى السطر الثالث بتعديل موقف الذات ، بتعديل (صياحها) إلى (دعاء) ، فى عملية ممارسة لحقوقها فى استدعاء العون من (موضوع) خارج دائرة الجسد ، وعندما تنعدم الاستجابة يتم تعديل ثالث إلى (الانفجار) ، والتعديل الأخير يعيد للذات طبيعتها الأرضية الطينية ، لكنه يحتفظ لها بتضخمها الأثير عندما ينقل التكوين إلى حقل (اليواقيت) .

ويبدو أن هذه التحولات كانت إعلانا عن فوضى التكوين الداخلى للذات ، وتمزقها بين الواقع بكل قيوده المادية ، والرغبة الحميمة فى التسامى الإشراقى .

(٧)

وهذه التشكيلات لثالوث (الجسد ـ الجسم ـ البدن) تؤكد مضمون الدال الإشارى فى مقدمة الدراسة عن غيبوبة الذات فى (متاهة الجسد) .

ولكن على أى نحو تحققت ظواهر الشعرية فى الديوان من خلال متابعة هذا الثالوث تعبيريا ؟ بداية لابد أن نخرج من دائرة الشعرية فى الديوان البنية الإيقاعية ، لأنها لم تتدخل على نحو من الأنحاء فى إنتاج الشعرية ، نتيجة لغيابها ، وقد حاول الشاعر أن يعوض هذا الفاقد الخطير بالاتكاء على التوازن الدلالى ، وهو أمر يمكن أن نقبله إذا اعتبرنا الديوان بجملته يتحرك داخل دائرة (النثر الشعرى) ، أو داخل (قصيدة النثر) كما يقال .

ولعل أوضح مظاهر الشعرية هى التعامل مع الدوال تعاملا حرا ، ونعنى بالحرية هنا فصل العلاقة المعجمية بين الدال والمدلول ، وهذا يهيىء لوجود فراغ بينهما يسمح للمتلقى بالتدخل التحليلى بالقوة أو بالفعل لتكتمل دائرة الاتصال اللغوى .

وبالنظر فى مفردات الطرف الأول التى ترددت مائتين وسبع مرات لم يتحقق للجسد وجود معجمى إلا ثمانى عشرة مرة ، وحتى فى هذا الوجود ظل هناك فراغ محدود بين الدال والمدلول يسمح للطبيعة الشعرية أن تتدخل لإنتاج الدلالة فنيا ، ففى الفصل الرابع من (واردات الوقت) يقول آدم :

ليكن ... ،
سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى ،
وأتبع امرأة ما ، إلى بلد ، ما ..
وأكشف عن حصى الرغبة ، على حصيرة الجسد ، وأوسد الشهوة ،
مفاصل النساء ،
وأفك كل حرف من حروف الأبجدية ، بقبيلة منهن ، وأقيم بين كل امرأة وجسمها ، أعراسا[٨]

وتبدأ الأسطر بخضوع الذات لسطوة فعل الكينونة ، التى يمتد تأثيرها المضمر فى فراغ (النقط) والتى جاءت فى الصياغة عن وعى وقصد لتعلن عن وقوع الذات فى دائرة (الجبرية) أو الحركة غير الإرادية ومن ثم تصبح (متاهة الجسد) قدرا محتوما .

وتستعيد الذات تضخمها فى السطر الثانى . حيث تمتلك رغبتها فى التحرك داخل دائرة الوجود والعدم (النور والعتمة) بالمفهوم الإشراقى ، ثم تنفرد الذات بعالم الوجود ، ومن عالم الوجود تنفرد بعالم (المرأة) ، ومنها إلى حصيرة الشهوة التى تتلبس بالجسد وتستقر فوقه ، وتتخلل عناصره ،

ويمتد الناتج الأنثوى إلى (اللغة) فى السطر السابع ، ومن ثم يأخذ طابع التكاثر ، وهذا الطابع يتوافق مع انغماس الذات إلى أذنيها فى عالم الجسد الذى أصبح محلا مختارا لها تقيم فيه إقامة دائمة . فلا تبرحه إلا إلى متعة مساوية له .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى السطر الأخير تعتدل الصياغة ليتم تطابق (المرأة الجسد) مع المدلول المعجمى نتيجة للتعامل اللغوى المباشر ، لكن مع هذا الاعتدال يظل بين (الجسد) ومدلوله نوع مفارقة تسمح بوجود فراغ يحتمل إقامة (الأعراس) فيه

وقد ساعد على هذا الناتج الشعرى تجلى الذات على نحو مبهر ، حيث ترددت ست مرات مضمرة (أتبع - أتبع - أكشف - أفك - أو سد - أقيم) ، وهو إضمار يجاوز منزلة الإظهار فى أداء دوره الدلالى ، وهذه الكثرة الترددية تتوافق من ناحية أخرى - مع الكثرة فى الموضوع حيث جاءت (النساء) بصيغة الجمع .

(٨)

أما مفردات (الجسم) التى بلغت اثنتين وثمانين مفردة، فلم يتوافق فيها (الجسم) مع مدلوله إلا عشر مرات ، أى أن طبيعة الانزياح الداخلى بين الدال والمدلول ظلت صاحبة السيادة المطلقة فى هذا المحور كما فى سابقه ، وبهذا يتحقق الشرط الأول من شروط الشعرية .

كما يلاحظ أن المسلك التعبيرى فى منطقة التوافق ظل على صورته التى كان عليها فى المحور الأول ، على معنى وجود جزء من المفارقة فى منطقة التوافق ، وبهذا يتشكل الفراغ الذى ينقل الأداء من المألوف إلى غير المألوف .

يقول محمد آدم فى الفصل الثانى من (أتهيأ لكتابة اسمى ولا أحد يرانى) :

أخرج للناس عاريا ،
ووحيدا ،
وليس على جسمى ، ما يستر عريى
أو يسد رمقى

(٩)

وحضور الذات متضخمة أمر مفروض تعبيريا فى الديوان كله ، وقد اتكأت صياغة السطر الأول على هذا الحضور المتجلى فى الضمير المقدر فى (أخرج) ، ثم الياء فى (جسمى - عريى - رمقى) ، وهذا التضخم لا يتأتى - كما يبدو - إلا بارتباطه بعالم (الجسم) وملحقاته من (العرى والوحدة) ، وهى ملحقات الارتباط خارجيا وداخليا على صعيد واحد .

والوصول إلى منطقة الجسد اقتضى - تعبيريا - المرور بمراحل الانكشاف (عاريا) ، وهو عرى مقصود ذو طبيعة ثنائية ، حيث يتجه فى أحد جوانبه إلى (الناس) ، وفى الجانب الآخر إلى الذات ، وعلى هذا النحو يتحول عرى الجسد إلى واقع مقبول شعريا ، لأنه قائم كبرزخ قابل لحلول الروح فيه وتشكلها بصورته .

وفى السطر الثالث تتكىء الصياغة على دال (الجسم) باعتباره مؤثرا على الحقيقة البدنية ، وهو ما يوهم لأول وهلة بتطابقه مع مدلوله ، لكن هذا التوهم يتلاشى مع نهاية الأسطر (يسد رمقى) ، إذ انها ترتد إلى الجسم لتحوله من حقيقته المادية الخالصة خارجيا ، إلى حقيقة مادة أخرى ، لكنها داخلية ، وبهذا يدخل الدال دائرة الاهتزاز ، لأن رد الصياغة إلى بنيتها العميقة يقدم التشكيل التالى : ليس ما يستر عريى أو يسد رمقى على جسمى . فالنفى ينصرف إلى الأمرين الأولين ، وكلاهما يتعلق بالخارج والداخل ، لكن إحداث الحركة الأفقية بتقديم الجار والمجرور (على جسمى) هو الذى هيأ لتوهم تطابق الدال والمدلول .

ويأتى محور (البدن) على نحو مخالف للمحورين السابقين ؛ فإذا كانت نسبة التوافق بين الدال والمدلول فى محور (الجسد) تبلغ ٧ ٪ تقريبا ، ثم ترتفع شيئا ما فى محور (الجسم) لتبلغ ١٢ ٪ تقريبا ، فإنها تبلغ أقصى ارتفاعها فى محور البدن ، إذ يتطابق فيه الدال والمدلول سبع مرات بنسبة ٤٧ ٪ تقريبا . أى أن هناك علاقة عكسية ، فكلما قل تردد الدال ارتفعت نسبة التطابق ، وهو مؤشر له خطورته ، إذ يعلن عن خاصية تعبيرية فى الديوان ، وهى أن اتساع الممارسة الصياغية هى الوسيلة الصحيحة لإنتاج الشعرية ، وليس معنى هذا أننا نطالب المبدعين بالتحرك الصياغى فى دائرة التكرار بشكل لازم لتحقيق الشعرية ، ولكن معناه أن اتساع دائرة التكرار يمثل أداة شعرية من الطراز الأول ، إذ من خلالها تتحمل الدوال كثيرا من المدلولات التى لا تحتملها مما يثرى اللغة ، ويضيف إليها كثيرا من الدوال الجديدة . وتنعكس وحدة الذات المبدعة على عملية البناء الصياغى ، إذ يتحقق فى هذا المحور ما تحقق فى سابقيه من وجود منطقة فراغ ، حتى فى منطقة التطابق ، وعلى هذا يمكننا أن نقول إن التطابق بشكله الدقيق يكاد ينعدم فى هذه المحاور الثلاثة .

ويمكن رصد التطابق فى محور البدن بتحديد تراكيبه الدلالية : (هزائم البدن) ، (هرم البدن) ، (رعشة البدن) ، (عرى البدن) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا كان المرجع المعجمى يقدم البدن من خلال علاقة العموم والخصوص مع الجسد ، فإن ذلك يقتضى على الفور نوعا من التوسع الدلالى فى وصف (البدن) بمواصفات شمولية لا تكون إلا للجسد فى عمومه ، ولهذا رجحنا انضمام هذا المحور إلى سابقيه فى نمطية العلاقة بين الدال والمدلول .

والنموذج التطبيقى لهذه الظاهرة يمكن متابعته فى الفصل الرابع والثلاثين من (دائرة انعدام الوزن) حيث يقول الشاعر :

أتأهب لمنازلة النوم ،
يمام يهدل فى ذاكرتى ،
ويعشش فوق خرائب أرصفتى ، ومناراتى المعتمة ،
وبدنى الشائخ الهرم

ويظل الملمح الأسلوبى له حضوره اللازم ، حيث تتجلى الذات فى فعل (التأهب) فى السطر الأول ، ثم يستمر تجليها - فى السطر الثانى - من خلال (الياء) فى (ذاكرتى) ، (مناراتى) ، (بدنى) والجمل الشعرية على هذا النحو تمثل منطقة جذب للموضوع ، حيث توحده بالذات ، لنواجه بنوع التجلى العرفانى .

وتجىء جدلية (المنازلة) رامزة إلى الدخول فى عالم الغيبوية ، حيث يتيح للذات شهود عالم الباطن ، ومن خلال الغيبوبة تتمكن من تشكيل عالمها بقدرة الخيال الخلاق ، هروبا من واقع مرفوض تسيطر عليه ظواهر التحلل التدميرى .

تبدأ الصياغة - فى السطر الأول - بانفراد الذات بفاعليتها الداخلية (أتأهب) المقترنة بزمن الحضور ، ثم يئول انفرادها إلى ثنائية انشطارية عن طريق المفاعلة (منازلة) التى تحقق توترا بالغا بين التكوين المادى (الجسم) ، والتكوين المعنوى (النوم)

ويبدو أن الصياغة أضمرت نتيجة المنازلة كما يبدو - أيضا - أنها حسمت لصالح الطرف الثانى ، ومن ثم تخلصت الذات من فاعلية التأهب لتتيح المجال لنشاط آخر يتجلى - فى السطر الثانى - هو نشاط الباطن النفسى الذى يفرز مجموعة من التشكيلات الخرافية بوسيلة تعبيرية أثيرة شعريا ، وهى خلخلة العلاقة بين الدوال والمدلولات ، فخرجت (الذاكرة) من دائرة المواضعة لتتحول من كينونتها المعنوية ، إلى منطقة ذات بعد مادى صالح (لهديل الحمام) فيه .

ويستمر هذا التشكيل - فى السطر الثالث - ممتدا ، حيث تحتمل هذه المنطقة الخرافية وجود (العشش والخرائب والمنارات) بالإضافة إلى حلول الذات نفسها فيها ؛ لكنه حلول ذو مواصفات صالحة للتطابق مع (البدن) من (الشيخوخة - الهرم) .

فإذا كان البدن من ناحية قد توافق مع مدلوله بمجىء هذه المواصفات ، فإنه من ناحية أخرى قد افتقد هذا التوافق عندما اختار الذاكرة محلا يستقر فيه ، وهنا يتحقق الفراغ الذى نتحدث عنه ، والذى ينقل الصياغة إلى دائرة الشعرية .

(١٠)

ومتابعة قراءة الديوان على هذا النحو تؤكد طابع الشعرية فيه ، من حيث التعامل مع المفردات تعاملا متحركا ، يبدأ - غالبا - من منطقة المعجم ، ثم يغادرها سريعا إلى دائرة (اللطائف) كما يقول عبد القاهر الجرجانى .

ويلاحظ أن التعامل الإفرادى لم يكن مقصودا فى ذاته ، وإنما كان بمثابة مرحلة تمهيدية لبناء التراكيب ، إذ هى المقصود الأول فى كل عمل لغوى ، ومن ثم يمكن القول إن المهمة الإفرادية كانت مزدوجة الوظيفة ، مرة كانت موظفة فى عملية الاختيار التى يجريها المبدع فى مخزونه اللغوى ، ومرة أخرى عند دخولها فى بناء التراكيب عن طريق عقد العلاقات النظمية .

ويلاحظ هنا أن المتابعة التحليلية سارت فى خطين متوازيين ، حيث تحركت وراء المفردات إحصائيا ومعجميا ، ثم انتقلت إلى التراكيب سياقيا ودلاليا .

وقد أكد هذا وذاك بعض الظواهر السيادية فى الديوان ، منها تضخم الذات داخليا وخارجيا . وهو أمر يعكس إحساسا داخليا بالوحدة والضياع ، ومن ثم كان الإغراق فى عالم الجسد هو الوسيلة المثلى لمواجهة هذه المشاعر الطارئة .

وقد انعكس ذلك فى بناء الأسلوب ، حيث تراكمت البنى اللغوية متصلة أحيانا ومنفصلة أحيانا أخرى دون ارتباط بخط دلالى محدد ، ومن ثم كانت حركة الصياغة تتوقف أحيانا قبل اكتمال المعنى ، أو تواصل حركتها بعد اكتمال المعنى ، وقد ساعد على هذه الظواهر التخلص الواضح من الإطار الإيقاعى ، والاستسلام المريح لعملية التداعى التى كانت تقوم بمهمة الربط بين الدوال لتنتج التراكيب .

القاهرة : محمد عبد المطلب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحو واقعية أسطورية .. خطوة فى طريق

« أطفال بلا دموع »

رواية علاء الديب

توفيق حنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بداية أولى :

أحرص كل الحرص على متابعة هذا البرنامج الثقافى الذى يوفق فى تقديمه كل التقوفيق الشاعر فاروق شوشة .. برنامج « أمسية ثقافية » .. تابعت الحلقة التى دارت حول « أطفال بلا دموع » مع كاتبها علاء الديب .. ومع الناقد د . سيد البحراوى .. وكان من أهم ما خرجت به من هذه الأمسية أن سيد البحراوى فى محاولته أن يصنّف هذه الرواية قال إنها أسطورة واقعية .. وكنت قبل أن أستمع إلى هذه الأمسية .. وبعد أن قرأت « أطفال بلا دموع » قد أطلقت على رواية علاء الديب ما يقرب كل القرب من معنى عبارة سيد البحراوى .. فسمّيْتَها : الواقعية الأسطورية .. واقصد أن الرواية واقعية ولكنها ــ لتأكيد واقعيتها ــ اختار لها مبدعها هذا المعادل الأسطورى ، فى أسطورة رجب عن الكهف والكنز والذهب والجماجم ورقصة الديك .

وكنت أحاول وأنا أقرأ رواية « أطفال بلا دموع » أن أجمع ــ كما فعلت إيزيس مع زوجها المزق أوزوريس ــ أشلاء أسطورة رجب من كل فصول الرواية الثمانية .. وعندما وفقت واجتمعت لى فقرات هذه الأسطورة شعرت كأن الحياة قد دبت فى رواية « أطفال بلا دموع » .

بداية ثانية :

برغم أن الراوى يتحدث عن عنوان الرواية فيقول :

« أطفال بلا دموع .. اسم كأى اسم » ، فقد توقفت طويلاً عند هذا العنوان .. عنوان هذه الرواية القصيرة ــ أوبمعنى أدق ــ هذه الرواية القصيدة .

يقول الراوى « طلب منى أغلب المحبّين صورة معينة « بوستر » جديد لرسام إيطالى غفل ، صورة لفتى أجنبى يرتدى قبعة مستديرة ووجهه أيضاً مستدير ، وعينه اليمنى واسعة محمرة يترقرق فيها دمعة ثابتة ... أعدهم بالبحث عنها ، وأقول : لكننى أريد أن أحضر لكم من القاهرة صوراً لأطفال بلا دموع . لكن لا أحد يحفل بما أقوله ، أو يفهم ما أعنيه » .

ويقول الراوى أيضاً : « كنت أقطع الشوارع الجانبية فى طريقى إلى ميدان الأوبرا القديم ، لكى أبحث هناك عن صور الأطفال الملونة ذات الدموع الثابتة .... قطعة صغيرة من الأحزان الملونة ، .... صارت دمعة الطفل الثابتة هذه رمزاً للهموم والأحزان » .

وفى نهاية القصيدة الرواية يقول الراوى : « أما العدل

القديم ، والحق ، والنبات الأخضر، والطفل الصغير ، فقد صارت نكتاً سوداء ..»

ويقول أيضاً عن الدمعة الثابتة ، لا فى العيون ، بل فى القلب : « قرأت القرآن كثيراً فى القرية ، وصليت فى وطنى الثانى ، وحدى وفى الجوامع والشوارع ، فى الفجر والعصر ، ووضعت فى شقتى الخالية بعد رحيل الأولاد — سجادة صلاة مزركشة ، ومصحفاً كبيراً على كرسى خشبى ، واقتنيت كتب أوراد وأدعية وغلفتها بأوراق خاصة ، وأخفيتها عن عقلى وعن الزوار ، وعلى الرغم من كل شىء فإن الدمعة الثابتة فى قلبى لا تفارقنى ، ومنطق الأحزان لا ينجاب » .

وقبل أن أفتح الكتاب توقفت عند هذه اللوحة التى أبدعها الفنان بهجت .. نرى فيها هذا الطفل الكبير بنظارته الطبيةوبهذه العيون التى تمتلىء بالدموع الثابتة .. ونذكر هنا كلمات الراوى « أرى وجهى فى المرآة القديمة ، ذقن نابت ، وعينان مرعوبتان . »

أما الرسوم الداخلية فقد أبدعها الفنان إيهاب الذى يكاد يصبح الفنان الخاص لصديقه علاء الديب .. ونلمس هنا مدى التكامل والتراسل بين الكلمات والخطوط ونرى أن التشكيل لا يقوم بوظيفة الموسيقى التصويرية .. بل هو يصور ويشكل تلك المعانى التى تملأ الفراغ بين السطور والكلمات .. والرسوم فى يد الفنان إيهاب تستحيل إلى لوحات تتداخل فيها الكائنات والأشياء تداخلاً موسيقياً بناء .. وكأن الفنان يريد أن يصور لنا هذه الفوضى النفسية والاجتماعية والاقتصادية فى حياة البطل وسلوكه — أو راوى — « أطفال بلا دموع » الدكتور منير عبد الحميد فكار .

وعلاء الديب ، هو أيضاً فنان تشكيلى بالكلمات .. شاهد معى هذه اللوحة : « وراء هذه النوافذ والأبواب المغلقة كتلة حمقاء من البشر ، لا تعنينى ولا تخيفنى ....أحب أن أكون مثلها ولا أستطيع ، أهرب منها ، وأتلصص عليها ، أراها دُمىً مصنوعة من ذلك الحشو البترولى الخفيف ، تضرس أسنانى لو لمسته .. »

وهكذا وقفت طويلاً عند « أطفال بلا دموع » .. قلت إن العنوان يوضح ارتباط الدموع بالطفل عند خروجه — أو بمعنى أدق — دخوله إلى دنيانا وواقعنا .. وكأنه يلخص فى هذه الصرخة كل عذاباته وأحزانه وإحباطاته وسقطاته التى سوف يلقاها أو يتلقاها فى مقابل الأيام .. ولكننا نشعر أن علاء الديب أراد بهذا العنوان أن يقول شيئاً آخر .. شيئاً جديداً غير مألوف .. لعله يقصد نوعاً جديداً من الأطفال يستقبلون الحياة لا بالدموع بل بالمقاومة الجسور .. المقاومة فى سبيل بناء عالم جديد .. عالم يعيش فيه الأطفال بلا دموع وبلا أحزان ... ولعله كان يذكر أطفال الحجارة الذين يدافعون عن وطنهم وأرض آبائهم .. يريدون بناء مستقبلهم السليب .. ولعل علاء الديب أراد عن طريق مزج الواقع بالأسطورة أن يصور حلماً « طوباويًا » لعالم يعيش فيه الأطفال بلا أمراض أو آلام أو تشرد أو ضياع ..

وأشعر أخيراً أنى لم أوفق بعد إلى المعنى الحقيقى لهذا العنوان : « أطفال بلا دموع » !

* * *

بداية ثالثة :

أريد أن أجد الباب الذى أنفذ منه إلى دنيا « أطفال بلا دموع » وواقعها .

بعد أن تنتهى من قراءة « أطفال بلا دموع » تحاول أن تجد أو تكتشف هذه العلاقة الفنية والإنسانية التى تقوم بين الدكتور منير عبد الحميد فكار — الراوى — وبين رجب بائع الدوم والحلوى والجوافة فى « كفر شوق » ، وتحاول أن تصل إلى سر هذا الشكل الفنى الذى اختاره علاء الديب لكى يقدم به أو فيه موضوعه ومضمون روايته ..

أراد علاء الديب أن يوجد معادلاً أسطورياً لهذا الواقع الذى نعيش فيه .. فوجد هذه الأسطورة عن الكهف والكنز والذهب والجماجم والتى أحب أن أدعوها فى كلمتين « رقصة الدِّيك » .. تلك الأسطورة التى رواها له رجب فى « كفر شوق » وكان الراوى صبياً فى الحادية عشرة ، يقول الراوى : « لا أعرف كيف أعود .. صبى فى الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثةعشرة .. ثلاث سنوات أمضيتها فوق هذه المحطة وتحتها مع رجب بائع الدوم والجوافة والأساطير والصور المعلقة وراءه عن أبوزيد ومارجرجس و عنتر والخضر وليلى .. يفرش البضاعة بالنهار وينامها وينام إلى جوارها بالليل » وفى فقرة أخرى فى فصل آخر من فصول الرواية الثمانية يقول الراوى :

« عندما يجمع رجب أشياءه ويستعد لقضاء الليل جنب بضاعته تحت رصيف المحطة كان يقول لى وهو يصرفنى : « اسمع أوّ لاَ تسمع ، لقد ابتلع الكهف زوجتى وذهب ببصر ابنتى وعقلها ، ويوماً سترون الكهف وتصدقون رجب ، سيكون هناك ذهب وأحجار لامعة وجماجم ، وستقوم البلد وتقعد بحثاً عن ديك بلدى ملوّن يرقص مذبوحاً ليخرجكم » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن من هو رجب الذى أراه البطل الحقيقى لرواية « أطفال بلا دموع » ؟ يحدثنا عنه الراوى :

« الأمر المؤكد الوحيد أنه لم يكن من أهل البلد ، كان غريباً ، جاء من الشمال ، جاء من عشر سنين ، أو من عشرات السنين ، وكانت له زوجة وابنة بيضاء ، شعرها أصفر وعيونها ملونة ، لم أرهما أبداً ، يقولون إنه كان صاحب صنعة ودكان ، وأنه كان نجاراً ، كذلك يقولون إنه كان صاحب بيت صغير فى أطراف القرية ، بناه بنفسه ، وأشعل فيه النار بنفسه فى سنوات بعيدة لم أعشها ، ولكنها حاضرة فى ذهنى مليئة بالتفاصيل ، كأن النار ما زالت تأكل أثاث البيت القليل ، ممسكة بعروق الخشب فى السقف »

* * *

الأسطورة والواقع :

على الأسطورة يقوم بناء رواية « أطفال بلا دموع » ، بها تبدأ وبها تنتهى .. وتتردد ـــ نغمات هذه الأسطورة ـــ فى كل فصل من فصول الرواية الثمانية .. وكأنها اللحن السائد فى هذه السمفونية .. سمفونية الاغتراب .. فى أول سطور الرواية يقدم الكاتب إطارها المكان الذى سمعها فيه من صاحبها رجب .. فيقول :

« كوبرى عتيق من حديد وخشب ، فى آخر رصيف المحطة من الناحية القبلية ، ذرات غبار متصاعد ، ظلال شجرة عجوز تقاوم ضوء النهار المنكسر . للمحطة جانبان ، ناحية مهجورة والأخرى مطروقة فيها شباك التذاكر ومظلة الانتظار ، ودكة خشبية خضراء ، وبلاط ملون قديم ، قضبان صدئة مكومة ، وفلنكات متآكلة ، ومعبد مهجور » .

عن الأسطورة يقول الراوى : « حاولت فى صبای وشبابى أن أكتب قصة رجب والديك والكهف ، وأصوات المحبوسين مع الذهب ، لكننى لم أصل أبداً إلى شىء مقنع . كانت تخرج أحياناً كقصائد العامية ، وأحياناً أخرى كقصيدة رمزية ناقصة ، لكنها لم تنقل أبدا روح ذلك الكابوس الحى الذى كنت أعيشه » .. ويحدثنا الراوى عن الكتابة القديمة : « من يقدر الآن على الطهارة التى تتطلبها الكتابة ؟ طهارة تحتاج إلى وضوء وصلاة ، وجلباب أبيض نظيف ، وجسد مغسول وروح حرة ، هى تحتاج إلى قدرة واحتشاد » ويقول الراوى عن رجب وهو يروى الأسطورة : « هو الذى يتكلم ويحكى فقط ما يشاء وقت أن يشاء ، لو أراد رجب أن يكتب لصار أديباً فريداً وصاحب أسلوب مميز » وعن أسلوب رجب وهو يحكى أسطورته يقول :

« لا أحد يربط الجمل ببعضها مثله ، ولا أحد يقدر على أن يدارى الموضوع الحقيقى بموضوع بديل يحل محله فى الظاهر ، فيخفى ملامحه ، ويزيده اشتغالاً فى الذهن ، وكانت أسطورة الديك والكهف هى الموضوع الأساسى ، بل الموضوع الوحيد الذى صنع حوله آلاف التنويعات وملايين الصور والنغمات ، كان يكاد يرسمه أو يغنيه » .

ولو أردت أن أحدثك عن أسلوب علاء الديب فى روايته ، لما وجدت أبلغ أو أدق من كلمات الراوى عن أسلوب رجب .. ويتابع الراوى حديثه عن رجب وهو يحكى روايته « .. السنوات الثلاث التى صاحبته فيها جالساً إلى جواره طوال أيام الأجازة ، من الصباح إلى ما بعد العشاء ، كنا نسكت لساعات ، نحدق فى الكوبرى القديم ، أو الشجرة العجوز ، ويحدق فى الجبل البعيد ، حوله سماء داكنة غامضة ، ثم فجأة يلتقط خيطاً وهمياً ، ويواصل الحديث ، يبدأ من أية نقطة ، وتتوقف فى فمه الأحداث تعلمت ألا أسأله ، فهو لن يجيب » . ثم يقول الراوى ـــ وكأن علاء الديب يوجه لنا ـــ نحن القراء ـــ الحديث : « الأمر المؤكد هو أنه كان يحب أن أصدقه ، أن أومن إيماناً كاملاً بصدق ما يقول » .

ويقول الراوى عن مدى تأثره وهو صبى صغير بأسطورة رجب .. وهو يقفز من واقعه الفقير إلى الأسطورة / الحلم : « كنت أسمع أمى تقول إن الفلوس ركبها عفريت ، ولكننى كنت أصلاً مشغولاً بالكنز الموجود فى الكهف .. هى قدرة غامضة تغيّر الناس ، تغير شكلهم وملامحهم ولون بشرتهم ، وسيرهم بين الناس ، وترفع صوتهم بالضحك والغناء ، وتجلب ألوانا من السعادة لا يمكن أن توصف بسير الناس بقوتها على أرض من رخام ، وفوقهما أسقف من بللور ، تغير عيون الناس وأسماءهم ، تطيل قامتهم بين الأرض والسماء ... فى الكهف يشد الذهب الرجال والنساء ، فتلتصق عيونهم به ، فلا يعرفون كيف يخرجون فى الوقت المناسب »

والآن بعد هذه الكلمات عن رجب وعن أسطورته أسوق إليك نص هذه الأسطورة « رقصة الديك » :

« فى الجبل كهف ، فى الكهف مغارة ، فى المغارة كنز ، لا أحد يفتح الكنز حتى يحرق بخوراً ، البخور لا يحمله أحد إلا أعرابى رحّال قادم من المغرب ، يقف خارج القرية ، ولا يدخل ، يلقاه صاحب الحظ ، فيشترى منه البخور . وإذا انتهى البخور والطامع فى الكنز لم يقنع بعد ، تغلق المغارة عليه ، ويبقى فى الكهف لعام كامل ، لا تخرجه سوى رقصة الديك يذبح فوق أحجار المدخل » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه هى الأسطورة . والآن أقدم لك الواقع ..

يقول الراوى وهو يتحدث عن الظروف التى دفعته إلى الهجرة إلى ماأسماه « الوطن الثانى » ولا أدرى هل يمكن أن يكون للإنسان أكثر من وطن وأكثر من ولاء .. ليس للإنسان إلا وطن واحد .. إليه ينتمى .. وله كل الولاء .. او يصبح مواطناً عالمياً ينتمى إلى هذا العالم .. إلى هذه القرية الكبيرة .. يقول الراوى :

« بدأ الأمر وكأنه مؤامرة خاصة صغيرة ، كنت خالياً جافاً صغيراً وسط ضوضاء وصخب . وكان غبار الهزيمة فى ٦٧ مازال يتصاعد حولى فى كل الأزقة والأركان ، وحتى من أفواه الناس فى وسط الأنقاض . وبدأت عملى معيدا للغة العربية فى الكلية (دار العلوم) ، وقد تحولت إلى غابة عنيفة ، تدوس فيها سيارات الطلبة ، وتصرخ من حولها مكبرات الصوت واجمع أوراقى وما بقى فى رأسى من أفكار وأتوارى فى ركن مقهى ، أنفض التراب عن جاكتتى القديمة ، أحاول أن أفهم ما يدور » .

ثم يصف موكب الطيور المهاجرة :

« كان طابور النمل قد بدأ يزحف خارجاً من مصر ، فى كل يوم أسمع عن صديق هاجر ، أو صديق خرج فى إعارة ، أو مجموعة قفزت على ظهر طائرة ... ما حدث فى القاهرة كان قد امتد إلى « كفر شوق » ، وإلى كل مكان ، طوابير النمل تفر خارجة بعد أن نكشت أعشاشها وتصارعت بما فيه الكفاية على الفُتات »

ويصف الراوى مدى التمزق بين الناس .. وبخاصة بين المثقفين — وغيرهم — من أبناء هذا الوطن .. وفى كفر شوق يصور هذه القطيعة بين المتعلمين من أبناء القرية والفلاحين .. يقول :

« عندما يأتى فلاح لكى يجلس معنا ... فإنه غالباً ما كان ينظر إلينا فى ارتياب ، لا يفهم حديثنا ، ولا يستسيغ صمتنا ، وكأنه يقول لنا : أنتم سبب البلاوى ، ماذا فعلتم بالبلد ؟ »

ويعود الراوى إلى نفسه .. وكأنه يعتذر .. أو يدافع عن موقفه .. أو يحاول تبرير سلوكه .. يقول :

« لم يكن فى صدرى متسع لهموم البلد التى اشتعلت كالحريق ، فقد كان فقرى وإحباطى يخنقانى ... لم أعد أستطيع أن أحتمل تصور مصير مدرس اللغة العربية ، الفقير ، الشهيد ، المتواضع ، أن أتحول إلى حمار مصرى طيب يمشى على مدق إلى جوار حائط ، يحمل أسفاراً ويوصل طلبات الثقافة العربية إلى منازل الطلبة الذين يسمعون الديسكو ، ويأكلون الهمبورجر ، ويلقون الفتات إلى الدرويش الذى يقف على الباب يردد النصوص والأشعار ..

اتخاذ القرار :

« صارحته (صديقه عبد الله الجمال) وصارحت نفسى برغبتى الحارقة فى الرحيل ، ردد على مسامعى لأيام ما كان يتردد عن أن الخروج من الوطن تخلٍ وخيانة ، وأن الدور الحقيقى هنا ، وأن الوقت مازال مبكراً لبيع النفس والأفكار مقابل بعض الدولارات » . ثم يقول الراوى ساخراً « ورغم انه من حملة البلهارسيا وأمراض الكلى فقد كان يشد ظهره بيديه ويقول : الأشجار تموت واقفة ! وضحكت حتى دمعت عيناى » . وأخيراً يقول بعد أن اتخذ قراره : « لم تستغرق مؤامرتى الصغيرة أكثر من شهور ... » توقفت عن رؤيته (صديقه عبد الله الجمال) وصرت أتهرب من لقائه » . وقبيل رحيله إلى ما أسماه « الوطن الثانى » يقول : « صليت لربى كثيرا ، بكل ما كنت أحلم من أحلام ، وشحنت كتبى وأوراقى لكى تدفن فى « كفر شوق » ، وأنا أنتظر الختم الأخير على الورقة الأخيرة ... سافرت وفى رأسى دوار ... لم أنظر بعدها خلفى ، فقد غرقت فى وطنى الثانى ! »

ويعود الراوى فى إجازته الصيفية .. التى هى زمن رواية « أطفال بلا دموع » ويقول وهو فى الإسكندرية متحدثاً عن واقع وطنه (الأول) :

« أشترى الجرائد كلها ، وقبل أن تبللها ، رطوبة البحر ، أكون قد عرفت أن الكرة قد أصبحت هناك فى ملعب وطنى الثانى ، وأن الحوار العلمى غير الأيديولوجى يصيب البلد كلها بالصداع ، وأن هناك حمقى كثيرين يتعرضون للإفلاس لأنهم وضعوا نقودهم فى جيوب غيرهم ، وأن هناك جرائم بشعة ترتكب فى المدن الجديدة ، وأن هناك من يضعون الجثث المقطعة فى أكياس البلاستيك تحت مقاعد القطارات » ثم يقول وكأنه يلخص هذا الواقع فى جملة موسيقية مفيدة :

« واقعى الذى أعيشه كاذب ، ضربات بيانو واضحة مستقلة ينقصها السياق » .

وحتى نلمس مدى الخواء والضياع والغربة فى حياة الراوى وقد قاربت إجازته أن تنتهى .. نقرأ هذا الخطاب الذى كتبه لأولاده .. ولكنه لم يرسله فقد مزقه والقاه فى البحر :

« تحياتى وأشواقى . أبعث لكم حبى الفارغ الذى لا معنى له ، رأسى شاب ، ولا أستطيع الحكم لكم أو عليكم .

لكم حسابات ونقود كثيرة عندى ، وليست لى قدرة على العطاء ، لكم بعد موتى ميراث كبير ، اقتسموه جيداً بينكم ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، أما أنا فحظى قد عرفته » .

ثم يقدم الدكتور منير عبد الحميد فكار هذه الصورة الواقعية المناسبة للواقع الذى يحيط به .

« عندما أخرج فى جولة للتسوّق ، أو أسافر فى رحلة قصيرة لمعاينة قطة أرض ، أو شقة جديدة فى صحبة صديق سمسار أو سمسار صديق ، أراقب الأشياء والناس حولى .. كلهم يحسبون ، يجمعون ، ويضربون ، ويقع « الخصم » دائماً على كل ما هو تلقائى ، أو طبيعى ، أو إنسانى » .

ووسط هذا الكابوس يحس الراوى بحنين جارف إلى طفولته وإلى قريته .. حنين حزين دامع :

« أعود أذكر قريتى .. شارعها الترابى ، أرض ميدان المحطة المرشوش بالماء . تهفو نفسى لمنظر قبل الغروب فى شرفة بيتنا ، فى يد أبى مسبحة سوداء ، وفى البيت رائحة خبز طازج ، وخضرة باذخة نقية تحيط بكل المكان » .

* * *

وكما ذكرت سابقاً تتداخل أحداث الأسطورة وتتشابك وتتقاطع وحوادث الواقع .. يقول الراوى أثناء وجوده فى الاسكندرية مع صديقته « أم عصام » :

« لا أحد يعرف رجب إلا أنا ، إنه هو حيالى الذى يأتى ولا أستطيع أن أصرفه » . ويقول أيضاً « بقيت أنا صاحب رقصة الديك ، أحملها فى رأسى ، وأتحدى بها المنحوس والمتعوس وخائب الرجا » . ثم يقول وكأنه يخاطب القارىء فى شخص أم عصام : « لطالما حكيت لها (أم عصام) رقصة الديك ولكنها تنساها .... هى لا تريد أن تربط الخيوط والنهايات ، لا تريد أن توحد النسيج بينى وبين رجب ، وبينى وبين الكنز والكهف والمغارة » .

ويقول الراوى معتزاً بأسطورته وحريصاً كل الحرص على أسرارها ، ويوضح علاقته برجب صاحب الأسطورة وراويها الشعبى الأول : « رجب صاحب رقصة الديك ، ولكن أنا الذى سأكتبها ، أكتبها كما لا يعرف أحد أن يكتبها ... لو كتبتها لتغير وجه الأدب العربى المعاصر »

وفى شطحة فنيّة وإنسانية صادقة يقول متحدياً :

« من هو فوكنر ومن بروست وديستويفسكى ؟ وماذا يقصد نجيب محفوظ ؟ .. ماذا يعرفون عن الجنون والفقر وحلم الثراء والكنز ؟ .. ماذا يعرفون عن أساطير الصعيد ، والجبل ولياليه ورجاله ، وعن القرى المخبيّة منذ ملايين السنين ، وما يحدث فى داخلها بين الرجال والنساء ؟ » .

ومن هذا النسيج ، وكأنه سجادة فارسية ، من الأسطورة والواقع يبدو أن علاء الديب يريد أن يقول إن رجب هو الذى رسم للدكتور منير عبد الحميد فكار منحنى مصيره وخطط مأساة حياته .. أو كأن رجب هو الوجه الأسطورى لواقع هذا الغريب المغترب الوحيد الذى يخاطب نفسه : « صرت غريباً وحيداً يا دكتور .. دكتور منير عبد الحميد فكار ، أستاذ الأدب العربى فى جامعة المطل بمدينة دلوك » .

لقد فقد رجب زوجته وابنته وطرد من « كفر شوق » ، وفقد بصره ، وهاجر مضطراً إلى الاسكندرية ، يقوده فى طرقاتها صبى أعرج ، ويبيع الفول السودانى عند مدينة الملاهى ..

كذلك فقد منير عبد الحميد فكار زوجته وأولاده ، وهاجر مضطراً تحت تأثير ضعفه وفقره وعجزه إلى بلد آخر غير وطنه وأطلق عليه « الوطن الثانى » ليبيع كلماته ومحاضراته .

ومأساة رجب ود . منير عبد الحميد فكار تتلخص فى هذه الحكمة التى تذكرها الراوى .. وهويقول نادماً — أو بمعنى أدق — مقرراً ومسجلاً « ماذا يستفيد الإنسان لو كسب الدنيا وخسر نفسه ؟ »

وفى ليلة عودة د . منير عبد الحميد فكار إلى وطنه (الثانى) نراه يلم — أو يلملم — أطراف الأسطورة . ويضعها أمامنا وكأنها لحن الختام لهذه السمفونية الحزينة .. « سمفونية الاغتراب » .. يرى رؤياه بعد اختفاء القمر .. وهو فى شرفة بنسيون القاهرة :

« أشاهد أمامى كوبرى محطة « كفر شوق » المصنوع من الحديد والخشب ، والشجرة العجوز وقد احتوت كل الأضواء المتكسرة ، وصارت ليلاً ونهاراً .. سامقة غامضة لها عيون صفراء ، شجرة محطة « كفر شوق » مزروعة أمامى فى قلب شارع الأسفلت ، ليس تحتها تراب ، تحتها يمشى رجب طويلاً ، يرتدى « بنطلون كاكى » ويمسك فى يده حذاء ضخماً ، رأسه ملفوف بشال ، عيونه تختفى تحت نظارة سوداء ، يسير أمامه فى الشارع ديك بلدى ملوّن كبير ، أسمع صوت مخالبه الصفراء ذات الأظافر على الأسفلت ، ورجب يخطو خلفه بأقدام خافتة لا صوت لها ، كأنهما — هو الديك — صاحبا البلد ، يتجولان فيها بعد اختفاء القمر ، بينهما فى نهر الشارع مسافة ثابتة ، الديك يهتز فى خطواته أنيقاً واثقاً ، ورجب خلفه يزداد ضعفاً وهرماً ، يسقط الحذاء من يده ، فردة ، فردة ، وتزحف أقدامه العارية على الأسفلت محدثة صوتاً كأنه الفحيح .

عند إشارة المرور توقف الديك متلفتاً حوله ، فارداً ألوان جناحيه ، وتساقط رجب يبتلعه الأسفلت ، كأنه بناء من طوب أخضر تحول إلى تراب .

وقبل أن أرى ضوء الفجر اقتحم الأفق مغربى بدوى رحال ، يحمل اكياساً وأحمالاً ملونة ، مسح بكفه على أسفلت الشارع ، فانطلقت منه أشجار ودخان وبخار . رأيت الديك يرقص مذبوحاً ، وقد غمرت إشارات المرور دماؤه .

* * *

وراء « أطفال بلا دموع » أمل كبير ومشروع عظيم ، وكأن هذه الرواية القصيرة تشير إلى تلك الكنوز من التراث الشعبى ، من الحكايات والأساطير والحواديت وكل ما يتعلق بالمأثورات الشعبية ، وبكل ألوان الفنون الشعبية ، بالكلمات أو بالصور أو بالنغمات ، تشير إلى هذه الكنوز الدفونة فى أرض بلادى والتى يحملها فى قلبه وعلى لسانه رجب وأمثاله من أبناء هذا البلد العريق ... وهذه الصورة الأخيرة للأسطورة هل يريد بها علاء الديب أن يقول إن هذا التراث الشعبى يزداد ضعفاً وهرماً — مثل رجب — وإن مصير هذا التراث الشعبى أن يبتلعه أسفلت المدينة .. الإذاعة والتلفزيون والصحافة ، وكل رجال الأسفلت ومن يدور فى فلكهم ويأتمر بأمرهم ، وينفذ توصياتهم ...

إن هذه الرواية القصيرة خطوة موفقة وجريئة وصادقة فى طريق طويل .. طريق هذه الواقعيةالأسطورية .

وكل عمل فنى ، فى كل الصور والأشكال الفنية ، هو عمل فريد له خصوصيته ، وهو فى الوقت نفسه ينتمى إلى نوع أدبى أو فنى محدد .. كما أن كل فرد منا ينتمى إلى هذه الأسرة الإنسانية الكبيرة ، وفى نفس الوقت هو فرد له اسم خاص وينتمى إلى مكان معين وإلى زمان محدد .

* * *

إن سحر هذه الرواية ينبع أساساً من هذه التجربة الفنية الذكية بل الماكرة — لتقديم هذا الواقع المرفوض عن هذه الغلالة الشفيفة من الأسطورة ... وتأكدت صورة هذا الواقع عن طريق الخيال .. وتحققت الأسطورة واقعاً مأساوياً . وكان رجب — كما قلت — هو المعادل الأسطورى للدكتور منير عبد الحميد فكار ، أستاذ الأدب العربى بجامعة المطل بالدلوك وحتى هذان الإسمان .. اقصد المطل والدلوك يؤكدان أسطورية الواقع — أو فى صورة أخرى — واقعية الأسطورة هذا هو ما شدنى وشد قراء كثيرين إلى هذه الرواية القصيرة — أو بمعنى أدق — هذه الرواية القصيدة : أطفال بلا دموع » .

القاهرة : توفيق حنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

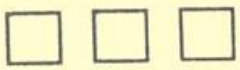

العقـــــدة ● ●

جدل العلاقة بين انسان والمدينة

■ سـليمان البكـرى

تتعدد إبداعات الكاتب فيصبح عطاؤه جزءاً من تراثه الشخصى ، ذلك العطاء المتسم بشمولية التجربة الإبداعية الذى لا يمكن تجزئته وفرض حالة انسلاخ جانب منه عن الجوانب الأخرى لأنه ككل يدل على حجم موهبته الإبداعية . أقول هذا وأنا بصدد دراسة [العقدة] التجربة الروائية الأولى للدكتور محسن الموسوى الذى عرفناه ناقداً قدم إنجازات مؤثرة فى ساحة النقد العراقية والعربية .

فى نتاجه الجديد يتبين لنا وجه الموسوى الآخر غير الذى عودنا عليه فى النقد ، إذ هو مشروع كان قد أرجأه زمناً وبدأ بـ [العقدة] ليتابعه فى اصدارات قادمة .

تبدو الرواية الجديدة مثيرة إذ يعتمد المؤلف رؤيا تجريبية تخترق حواجز السرد التقليدية بغية تنظيم فوضى الزمن وإعطائه مساراً خاصاً فى محاولة لإظهار أفكار الشخوص ودواخل نفوسهم .

قيمة الرواية تتجسد فى تجاوزها للحدث وتركيزها على الأفكار لأنها تستطيع مواجهة الحياة والرد عليها ، فتحريك الذهن ليقوم بمهمة المواجهة إتجاه صائب فى الرواية وفّق الكاتبة فيه ساعياً لاكتناه غموض النفس البشرية .

يضع الروائى أبطاله فى موقف صعب ، الإنسان فى مواجهة المدينة والتحولات التى تعرض نفسها بقوة وتؤدى إلى بشاعة فى الممارسة اليومية . وبقدر ما تقدم الرواية من صراع فكرى فى مواجهة معضلات الحياة تظل ممسكة بزمام اصطراع الإرادات كما سنبين بعد .

المدينة ــ وهى تمر بمخاضات الزمن وتحولاته ــ تحمل لشخوص الرواية الواناً كثيرة من العذاب وعُقداً مدمرة [من الكبت والقهر الذى نحمله مكبلاً لعواطفنا وعائقاً لمشاعرنا] ص ١٠ [هذه الافتتاحية للرواية تضع شخوصها [على مفترق طرق .. أعقاب عالم ميت وآخر يجاهد من أجل الولادة]ص ٢٥ .

إن نتيجة هذا التحول أسفرت عن ازدياد عدد الممارسات البشعة التى يقترحها الإنسان فى علاقاته الظاهرة والمستترة ، لكن ثم أمل فى النهاية بانتصار النظام على الفوضى ، ورغم ذلك فإنه انتصار مأساوى مرير .

تتعدد الأصوات فى الرواية ويختلف كل صوت عن غيره بما يميزه من أفكار وآراء عبر العلاقات التى تأسر شخوصها فى شكل من الكتابة اعتمد تقسيم العمل إلى أجزاء تقوم كل شخصية من خلاله برواية دورها وتوضيح علاقتها بالشخصيات الأخرى ، هكذا تبدأ [ليل] فى الجزء الأول و [س] فى الجزء الثانى يتخلل هذان الجزءان مساحتين مهمتين تتصلان بالجزء الأول والثانى وتتداخلان فيهما ، أعنى بذلك صوتى [مصعب] و [د. بسيم] وعودة للتواصل والالتحام ثانية فى حركة دائرية واضحة القصد

تعمق الموقف الذى يتبناه [س] فى مواجهة أحداث العصر وتأثيره على المدينة والناس الذين يعيشون فيها .

[وبقدر ما كانت [ليل] نموذجاً قلقاً فى سلوكها فإن هذا القلق ينسحب إلى أفكارها أيضاً فتتصور أنها شبيهة أبطال [هاردى] الذين خسروا جولتهم مع القدر فلابد لـ [ليل] أن تواجه المصير نفسه وتخسر جولتها أيضاً ، وهو ما حدث حين تزوجت ابن عمتها الذى لا تحبه وأسهمت فى خلق [عقدتها] بنفسها .

لكن هل أسهمت [ليل] وحدها بخلق [عقدتها] ؟ الجواب كلا لأن جوهر الحدث على كثافته وضموره قياساً بالأفكار الكبيرة التى تطرحها الرواية يجعل مسؤولية خلق تلك [العقدة] تنسحب إلى [س] فى جانب والدكتور [بسيم] فى جانب آخر ، إذ نجد علاقتين مختلفتين تقودان البطلة فى طبيعة تعاملها مع الآخرين [بداوة داخلية وحضرية خارجية] ص ٩٤ تنجم عنها المعادلتان الآتيتان :—

١ — علاقة [ليل] مع [س] = حب دون زواج .

٢ — علاقة [ليل] مع [د. بسيم] = عرض زواج دون حب مرتبط بإغراء مادى .

هذا التناقض فى أطراف العلاقة جعل لكل إنسان [عقدته] .

[وتمتد ظلال شخصية أخرى غائبة لتساهم فى خلق [عقدة] [س] التى تنسحب بدورها نحو [ليل] فتقيم [عقدتها] ، أعنى بهذا [وصال] زوجة [س] المتوفاة ، إن ظهور شخصيتها بقوتها المؤثرة فى حياة [س] وقراره عدم الزواج من [ليل] يفسر أن موقف [س] منها والتى كان لتجربته الماضية معها وحبه لها بدت وكأنها تمتلك إرادته لنقائها وصدقها وجمال روحها ، إنها الوجه الآخر لـ [س] يندمجان روحاً وفكراً وسلوكاً حتى لحظة موتها فتتحول إلى ذكرى لا يستطيع تجاوزها . هكذا أسقط [س] حبه على علاقة [ليل] معه وسبب [العقدة] وهو أمر فيه الكثير من الحساسية المتسمة بالصدق والعفة والنبل يمارسها من خلال موقف أخلاقى كانت ثقافته سبباً فيه .

إن مثل هذا السلوك يتألق فى عملية البحث عن الـ [أنا] فى جانب و [الآخرين] فى جانب آخر عبر موقف إنسانى يصعب وجوده فى مجرى الحياة المعاصرة .

ونحن ندرس مقولة [س] التى يرددها دائماً مع نفسه ومع الآخرين أيضاً ... [الإنسان معقد أكثر مما ينبغى] تسحبنا فى عملية كشف عن مكوناته الحياتية فى بيئته وثقافته فنجد جذوره الطبقية تمتد إلى القرية وهذا ما يجعله يتفاعل مع أبناء الريف ويعنى بالميثولوجيا والطقوس الشعبية التى يمارسها الفلاحون [هذا الجانب الإنسانى فى حياته المتسم بالبساطة يقابله فى الجانب الآخر من تكوينه الثقافى سلوك يتعثر بين ما هو سلبى وإيجابى ، ويأتى ذلك من خلال عملية بناء شخصيته وتأثير قراءاته عليها فنكتشف وقوعه فى دائرتها [أشعار عباس بن الأحنف] وتأثيرها عليه مثلاً ، واقتناعه بأنه يعيش إسقاطاته الروحية بعيداً عن عالمه الخارجى ويتجاوزه إلى عوالم [دستويفسكى] . وعذابات ناسه وأشخاصه ومآسيهم ، وتحوله إلى [مانفريد] ومشاركته أبطال [كامو] و [سارتر] همومهم وغربتهم .

هكذا كان [س] دائم الرحيل فى قراءاته وتأثره بالنماذج التى تصادفه فى إبداعات الفكر الإنسانى ، هل أدى ذلك إلى نشوء [عقدة] عنده ؟ والسؤال الذى يطرحه الموقف ، عقدة ضد من ولأجل من ؟ وفى سياق البنية الروائية واصطراع الأفكار فيها يتضح الجواب وتتجلى لنا مقولة [بارت] التى يؤمن بها [س] : — [اصطراع الأفكار والإرادات معاً وهو ما ميز علاقات الشخوص سلبها وإيجابها فبدت كأنها تعيش فى [عالم الأذهان المغلقة] ص ٨٢ .

هل كان هذا العالم يسحب [س] إلى [عقدة] ويجعله أسير نظرة أحادية للحياة والمجتمع ؟ نعم لقد أضحى [س] يفكر بهذا الاتجاه ويؤسس [عقدته] الخاصة ، فموقفه من الزواج هو أن : [سنوات العازب تزرع الشك فى أى نزعات نحو الاستقرار] ص ٩١ . لأن الزواج من فتاة قوية الشخصية يقود إلى خلاف والزواج من فتاة ضعيفة يقود إلى الإشفاق والتناقض وكلتا الزيجتين تقودان إلى سلسلة من العذاب النفسى المرهق ، وحين تظهر [ليل] يكون التحدى ، إلا أن [س] يتراجع فتتبلور [عقدته] تحت تأثير شخصية [وصال] الغائبة .

ولكى تبرز هذه العقدة يكون الخلاص فى اللجوء إلى الله تعالى لتسكن نفسه وتطمئن روحه ومثل هذه الطريق تكتسب فاعليتها وتأثيرها فى السلوك والنفس وهو ما نجح فيه [س] واستعان به خلال اشتداد أزمته حين تزوجت [ليل] من ابن عمتها .

فى الجانب الآخر من صراع الأفكار والإرادات تظهر شخصيتان مؤثرتان [مصعب] وجه مشرق وأكثر جرأة فى اتخاذ القرار من [س] وربما كان الصيغة العملية الغائبة له

التى أراد الروائى أن يمارسها فأخفق عنده ونجح لدى [مصعب] . والدكتور [بسيم] شخصية سيئة رديئة رغم الشهادة الجامعية التى يحملها . علاقة هاتين الشخصيتين بـ [ليل] و [س] تختلف من واحد للآخر باختلاف سلوك الشخصيتين . فـ [مصعب] هو ولادة طبيعية لحياة مستقرة بين البساتين والمدينة . له القدرة على ترويض ذاته ، عايش الاستقرار الاجتماعى والنفسى ، وظروفه طبيعية لم تستطع المدينة أن تقيم [عقدتها] فيه كما فعلت مع [س] و [ليل] لكن حدود هذه الشخصية لا تستقر فى هذه الصورة كما تطرحها الرواية فقد تقيم المدينة عقدتها فيه مستقبلاً عندما يكتشف تداخل الحياة وتشابكها ، ولعل إشكالية رواية [صوتان] التى كتبها تحت تأثير حبه لـ [ليل] وتحرره من الرومانسى إلى الواقع يجعله فى عمل الدكتور الموسوى الروائى مستقراً ومحافظاً على وجوده وكينونته من تأثير المهنة على سلوكه ، وقد تتطور هذه الشخصية فى عمل قادم للروائى لأننى أحس أن ثمة أسئلة ظلت غامضة ومعلقة بحاجة إلى ايضاح .

الاستثناء فى الرواية هو [د . بسيم] رجل خمسينى العمر مهووس باقامة علاقات مع النساء يمتلك التأثير ويتقن التآمر [يتبوأ مكانة معرفية تضمن له الوجاهة فى الإثراء والنفوذ والإغواء] ص ٧٥ وهو نتاج المدينة كما يراه [س] .

هذه الشخصيات التى تناولتها بالعرض عبر علاقاتها سلوكاً وفكراً هى نماذج مثقفة ازدحمت بها الرواية فى طروحات فكرية كثيرة اعتمدت آراء العديد من الفلاسفة والمفكرين والشعراء والأدباء أمثال [اليوت ، لوليردج ، بارت ، فرويد ، أدلر ، هاردى ، كارلايل ، أرنولد] وغيرهم ضمن توظيف تلك الآراء بما يخدم موقف الشخصية وطرحها الفكرى بشأن القضايا التى تناولتها الرواية وبدورها تعكس ثقافة الروائى وتوظيفه المعرفى لهذه الثقافة .

[العقدة] فى نهاية المطاف رواية مطوقة بالثقافة تسكنها الأفكار ، وأبطالها مثقفون معاصرون فيهم من يستذكر ويحلم وفيهم من يخلط الأوراق بمأساوية الضعف البشرى أمام تأثير المدينة . وباختصار هى دفق من الأفكار المهمة التى تثير الجدل وتحمل فى ثناياها أبعاد تجربة إنسانية مؤلمة .

إن الدكتور الموسوى وظف ثقافته وتخصصه كناقد فى إنجاز نص روائى جديد ، وبانتظار عمله القادم ضمن مشروعه الروائى المؤجل نطمئن إلى أنه سيحقق إضافة أخرى إلى تراث الرواية العراقية كما فعل فى [العقدة] .

بغداد : سليمان البكرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

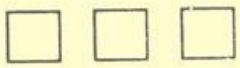

خمســـــون !

غازى عبد الرحمن القصيبى

- إلى « س »
رفيقةِ الرحلةِ المثيرة
مع حبّ الخمسين ! -

خمسـونَ ... تدفُعـكَ الرؤيـا فتنـدفـعُ
رفقـاً بقلبـكَ ! كـاد القلـبُ ينخلـعُ
مِـن الفيـافى التـى آبـارُهـا عطشٌ
إلى البحـار التـى شطـآنُـهـا وَجَـعُ
وأنـتَ فى أفرع الإعصـار متّكـئٌ
على الرياح فما ترسـو .. ولا تقـعُ
خمسون .. ماَ بلَغ السارى ضحى غَدِهِ
ولاَ الـغيـوم التـى تخفيـه تنقشـعُ
أمـا تعبتَ ؟ فـإنّ القـوم قـد تعبـوا
ألا رجعتَ ؟ فـإن القـوم قـد رجعـوا
هلا استرحتَ ؟ فـأقرانُ الصبـا هدأوا
هلاّ غفوتَ ؟ فـأنضاء السُـرى هجعوا

●

خمسون .. صبَّتْ لك الأقـداحَ مُتَرعـة
ونـادمتـكَ فـأنـتَ الـرىُّ والشَبِـعُ
أعطتـكَ ما امتـلأت عـينُ الطمـوح بـه
ومـا تمنَّـاهُ فى أوهـامـه الجشـعُ
سـاقت لـك القمـة الشّمـاء طـائعـةً
وأنـتَ منـهـا عـلى الآفـاقِ تَطّلـعُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حيناً ... وعادت كما انقضّ العقابُ على
صقـر .. فكـاد جنـاح الصقـر ينُتَـزعُ
تَلَّتْـكَ مـن شـاهقٍ للسفـح عـابثـةً
وخلفتـكَ جـريحـاً ضيفُـكَ السَبُـعُ

●

خمسونَ .. فى وصلها صَدّ إذا سمحتْ
وفى الصـدودِ وصـالٌ حـين تمتنـعُ
وأنـتَ غِـرٌّ بـرىء فى حبـائلـهـا
مـازلتَ بالصّـد أو بـالـوصـل تنخـدعُ

خمسونَ .. نادت لك الأصحاب فاحتشـدوا
وحبَّبتـك إلى الأعـداءِ فـاجتمـعـوا
فـأنـتَ مـا بـين حُبّ غيثُـه غَـدِقٌ
وبـين بغضـاءَ منهـا النـار تنـدلـعُ
فـإن مـررتَ بطـرفٍ ومضْـهُ شَـزَرٌ
واساك طرفٌ على إيماضـه المُتَـعُ
وإن شَـرِقْـتَ بـدمـع مسَّـه فـرحٌ
وإن صفـا لـك حلـم غـالـه فـزعُ

●

خمسون .. تحمل جرح الناس .. يا رجلاً
جـراحـه من عـذاب الكـون تـرتضـعُ
أعطيتهم من كـروم الروح مـا عجـزتْ
عنه الكرام فهل ساغوا الذى كـرعوا ؟
وهـل تُراهم وقـد سامـرتَهم طـربـوا ؟
وهـل تـراهم وقـد غنيتَهم سمعـوا !

●

خمسـونَ .. مـامـرَّ يـومٌ دون معـركـةٍ
أمـا تـولاّك فى أحضـانهـا الَجـزَعُ ؟
خمسونَ .. مامـرَّ يومٌ دون جـرح هوىً
ألم يمـزّق حشـاك الـوجـدُ والـولَـعُ ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خمســون .. مـامَّــر يـومٌ دون أغْنيــة
أمــا سئمتَ القـوافى وهى تصطـرعُ ؟
خمسون .. دبّت إلى الفوديْن فـاشتعلا
ـ واحرقةَ الرّأس فيه الشيْبُ والصَلَعُ !
وأنــتَ مــازلــتَ طفــلاً فى مبــاذلــهِ
فــأين منـك الـوقـار الحلـوُ والـورَعُ ؟
مــا رفــرفــتْ نظَـرةٌ إلاّ وعــاجلــهــا
شــوقٌ يمــزّقُ اضــلاعــاً ويقتلــعُ
لكــلّ شقــراَء أو سمــراءَ مُتسـعُ
فيــا لقلبك مــا يحـوى ومــا يسـعُ !

●

يــاربّ ! فى نصف قــرنْ مــايُــردُّ بــه
رشْـدُ الغـوىِّ ومــا يَهـدى ومــا يَـزَعُ
يــاربّ ! ويــلى من يــوم جمعتُ لــه
شتّى الذنوب .. ويلقى الناس ما جمعوا
أتخِمتُ من زهـرة الـدنيـا وزخـرفهـا
ولـم يـعـد بسـوى أحـزانى طمـعُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غازى عبد الرحمن القصيبى

خارج مربع اللوحة

● ملوك جويا ●

جاءَ بهم من ملكوتِ العَتمةِ
أسكنهمْ فردوسَ الألوانْ
اللحمُ الباردُ يتدلّى من فَتحاتِ القمصانْ
والضحكُ الذائبُ ..
يَسّاقطُ من ريشتهِ ..
واللبنُ الرائبُ يتقمّصُ هيئةَ إنسانْ

● ● ●

القى بمبادلهم فى سجنِ الوسواس ..
وسارَ الى حانتهِ الفُضلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● جواد بلاثكث ●

الرمّانىُ الغامضُ ..
مَغروسٌ فى البرقِ ومندفِعٌ فِى الطلقْ
مِن هذا الخرقْ
تمتدُّ قوائمهُ فى اللون الضدِّ
وإذ ينسحبُ الضوءُ .. يُغافلُ سيِّدَهُ
يَدخلُ فى بَرِّ الليل

● ● ●

الخيلْ ..
تتدفّقُ فى الطُرقِ الملمومةِ فى دورةِ حافِرِهِ
تتعثّرُ .. والرمّانِىُ الغامضُ
يمضِى فى الشوطِ إلى آخرِهِ

حميد سعيد

● تاهيتيات جوجان ●

بانتظارِ الرحيلِ إلى رجلٍ غائبٍ .. كُنَّ يُحضرن أجسادَهُنَّ
ويحرقن صندلها والبخورَ .. وفى غابها يدخلُ البُنُّ
فى الأبنوسِ وورِدُ الصبا فى الصبابةِ والطيبُ
فى الكهرمان .. المفاتِنُ فى الماسِ والحلماتُ الطريَّةُ
فى الآسِ .. يحتطن للوردِ بالوردِ .. للأحمرِ
الجامحِ بالأحمرِ الجامحِ .. للبرتقالى بالبرتقالى .. للمطرِ
المتشدِّدِ بالمطرِ المتشرِّدِ .. كالقطط الأليفةِ يَغْتَلمن
على موعدٍ وعلى غيرِ ما موعدٍ يتسلّلن بينَ عواصفِ
ريشتهِ .. يَقتطفنَ البراكينَ من غابِ الوانهِ ..
ثمَّ يغرسنها فى القلائدِ جمراً وحُمَّى ..

● أشجار ماتيس ●

الأزرقُ المُلاحقُ .. ارتدى عباءةً ليليةً ..
ليتَّقِى البَردَ ..
الرمادىُ تُقيلُ الظلَّ سدَّ بابَ بيته ..
ونامَ ..
والرصاصىُّ استعار من بشاشة الفضَّةِ مثقالاً
بزىِّ كاهنٍ مضى إلى تَشابكِ الأغصانْ
من ثَمرِ النسيانْ
يبدأ ماتيسُ ومن تفادى أن يكونَ ..
تبدأ الألوانْ
خطوتها الأولى إلى الآتى من الزمانْ

● ثور بيكاسو ●

ينسلُّ من أنبوبةِ الزيتِ .. أميراً ساحراً
الأسْودُ المبجَّلُ الطالعُ من وقاحةِ اللوحةِ
من بعضِ سجاياها ..
ومنها ..
كان بيكاسو على عادتهِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يستقبلُ الألوانَ بالضجيجِ ..
يقفُ المُبجَّلُ الأسودُ .. حيثما يَشاءُ
لا وقتَ للأبيضِ
لا مكان للأسْوَدِ
إن الأسْوَدَ المُبجَّلَ .. ارتدى عباءةَ الفضاءِ

● زرافة دالى ●

أشعلَ النارَ فى الزرافةِ ..
واختار غالا .. بلاداً
إن نارَ الزرافةِ عاصفةٌ من زجاجْ
كلما اقتربت من أصابعه .. لم يَجِدْ غيرَ غالا
غالا بقايا امرأةٍ
رَجِمٌ أخرسٌ تتوغَّلُ الزرافةُ فى صمتهِ
والذين اقتربوا من جدارهِ الأسْودِ .. احترقوا
دثَّروا النارَ بالثلجِ .. فاحترق الثلجُ
وأحرقَ دالى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● سيدة جواد سليم المضطجعة ●

تَبعها القِطُّ إلى مضجعِها ..
فَنَصَبتْ شراكها للأحمر الجَليلِ ..
أمسكتْ به فى غَفلَةٍ منهُ .. وقادتهُ إلى قيامةِ الجَسَدْ
يندفعُ الجمرُ إلى قَميصِها .. كَحجلٍ مُشاكس ..
وَيُشعلُ النيرانَ فى الألوانِ ..
يحرقُ اللوحةَ .. لا أحدْ
الحلمُ الداخلُ فى الأسودِ .. ظلَّ فى مكمنهِ
والحلم الراحلُ فى الأزرقِ .. ضاعَ فى مَتاهةِ الأزرقِ
والهلال الهادئُ الرزينْ
يدفعُ عن حَقلِ الأفاويهِ .. بياضَ النومْ

● فُرسان فايق حَسَن ●

بُسطاءُ كالأبيضِ .. مُحتشمون وتيَّاهون
يقتحمونَ الألوانَ ويختارونَ فواتِحهَا
تَنفتحُ الفلواتُ لهم ..
يَنفتحُ الأزرقُ للخيلْ
يقتسمونَ الضوء .. كما يقتسمون الظِلَّ ..
كأن طيوراً أدركها الليلْ

● ● ●

جاءوا من صلوات قائمةٍ
وأقاموا فرضاً فِي اللونِ الغائبِ ..
ثمَّ انتشروا ..

● أصفر نجيب يونس ●

كلما حاصرَ الظلامُ ريشتهُ ..
وضاقت اللوحةُ ..
ضَيَّقت دائرة الضوءِ ..
فاجأها ..
بفيضٍ من الزعفرانِ
وفيضٍ من العَسل
مَددٌ من حقولٍ تُضيء سنابلُها البرارى
وآخرٌ من نَسبِ الحدائقِ الموصليِّ
وثالثٌ من كُوى المنزلِ العائليِّ
تَتسَّعُ اللوحةُ
تخرجُ من أواصر الحصارْ

● غراب علاء بشير ●

يقتربُ الشكُّ ..
كما يقترب الجوادُ من نهايةِ الشوطِ ..
خفيفاً مرهقاً
الأسودُ الناعمُ مثل امرأةٍ زنجيَّةٍ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يُداهمُ البياضَ فى اللوحةِ
يَستديرُ فجأةً .. مُكبَّلاً برغبةٍ مُخاتلةْ
الرأسُ أيلٌ إلى السقوطِ ..
فليكُنْ فى موضعِ الرأسِ ..
إلى أن تظهرَ الغَزالةْ

● رمال سعدى الكعبى ●

على مُربَّعِ اللوحةِ .. أو فضاء الروحْ
يُقيمُ عرشَ الضوءِ .. للصحراء
من ذهبِ القباب والقهوةِ والحنّاء
ويصطفِى الرملَ أخاً ..
من صُلْبِهِ تنحدرُ القبائل الأولى
وأبجديةُ السماءْ
يُوحِّدُ البُنِّى بالبنِّى .. والطينىَّ بالطينىِّ
ويُؤاخى وردةَ الرملِ ووردَ الماءْ
السيِّدُ الفضاءُ .. مَقبلُهُ
والآل ..
نشيدهُ الممتدُّ فِى الفضاء

بغداد : حميد سعيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امرأة

أحمد سويلم

امرأةٌ فى ثوبِ النَّمِرِ
وأُخرى فى ثوبِ الذئبِ
وثالثةٌ ... أَفْعَى ...
ـ وأنا راعٍ فى بيداءِ العشْقِ
تَهشُّ عصاى ..
ولا أملكُ أن أجعَلَها ـ تَسْعَى
ـ شَتَّتَنى النِمرُ
وبدّدنى الذئبُ
وعضَّتْنى الأفْعى ...
ـ لكنَّ الحبَ امتلكَ البيداءَ
ففرَرْتُ عنّى النسْوةُ .. والليلُ انْقَشَعا ..
ـ أتوحَّدُ فى اللا لونِ
اللاَّصوتِ
اللا حلم ..
وأنقشُ فى الصخْرِ اللَّفْظَ المتوهجِ ..
واللفظَ المسْنونَ .. معاً ..
ـ فإذا راعى البيداءِ .. نبيًّا ..
بين يديْهِ .. يعترفُ النمرُ
ويبكى الذئبُ
وتخلعُ مئزَرَها .. الأفعى ..
ـ باسمكِ ناديتُ الآن ..
فتعالىْ .. يا امرأةً يصنَعُها الربُّ على عيْنيْهِ
تحملُ مالا تحملُه النسْوةُ ..
وأنا ـ فى حضْرتها ـ
..أُقْعِى !

: احمد سويلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سنرسة على سنرسة

حسن طلب

« سَقوْنى وقالوا لا تُغنَّ ولو سقَوْا
جبال حَنِين ما سقوْنى لغنَّت »

الشاعر العذرى

سَقَوْنى :
سُلافةَ ثغرٍ بإبريقِ عينْ
سقونى وقالوا
متى كان ينفعُ عندَ الشرابِ المقالُ ؟
سقونى وقالوا : لا تغنَّ
وهل أستطيع سوى أن أغنىّ ؟
وهل كان عندى سوى الأغنياتِ
تترجم عنّى

سقونى وقالوا لا تغنَّ ، ولو سقَوْا
ـ عشيَّةَ أردتْنى السِّهامُ التى اتَّقوْا ـ
جبالَ حُنين
وأين جبالُ حنين وأينى ؟
أجل أين منّى جبالُ حنين
وأين أنا من جبالِ حنين ؟
جبالَ حنين ما سقونى
فلو أنهم غير هذا الشراب سقونى !
جبال حنين ما سقونى لغنَّتِ
وحنَّتْ إلى وديان هندٍ وجُنَّتِ

* * *

سقونى وقالوا لا تُغنَّ ، ولو سقوْا
ـ عشيَّةَ أردتنى السِّهامُ التى اتقَوْا ـ
جبالَ حنين ما سقونى ، لغنت
وحنَّتْ إلى وديان هند ، وجُنتِ

القاهرة : حسن طلب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا وطـــــن للحـــــرب

عدنان الصائغ

□ يبدأُ الوطنُ ــ الآن ــ من جملةٍ
نصفها مَضَغتها المطابعُ
فالتمسي في دمي كلْمةً لن يشوّهها أحدٌ
أغنّي بها وطني ، من شقوق المواضع والقلبِ
حيث ينامُ الجنودُ على بطغاتٍ* الحنين المبللِ
ملء جفوني انكسارُ الندى والبلاد
وملء البلاد افترشنا أغاني الخنادق ، والعُلبَ الأجنبيةَ
تحطِبنا الحربُ : ..
مرّ عريف الإعاشةِ ، والطائراتُ الوطيئةُ
مرّ شتاء الطفولةِ ، والعَملُ
مرّ الصباحُ الحديدي فوق زجاج النعاس
فشظّى ترقّبنا لنهارٍ جديدْ
لم يغتسلْ بعدُ من طمث القصفِ
مرّ ثلاثون موتاً على موتنا ،
وقنبلةٌ واحدةْ
فاقتسمنا على طاولات التوابيتِ خبزَ البقاءِ المثقّبَ ، والشاي
مُرَّ الندمْ
اصبعاً ، اصبعاً ، ستقطّعُ كفَّ طفولتنا ، الحربُ
تمضي بنا ــ في غرور المقاول ــ نحو مساطرها
وتبيع الذي لنَ نبيعَ
تجوّعنا ، ونكابرها بالوطنْ
وتشتّت أيامنا ، فنشاغل أيامها بالتمني
وإذ تستجيرُ طيور الحنين بأعشاش أحزاننا
سوف نبكي على حلمٍ
ضيعوه ...
فضعنا

بغداد : عدنان الصائغ

* بطغـات : لفظـة عسكـريـة يستخـدمها الجنـود ومعنـاهـا الفراش أو السرير

قاتلة هى الغزالة

محمد محمد الشهاوى

قالتْ طيورُ البحرِ
ـ وهْىَ ترى مغيبَ الشمسِ ـ :
قد آنَ الرواحْ
وَرَنَتْ إلى وجه الفتى
لتقولَ :
موعدُنا الصباحْ
قالتْ طيور الشِّعْرِ
ـ وهْىَ تشدُّهُ فى لهفةٍ ـ :
مادام هذا الليلُ موكبُهُ أتَى
فلنمضِ ـ مؤتلفَيْنِ ـ
ندخلُ حضرةَ البوْحِ الصُّراحْ

فى الليل ـ مرتحلاً إلى كل الجهاتِ
على براق يراعتِهْ ـ
قال الفتى لقصيدتِهْ :
ياشهر زادْ
الأرض مملكةُ الصغارِ ؛
وأنْتِ مملكتى

فى مقلتيك مسافرٌ صَوْبَ المحيطات ـ الكنوزْ
يقتادنى الحرفُ ـ النبوءةُ والرموزْ
تنداحُ بى فُلْكُ البكارةِ حيث ينبثقُ
الصَّادقانِ :
النارُ والألقُ
الرائعانِ :
السُّهْدُ والقلقُ
حتى يباغتنا الصباحْ

مِنْ أىِّ غَوْرٍ فى تخوم الليل تبتدئُ المسيرهْ ؟ ..
من أىِّ نَجْمٍ تأخذ الأشعارُ رحلتها المثيرهْ ؟..
من أىِّ جُبٍّ فى تجاويف الدجى
يتنزّل المعنى ؛
وتنسرب القصيدةُ فى تلافيف السريرهْ ؟!

لكنَّ صَوْتاً ـ لم يزل يعتادنى ـ تنشقُّ عنه حواجزُ السُّدُمِ
قد صاح ملءَ دمى :
يامهرجان الْحُلْكَةِ احْتَدِمِ

فالشعر صنْوُ الليل والألمِ
وأتى الصدى من كلّ ناحيةٍ :
يامهرجان الحلكة احتدمِ
فالشعر صنو الليل والألمِ
قال الفتى :
فهُرِعتُ للقلمِ

[أرقٌ على أرقٍ]
وتأخذنى الحروف من الحروف إلى الحروفِ
إلى الحروفِ
إلى الحروفِ :
وكلّما قلتُ : الختامُ وجَدْتُنى
لا زورقى دانت له الشطآنُ
كى يرسو ...
ولا مَوْجى تطوّع بالسلامْ
أرقٌ على أرقٍ ..
ويمضى الليلُ :
لا نوْمٌ يجىء
ولا ختامْ !!
أرقٌ على أرقٍ

كأن الجمر يجرى فى عروقى ؛
أو كأنّ الليل بحرٌ من سهامْ ..
وأنا الغريقُ ينوشنى جَزْرٌ ومدٌّ
أرق على أرقٍ
وغيْرَكِ ياغزالةُ ياقصيدةُ لا أودْ
أرق على أرقٍ
فَمَنْ منّى يخلّصُنى
لينقذ ما تبقّى من « مُحَمَّدْ .. ؟!

كفر الشيخ : محمد محمد الشهاوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

□ □ □

نـــــاران

الحسانى حسن عبد الله

١ ــ « لكَ عينٌ يكاد يطفر منها ...
ــ قلتُ : تحنانُها ؟ ــ
فقالت : أَجَلْ ،
٢ ــ غيرَ أن الحنينَ يضمر أمراً » ،
ــ قلتُ : خيراً ؟
فرَدَّ عنها الخَجْل
٣ ــ قَدْكِ ليلى ، فليس هذا بهذا ،
ليس جَلُّ الجنان فى السَفْن جَلْ
٤ ــ بين نارىَّ فرق ما بين هذين ، فإيّاكِ ، لا يَضُرْكِ العَجَلْ
٥ ــ خَرَقَتْ لحْمَك البضيضَ لحاظى لتَقرَّى من بَعْدُ شيئاً أجَلُّ
٦ ــ كلما شِمْتُه استطار فؤادى لسناه سنا ذوات الحَجَلْ
٧ ــ وكأنى حمامةٌ زَجَلَتْها ــ بُغْيةَ الفوز ــ أمنياتٌ زُجَلْ
٨ ــ خِيفَ ياحلوةُ الطريقُ إليه ، فتحاماه شعرُنا والزَّجَلْ
٩ ــ وزواه ــ جهلاً ، وعلماً ــ نساءُ همُّها ، كلُّ همها ، فى التَّجَلُّ
١٠ ــ ورجالٌ ديست لتأبَى فلم تأبَ ، رجالٌ يشابهون الزَّجَلْ
١١ ــ أنتِ مدعوةٌ لأن تعرفيه ، ولئلاً يوهِى قواك الوَجَلْ
١٢ ــ ولأنْ تحبلى بماشٍ على الشوك ، وإلا ففيمَ كان النَّجَلْ
١٣ ــ أبلغى لحمك البضيضَ اشتياقى ، واشتياقى أيضاً لحرب الدَّجَلْ
١٤ ــ يتمشَّى ما بيننا ثابتَ الخطوة ، أمّا رشادُنا فَحَجَلْ
١٥ ــ للشياطين حيثُ كنتِ عزيفٌ ، أرهفى السمعَ تستبينى الزَّجَلْ
١٦ ــ وهو أصلٌ ، وليس فى يد أيدٍ أنْ يقينا ــ وقد عثرنا ــ الرَّجَلْ
١٧ ــ أرأيت الأفعى تكيسُ لتنقضَّ ، فمن علَّم الأفاعى الزَّجَلْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٨ ــ كَذَبَ الفيلسوفُ ، إن الذى حُدِّثْتُهُ الغارُ ليس بالمرتجلْ
١٩ ــ جَهِلَ المُهْرُ ، وهْو أجهلُ منه ، فيمَ فى أيْطليْه كان حَجَلْ
٢٠ ــ فاستريبى إذا التقدمُ نادى ، قد يكون البلاءُ فى مُهْتَجَلْ
٢١ ــ غَمزتْ مومسٌ بعينٍ ، فلا يَفْتِنْكِ فى أعين الهَجُول الهَجَلْ
٢٢ ــ أو غوانٍ حَسَدْنها لمديحٍ ،
عِجْلَةٌ غوزلتْ فغارت عِجَلْ
٢٣ ــ وإذا ما رأيت قهقهة الغِرِّ فقولى : رأيتُ عَيْراً زَجَلْ
٢٤ ــ وإذا ما زُهيت فازهِى بُجْهدٍ ، وجهادٍ ، لا باللَّمَى والنَّجَلْ
٢٥ ــ بَزَّ كلَّ الوجوه عند اكتناهِ الحُسْنِ وجهٌ إذا انتصرنا بَجَلْ
٢٦ ــ زوّدينا إذَنْ بما سوف يَبْقى ما بقينا ، ويستديم الرُّجَلْ
٢٧ ــ وإذا ما نُجِلْتُ يوماً فقولى ـ لتعزِّى أحبتى ـ : كَمْ نَجَلْ !
٢٨ ــ واحبسى الدمع وادفنينى سريعاً ، وأعِينى سواىَ كيما يُجَلُّ
٢٩ ــ نُصْبَ عَيْنى فجرٌ يواريه فجرٌ دبْرَ عينى ، مؤلف ، مُفْتَجَلْ
٣٠ ــ ليت شِعرى هل ، ثم هل ، آتينه ؟
أَمْ يحولنْ مِن دونِ ذاك الأَجَلْ

القاهرة : الحسانى حسن عبد الله

شروح : ٣ ــ قدك اسم فعل بمعنى كفى او يكفى والكاف مفعول به لقد . والجل الأولى الورد ، والأخرى الشراع . ٧ ــ زجل الحمامة أرسلها إلى بعيد فهى زاجل . وزُجل جمع زُجلة ، الجماعة من الناس ، واستعير للوصف ومطلق الاجتماع . ٩ ــ زوى نحى ، والتجلُّ التجلى . ١٠ ــ الرجل جمع الرِّجلة وهى بقلة تنبت على طرق الناس فتداس ولهذا وصفت بالحمق ١٢ ــ النجل الولادة . ١٤ ـ حجل مشى وئيداً على رجل واحدة . ١٥ ــ عزيف الجن أصواتها ، والزجل هنا بمعناه . ١٦ ــ الأيد القوة ، والرجل إصابة الرجل ١٧ ــ تكيس الحية تنحوى اى تستدير فى مكاسها . والزجل بتسكين الجيم الظلم ، وحرك للقافية ١٩ ـ أيطليه مثنى أيطل والجمع أياطل ، الخاصرة . والحجل بتسكين الوسط بياض فى رجل الفرس ٢٠ ـ مهتجل مبتدع ٢١ ـ الهجول المومس ، والهجل غمز المرأة بعينها . ٢٣ ـ زجل رفع صوته وأجلب . ٢٤ ــ اللمى سمرة مستحسنة فى باطن الشفة . والنجل اتساع مستحسن فى العين ٢٥ ــ بجل فرح . ٢٦ ــ الرجل جمع رُجلة بضم الراء وهى الرجولة . ٢٧ ــ نجلت طعنت ، ونجل الفحل . ٢٨ ـ يجل يجلى اى يسبق وهو فى الأصل من وصف الفرس . ٢٩ ـ دبر عينى خلفها ، اى لا يُرى ، عكس نصب . ومفتجل مختلق .

قصـــيدتـان

زهـــور دكســـن

-١-

صيف النشيد

وَسْطَ الطريقْ
والظلّ مُتَّسَعٌ يضيقْ
لكأننا والوقت منفلتُ الزمامِ حصَى الطريقْ
باغَتَّنى والمدُّ يلهث والسنابُل والورودْ
ورحلتَ فى صيف النشيدْ
كصدىً تعلّمَ كيف يجهل ما يريدْ
أوَ تستجيرُ وقد قضى الحلمُ الرفيقْ ؟
وغدوتَ لا ظلٌّ يضىء .. ولا حريقْ
شمس الهواجر تَقتفيكَ وأنت مُتَّقِدُ العروقْ
وسْطَ الطريقْ

منَ ذا يُجيرُكَ إنْ تقارعتِ الدروبْ
ومضيتَ ... لا وقعٌ يدلُّ ولا مُجيبْ
إمّا دعوتَ ...
وإنْ شكوتْ
لا شىء يصْدِقُكَ الجوابَ سوى السكوتْ
فاخترْ سؤالكَ واحداً
واختر جوابكَ واحداً
كى لا تموتْ

-٢-

لقاء ايوجين

بمحاذاة السورْ
حيث الصمت المطبقْ
الطلُّ انهلّ
والخيط انحلّ
وأنا الموثَقْ
يتقصَّدُنى عبْرَ الأيامْ
حزنى المُطْلَقْ
وأنا العوّامْ
أغرقْ ...
أغرق ...
يا ليل الشعرْ
من يغْوينا ؟
زيت المصباحْ
فى أيدينا
هيا نطلق ..
قيثار الماءْ
ما بين النأمة والأصداءْ
نلقى الأصداف
بلآليها .. قال العراف
وسراجا أبحر فى الأغوار
أغوار الطين
والنار المسجورة
والغاب المسحورة
والتنين
ناقى أيوجين
نلقى أيوجينْ
نقسم « بالتين .. وبالزيتون .. وطور سينين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشيخ رمضان .. والطفل وأنا

أحمد غراب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرفْتُهُ حينما ألْقى حقائبَهُ ... وصاح فى الأرضِ : يابؤسَ الظُّبى ابْتردى
وراح ينْفضُ عن أعْشابِ لحيتِهِ ... غبارَ رحلةِ عامٍ وازْبِى الأبدِ
ويرتدى قامةَ الإيمانِ مِئْذنةً ... قامت إلى الفجْرِ فى ثوْبٍ من البَرَدِ

* * *

- ياعمُّ . ياعمُّ .. أرْنُو . لا أرى أحداً ... من أين هذا الصَدَى الأطْرَى من الزَبَدِ ؟
يطلّ من لحيةِ الليْلِ التى شحبتْ ... طفلٌ صغيرٌ يُوازى قَامةَ الوتدِ
- ياعم . من ذلك الشيخ الجليل ؟ أرى ... كأنه آيةٌ من سورةِ الصَمَدِ
يمشى فينْبعُ نَهْرَا طيبةٍ وهوىً ... وتهتفُ الأرضُ كالصوفىِّ : يا مددى
- أوَّاهُ .. ذا رمضانُ الحبِّ .. طبْتَ صباً ... قد قُلْتَ فيه الذى مادار فى خلدى
أعْشبتَ أخْيلتى يابْنى بأُغنيةٍ ... أودُّ أنْقشها وشْماً على كبدى
صَفْوُ الطفولةِ يسْتوحى أرقَّ رؤىً ... ياليت لى بعض هذا الصفْوِ يا ولدى
- وهل تجمَّد فيكَ النهْرُ ياأبتى ؟ ... - نعم - ولاَن ركْبُ الصيف لم يَعُدِ
- لكنكَ اليوم مزْمارٌ يذوب هَوَىً ... - لربَّما ... كشعاعٍ غيْرِ مُتَّقِدِ

* * *

يستضحكُ الطفلُ . يحكى صوْتُ ضحكتِهِ أَصْداءَ غَرْغرةِ الخُلجان فى بلدى
ـ من انت يابْنى ؟ وادْنُو كى أصافحه ينْسابُ كالطيفِ . تَسرى فى الدخان يدى
....
حَاوَرْتُ وَهْماً تُرى ؟ أم أنَّه شبحٌ ؟ ياحيْرةَ القلْبِ يبدُو خاننى رَشَدِى !
يجيبُنى رمضانُ الشيخ : واأسفا ..! مازلت أَضْيَعَ من يومٍ بغيْرِ غَدِ
ياحائطَ الثلْجِ هذا الطفْلُ أنْتَ .
ـ انا ! أكنتُ يوماً كهذا الطائرِ الغَردِ ؟
ـ نسيتَ صورتَكَ الأولَى وتسألُنى ؟ اهدأْ قليلاً
ـ وهل يَهْدَا لَظَى نكدى
وَيْلاهُ هل كان ذيَّاك الغديُر انا ؟ ـ نعم ولم تبقَ إلاَّ رغْوةُ الزَبَدِ
أدْخلْتُكَ اليوم حُزْناً كنت تجهله
ـ وكنت أحْسبُنى دنيا من الكَمَدِ
ـ لا بأس فالحزنُ نيرانٌ تطهِّرنا فقل لها يا عذاباتِ الأسَى اجْتهدى
لقد أريْتُكَ ماقد كنت تملكُه من البَكارَاتِ فى عهْدِ الصبا الرغِدِ
لأننى يافراغاً ما به أَحَدٌ فتَّشْتُ فيكَ عن الإنسانِ لم أَجِدِ
ـ كيف انْهزمْتَ ؟
ـ لأنِّى سرْتُ مُحْتشداً إلى وجودى بقلْبٍ غيْرِ مُحْتشدِ
يقودُنى الزيفُ والبهْتانُ فى زمنٍ مازال يمْشى على حبْلَيْنِ من مَسَدِ
وكانت النفسُ تعْدُو بى كقاطرةٍ ما قلتُ يوماً لها . عُودى أو اتَّئِدِى
ومرَّة تبْتُ لكنى انكفأْتُ إلى مُسْتنْقعِ الطينِ مرَّاتٍ بلا عَدَدِ
ـ أَشمُ فيكَ صراعاً لا انطفاء له يلُوحُ أَنَّك يابنَى اثْنين فى جَسَدِ
ـ أظَنُّ بينى وبْينى ثالثٌ وأنا بيْنَ الثلاثةِ فى تيهٍ بلا أَمَدِ
ـ اصبْر . فبعْد انْحسارِ الشرخِ ياولدى تُنْشدُكَ كلُّ المرايا : أنتَ مُفْتقدى
وراح يمْسحُ شُطْآنى براحتِهِ حتَّى سَرَى الليلُ يَطْفُوفى دمِ الرادِ
فأجْتلى فى دمى أغْراسَ سُنْبلةٍ .. ... وشاحَ أُغنيةٍ تغْفُو على كبدى
وكانت الطينةُ العجفاءُ تخلعنى لترْتدينى بَكَاراتُ الصبا الرغدِ

القاهرة : احمد غراب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استهلال

عن هـذا الحصار الجميل

عبد الله السمطى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سَألتُكِ بالله أنْ تتركينى قليلاً ..
لكى أتنفّسَ وحْدى
وأقطفَ عُرْىَ الصباحاتِ وحْدى
وأمتدَّ فى عُرْوةِ الرّيحِ وحْدى
وأعرجَ للأرضِ فى قمرينِ وقيْدِ ..

سألتكِ أنْ تتركينى قليلا
لأُ ثبتَ للبحْرِ أنّكِ منّى
وأشرحَ للشمسَ أن يديكِ تضيئان وحْدَهُما فى سماءِ شِغافى
وأُرجعَ للقمر البدوىِّ اسْتعاراتِه وكناياتِه عن محيّاكِ
أُطلقَ سُنبلتين لتشبيه ما بيننا من جنـونٍ وعفويـةٍ واشْتباكِ

سألتكِ أن تتركينى ..
لأشعر بالقبّراتِ التى تتسمّى بجمرِ ضلوعى

وتقطفُ كلَّ مآذنِ مصرَ ..

وترسمُ فُسْطاطَ وجْدٍ لعينيكِ فى صلواتِ دمائى
لأعرفَ .. هلْ يشبهُ النيلُ دمعى ؟
وأعرفَ ــ ياخمرة البرق ــ هل تُشبهين غنائى ؟

سألتك أنْ تتركينى لخمس دقائقَ ..
أشرحُ للكون فيها انْبثاقاتِ كفّيْكِ حين تسيلان وَرْدًا علىّ
وأشرحُ كلّ المواجيدِ منذ اخْتبأنا بظلّ القصيدةِ
حتى افتضاحِ شموسِ دمانا بظلّ فراشَهْ
وأمنحُ ليل امْرئِ القيسِ شَعْرَكِ
والسّيفَ صَوْتَكِ
والنّارَ بعضَ الذى فى برارى شفاهك من فطْنةٍ وبشاشَهْ

سألتكِ أنْ تتركينى قليلا
لماذا حصادُك هذا الجنونُ ، وهذا التملّكُ والتيهُ والإختراقْ ؟
لماذا جبالُ بكائىَ حاصَرَها عِطْرُكِ / النّارُ
ــ أشهدُ أنّ تجلّى هواكِ يُميدُ جبال حنينى ــ
لماذا تنامينَ كلّ ضحىً فى شرايين عمرى ؟.
وتنفلتين بأركان ذاكرتى كجوادٍ حرون ..
فلا أعرفُ الثلجَ تحت عروقى
ولا أعرفُ الاحتراقْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حِصارُك حوْلى ..
بكلّ جهات ضلوعى ، بكلّ لُغاتِ الشِّعاب التى سافرتْ فى دموعى
فأين سأذهبُ ؟
هل ممكنٌ أن أغيّر شكلَ النهارِ ، وشكْلَ المساءِ ، وشكْلَ الرّبيع ؟
وهل ممكنٌ أهجرَ الأرضَ فى إصبعيْكِ ..
وأنْسى ربوعى

فأين سأذهبُ ؟
إنّى تزوجتُ عشْرَ نساءٍ وطلقتهنَّ
وعشرَ غمـامـاتِ صيْـفٍ وأَمْهَـرْتُـهـن رجـوعـى

فلا راحَ ضوؤكِ عن مدنى الفاطميةِ ..
لا غادرتنى بدائيّةُ الوجنتين
ولا همجيةُ كفيّكِ عند انْسلالِهمـا فى دهاليـز روحى

ولا طارَ عن مئذناتِ حروفى اليمامْ
سألتك أن تتركينى أحبّك ..
من بدء كفيكِ ، تحت مسامات ذاكرتى ، فى اقْتطافى ..
وتغيير كل مراثى شغافى ..
وحتى رحيل الكلامْ

سألتك بالله أن تتركينى أحبكِ .
أو تصلبينى فى شجرات الغمامْ
سألتك .. من بدء عمرىَ حتى الختامْ

عبد الله السمطى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد
الفرح المتاح

مشهور فواز

١ — أفق .

سَلَّةٌ مِنَ الهَوَىٰ
ومنزلٌ مجهَّزٌ
ولا حُدود ..
....
تُخَبِّئِينَ هذا الوردَ كلَّه ؟.
أَمْ تكشفينَ الماء ؟.
....
يا لزوجين مَعَاً
اشتركا في هجمةٍ على الندىٰ
وافتتحا السدود .

٢ — إيضاح .

يفتحُ الليلُ شُبَّاكَهُ
ويغازل أطرافنا
فيصير حديثي إليكِ تَنَاسُلَ غَيْمٍ
وتلجأ عيناك — جَهْرَاً — إلى شجرى
....
أستطيعُ أوضِّحُ شيئاً :
« كُلُّ شِعْرٍ عن الحبِّ أعلن إفلاسَهُ
عند منزل زوجين يكتشفان الفضاء » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

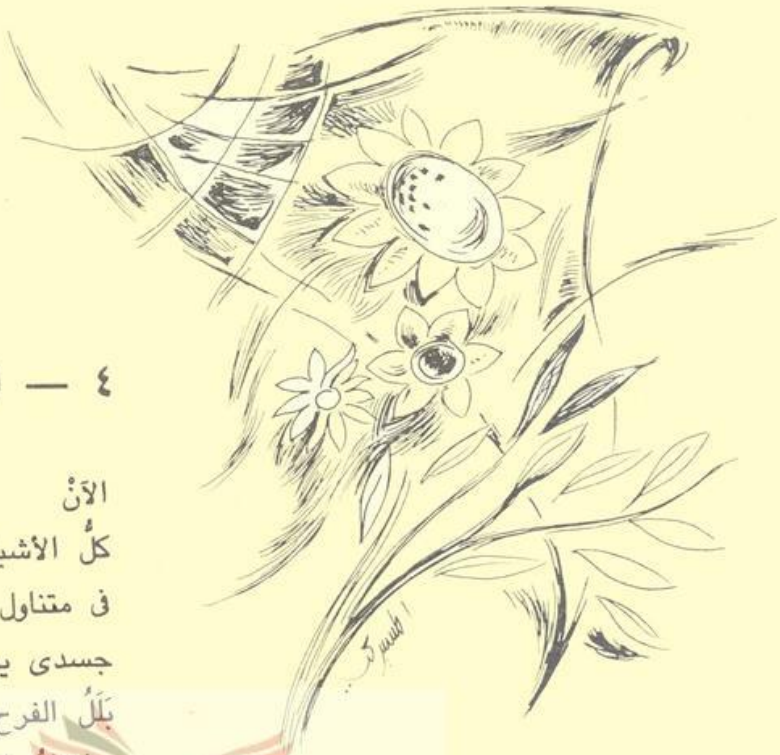

٣ — مفارقة .

تنشغلينَ بالأريجِ ؟.
أم تُهَنْدِسِينَهُ وتدخلينَ عشبةً
نديَّةً ورائقة ؟.
هو الغرامُ ؟.
أم يداك تعرفان شرفةً تلخِّص المفارَقَةْ :

● فتى فى منزلٍ مهيَّأٍ
وَغُرْبَةٍ مؤرِّقَةْ

● وأنت تنسجينَ فى رُؤَاهُ القَزَّ
تقفزين فى يديه لحظة وسيعة ومشرقةْ

....

آه يا افتتاحَ العمرِ
قَلَّما سمعتُ عن زوجين فى الأريجِ أمسكا الأريجْ
وأقلقا عبوسَ الدهرَ
فاستوىٰ الزمان طيّعاً .. ورائقاً .

٤ — امتلاك .

الآنْ
كلُّ الأشياءْ
فى متناول كفِّى .
جسدى يرجع جهراً لى
بَلَلُ الفرحِ
وطوفانُ الأنغامْ
كلُّ الأشياء الآن تنامُ علىٰ أطرافِ اليدْ
فلتفتح بأبَكَ — للطوفان المستيقظِ — يا أفق الغدْ !

٥ — المعجزة .

إنّها المعجزة
الغيومُ التى فى يدى أمطرت
وصحت فى الخلايا البروق
....
كُلُّ شىء — إذن — لم يكن مَحْضَ حلم
كل شىءٍ — إذن —
كان درباً يؤدى لهذا الشروق .

القاهرة : مشهور فوّاز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

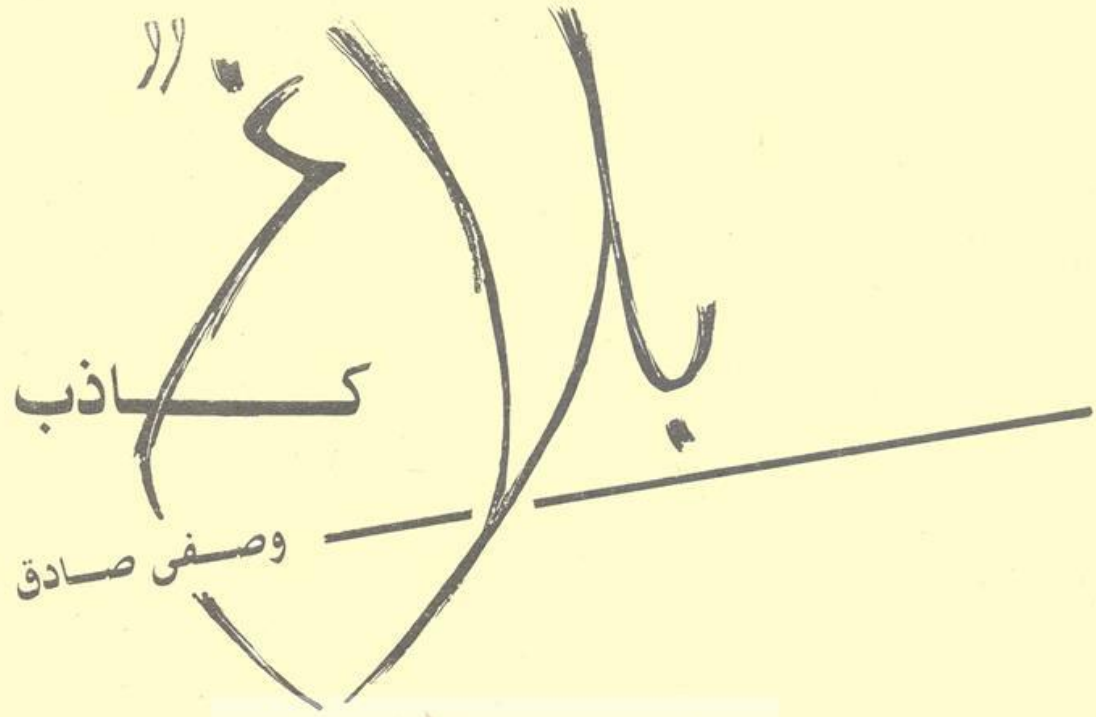

وصفى صادق

— ١ —

من زمنٍ على جيادِ الفقراءْ ..
وفى ظلامِ التعساءْ ..

يا أصدقائى أينما تكونوا ..
فى بحرِ هذا العالمِ الصغيرْ ..
على مقاعد المقاهى .. ،
فى السجونِ .. فى دجى القبورِ .. ،
فى المنازل السريَّهْ .
فى غرفِ الإنعاشِ .. فى مجامرِ الحروفِ .. ،
فى أحضانِ زوجاتكم الوفيَّهْ .
وفى مناف الغربةِ اللعينهْ .
أروى لكمْ يا أصدقائى قصتى الحزينهْ :
ذات مساء ..
مساء يومٍ ميّتٍ كسائرِ الأيامْ .
عدتُ إلى البيتِ ..
- وبيتى خندقٌ من الزجاجْ -
عشائىَ الوحشةُ .. والأحزانْ .
منتظراً (هذا الذى يأتى) ،
ولن يأتى فقد مضى ..

(نحن الذين قد منحناهُ قبيل الموتِ شهادةَ الوفاةِ .. ،
والتصريحَ بالدفنِ على أرضٍ غريبهْ .. !)

* * *

جلستُ .. والليلَ على نافذتى الدّكناءْ .
جلستُ .. والحربَ الضروس فى الظلامْ ..
أُحصى توابيتى المكدَّسةْ ..
هزائمى .. مسالبى .. أحلامَى المحاصرةْ
وما نزفتُه على الطريقْ
طوال أسفارِ السنينِ اليائسهْ ..
عيناى تصعدان سلّمَ السماءْ
بصخرةِ الرجاءِ .. والأحزانْ
وتهبطان .. تصعدانْ
حدّقتُ فى كفِّ الدجى الصماءْ .
قرأتُ أسطرَ النبوءةْ ..
صحتُ .. وصحتُ بين قومى النائمينْ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

: ياكوكبى المُعَذبْ .. !
ياكوكبى المعُذَّبْ .. !
رأيتُهُ النجمَ المذنَّبْ ..
مسلّطاً على الرقابِ والبذورِ ..
والجذورِ .. والدهورْ ..
على الروابى .. والزهورِ .. والنهور ..
رأيتُهُ النجمَ المذنَّبْ ..
كالليلِ فى شرخِ النهارْ .
كالعقربِ الساقطِ فى كأسِ الحبورْ .
ينسلُّ فى الدماءِ ..
فى مخادعِ النساءِ والرجالْ ..
ينام فى قمصانِ .. فى حقائبِ الأطفالْ .
صليتْ ..
قفزتُ بالقلبِ الصغيرِ فى فراغِ الفاجعهْ
شهقتُ .. شهقة السقوطْ ..
فى الهوةِ المروّعهْ .
وخندقُ الزجاجِ فى السكون ..
ينهارْ .

— ٢ —

فى مخْفرِ الشرطهْ ..
وفى دواليبِ المباحثْ .
أدركتُ أننى وقعتُ فى شِباكِ الورطهْ ..
وأننى طفلٌ برىء عابثْ .
أشعلَ فى ثيابهِ النيرانْ
قلتُ لهمْ ..
قلت لهمْ ..
سكبتُ قلبى كزجاجةٍ مليئةٍ بإعصارْ .
فى محضرِ البلاغْ ..
سمعتُ مَنْ يقول : « مجنونْ ..
مخمورْ ..
مدمنُ أفيونٍ حقيرْ .. »
وقّعْ على الأوراقِ .. واعترفْ ..
أنَّكَ أعمى لا ترى حتى الظلامْ ..
لا تنصرفْ ..
أتركْ لنا عينيكَ فى هذا المَلف .
واذْهبْ إلى الحبسِ هناكْ .
فأنْتَذا محتجزٌ فى ذمة التحقيقْ ..
تهمتك الآنَ .. بلاغٌ كاذبٌ ..
إزعاجُ صفْو السلْطاتْ .

— ٣ —

وهاأنا ياأصدقائى الآن .
ملْقى .. وحيدٌ فى الظلامْ .
تملؤنى الرغبةُ فى الصياحِ والبكاءْ
لكننى من كوّةِ الزنزانهْ
فى كل ليلةٍ أرى النجمَ المذَّنبْ ..
والساعة الرنّانهْ ..
فى معصمى تضىء .. ما زالتْ تضىء
بالله أسْتحلفكمْ ياأصدقائى .. بانْكسارى .. ،
إنْ رأيتُم زوجتى فى بيتىَ الحزينْ .
وفى مهانةِ البكاءِ فى المساءْ ..
وطفلتى منكبّة على كتابِ الدرسْ .
قولوا لها : غداً يعودْ ..
غداً يعودْ ..
بحكمةِ العميانِ والخرسِ يعودْ .
لا تخبروها أبداً عن شىء ..
لا تخبروها أبداً عن شىءْ ..

القاهرة : د . وصفى صادق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدى غيم
وعشبك هامتى

ممدوح عزوز

عطْشَى ،
هى المدن استدارت ،
تلعق النهر المدمَّى ،
تستبيح طيورها ،
تطأ الينابيعَ استحالت ،
فى فم العشاق سمًّا ،
هاهى الأزهار تسقط كالنوارس ،
تسكب الأنفاسَ ،
تشربها رمال الصمت حُمَّى ،
دثِّرينى يافتاةَ النهرِ ،
ياحوريَة الصبح المخبأ فى المحاراتِ ،
اشربى صهد المسافاتِ ،
اركضى خلفى ،
أنا وتريفرّ من الكآبةِ ،
للكتابةِ ،
حاملاً صفصافتى ،
همس العصافير ،
الندى ، عطر الأزاهير ،
الشبابيك التى بكرَتْ تلوِّح للشموسْ

*

أتلو عليك حبيبتى ،
نبأ الفجيعةِ ،
راودَتْنى ذئبة الأسفارِ ،
ألْقت بى إلى جنيَّة الآبارِ ،
نسرٌ جائعٌ يقتات من كبدى ،
ولم أقبس من اللهب المقدَّسِ ،
غير أغنية العيونِ ،
تكحَّلتْ بدمى ،
أنا المفتون ياألقَ المداراتِ ،
اشتهيتك فى المطاراتِ ،
المدى غيمٌ ،
وعُشْبك هامتى ،
وأنا المسيَّج بالعداواتِ التى تُرْدى
وزهر الحزن يصرخ تحت جلدى ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آهةً تلد الحروف الضارعاتِ ،
الأمنياتِ ،
أموت وحدى ،
أمسكى عنى لسان النارِ ،
أبواق المزامير ،
انسحقتُ ،
أنا المخدَّر بالأساطير ،
المتوَّج بالطقوسْ .

نهرٌ يجفُّ ، وشاطئانِ ،
تخاصما ،
لغةٌ تفرّ من البيانِ ،
وفى وريدى كائنانِ ،
تقاسما ،
رأسى ، فغادرنى حصانى ،
صرتُ من نفسى غريباً ،
لا يتُرجمنى لسانى ،
بين موتينِ ، احتسيتُ الوهم ضعفينِ

ارتدى وجهى قناعين ،
استويتُ الآن مسخاً فامنحينى ،
سمْتىَ العربىَّ يالغة المنونِ ، وزمِّلينى ،
ياحروفَ البعث ، ممتطياً جواد الصدقِ ،
ألهجُ فى عروق البرقِ ،
مغتسلاً بشمس عروبتى ،
ألجُ الفضاءَ ، أقود مركبةَ الخروجِ ،
من البروجِ إلى العروجِ ،
مصافحاً حريتى ،
يانقمةَ الزمن اللعين ،
تطاردين دمى ، أراه على موائدهم ،
وأنت تهددينَ !
لك الحياةُ !
وللميادينِ ، المسرَّةُ ، والمعرَّةُ ، ... والرموسْ .

الدوحة : ممدوح عزوز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأريـــــكة

مصطفى عبد المجيد سليم

هَذَا رُكْنٌ
تَصْحُو فيه الذِّكَرُ
مُبَلَّلَةَ الأَهْداب
تَمَدَّدُ فَوْقَ أريكةْ .. !
وتَمَسَّحُ بالخَشَبِ البُنِّيِّ
الهَرِمِ ،
تَشُمُّ الوَرْدَ الذَّابِلَ
فوْقَ قَطيفَتِها الحائلةِ ،
اخْتَلَط الوَرْدُ
السَّاقِطُ رَطْباً
بالوَرْد المَنسُوجِ
يَدٌ تَمتَدُّ
تَلُمُّ الوَرْدَ الرَّطْبَ
وتُبقى وَرْداً
تَقْرأُ فيه سُطُوراً
خُطَّتْ مِنْ نَزَقِ الوَرْدَاتْ .. !

.. .. ..

هذَا الرُّكْنُ الغائِرُ
ظُلَّةُ قَلْب
لا يَبْتَرِدُّ بِغَيْرِ رذاذٍ
يسقط من مُهجِ الغَيْماتْ ..

.. .. ..

عَبَقُ الغُرَفِ ثقيلُ
لِكنْ هذا الرُّكْنَ الآمنَ
فَوق أريكتها المنْزَوِيةِ
مَطَر يَهْمى
ضَوْء من أَقْبيةٍ شَتَّى .. !
بابُ الشُّرفَةِ .. يُفتحْ
فيهلّ نسيمُ اللَّيلِ
لَلَيْل مُخْتنقِ النَّسَماتِ ..
تَهُشُّ ذُباباً
لَزِجَ الوقْفةِ
إذْ تَتَذكَّرُ
تَعْبثُ بالوَرْداتِ
البارزَةِ المَنْسوجَةِ
وردٌ تُمْطرهُ السَّنَوَاتُ .. !
تَداخَلَ فى اللاَّحُلْمِ الُحلْمْ ..

.. ..

الأَبْنَاءُ
جَرَادٌ حطَ ..
اللأَمرئِيُّ الأَخْضَرُ
دِيسَ ..
انْتُهِكَ ..
اقْتَلَعوا صبَّاراتٍ
يتأَبَّطْنَ
الماضى الحُلْو ..
نَبَتَتْ صَبَّارَاتْ .. !

منوف : مصطفى عبد المجيد سليم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الليالى الجريحة

جميل محمود عبد الرحمن

الدماء الأسَن ..
الدماء العَطَن ...
واصطفت من فؤادى كؤوساً لساعاتها المثقله ...
واصطفتنى نديماً لها ..
شارباً كأسها
غائباً .. تائهاً ..
نازفاً .. كلما جف يوماً بها جرحها ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الليالى الجريحة تطلبنى كلما أطفأت بدرها .. ،
واكتسى وجهها بالتجهم ،
والمقلتان تحولتا اعتكاراً لجبين يستبقيان ظلام عصور التخلّف ،
يستهلكان بقايا عصور التعففِ ،
يستنهضان رؤوس الفتن ..
ورياح المِحَن ..

الليالى الجريحة يشحب فيها رويداً .. رويداً .. تعشُّقُ هذا الوطن .
والنخيل تغيم ملامحه .. يتراجع ، يبعد عنا ، فلا تستظلّ به فى الهجير العيون .
وتصير جدائلهُ الحانياتُ ، مقالعَ ، ترجم عشّاقَه بالإحَن ...

الليالى الجريحة عادت لتشرب من كل جُرْح بقلبى
دماها ...
وأنا تائه بين حلم يراود عينىَّ .. وبين اختناق يشدُّ الأمانى إلى جُبِّهِ ...
شجرٍ من عقيق الخرافة مازال يملك أن يفرش العين بالأمل الخُلَّب المتوشِّح بالصبر
مازال يملك أن بجتبينى إلى هديه
وعلى خفقتى ألف قُفْل يمط الشفاها ...
شجرٌ طالعٌ فى الليالى الجريحة ،
يسرقنى من إهابى ،
ويخطفنى من ثيابى
فارشاً فى هجير اغترابى مساحات فىء ظليل ...
ناشراً فوق رأسى غلائل ضوءٍ كليل ..
فإذا أسرجَ القلبُ خيل الحُلم
وامتطى مهرة الشدو
عارجاً صوب أفق الغناء
أسقَطَتْه على وهدةٍ موجعه ..
وَهدةٌ من عويل ..
خنقت صوته غصة مشرعه ...
حيث يختلّ مختلطاً صوتُ أوجاع روحى .. بصوت الصهيل .
الليالى الجريحة تعرفنى وتحدّد قلبى اتجاها ..
والنصال التى خِلْتها فى يدى ...
استقرت بظهرى وغاصت إلى منتهاها .

الليالى الجريحة عافت مراشِفَها ..
الدماء التى فسدت فى زمان افتضاض البكارة ..
واصطفت من دمائى شراباً ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن نبض هذى الشرايين لحن الخفوت ، وطبل المساء الصموت ،

وأغنية رددتها شفاه الجراح ، لتكسو النزيف انبثاقته المستثاره .

الليالى الجريحة صارت تعاف الدماء الهجين ..
الدماء التخافُت ..

الليالى الجريحة تقتلع الحلم .. تخطفه من حديقته فى القلوب ..
والأيادى التى لبست جسم خفاشها ، لونه
وامتطت بأس قفازها ..
عربدت فى الدروب ...
خُلْسَةً دسّت الجرحَ فينا بخنجرها الزئبقى
وسدّت حُلْمنا فيه راحت تخيط عليه الجراح .
ليذوب نزيفاً بملح اكتواءاتها .
ثم مدّت مراشفها تصطفى الدماء الأصيلة ،
تشرب منها وتَشْرقَ ، تعلنُ الا تكفُّ المراشف حتى تجفَ الينابيعُ ،
يسكن موجُ البحار هنا .. ،
رافعاً للتيبس شَارته .
معلناً : انتهاء اشتهاء الضفاف .
كاتباً فوق لوحته (حكمة اليوم) :
: قد نجا من تعلّم كتم خفوق الشرايين ــ ، كى لا تصير الدماء بها شجراً طالعاً بالدوىّ ،
يزلزل أزّ الرجيف ..
ونجا من تلبُّس سمت الحريص الضعيف ..
ونجا من وعى الدرسَ من قبلُ ،
من عاش لا شىء ،
من قرأ الموت عبر كتاب الجسارة ،
جلّى عواقبها حين شاف ..
: قد نجا من تغابى وخاف ..

سوهاج : جميل محمود عبد الرحمن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد عبد الحفيظ شحاته

يحملُ الغيمُ نبضَ الطُّفولةِ ،
يُخفى سرابيله فى مقاهى انتظار الأهلَّةِ ،
تجلدُ أفراسُهُ الوقتَ والأُفْقَ ،
تسبحُ حول المطيفينَ بين ارتعاش الخرائط ،
ترسمُ حلم النساء ، حنين البيوت ، ابتسام الصِّغارِ ،
ترائبَ للنهرِ طالعةً بقرى ومدائنَ ،
تسقى الحمائم أشواقَها الهارباتِ
بماءِ الوتر .

بيْدَ أنَّ الخوارجَ قد ضربوا موعداً
للعشاءِ الأخيرِ .. ،
وخطُّوا على الدَّربِ خاتمةً
للقمرْ .. ،

القُلوعُ بيارقُ فى هودج الشمسِ .. ،
قل لى :
متى الأُمُّ ما عرفت طفلها ،
ومتى لا تصلِّى البحارُ
لحزن الشجر ؟ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعرف ــ حنجرةُ الأُفْقِ ما كبَّرتْ فى غيابى
وانَّ
لسانَ اللُّغاتِ دمٌ يتساقطُ باليُتْم
فى رئةِ الأرض والناس
فى كلِّ قابِ
وانَّ دموعَ الأناشيدِ وجهُ الكتابِ
وانَّ شُموعى تصبُّ ارتيابى ..
وانَّ ... وانَّ ..
دعِ الآن يا سيّدى موقفاً
للعتابِ
ودعنى أعيدُ إلى الأُفْقِ ديمومتى
وانسيابى ،
فإن الكتابَ الذى قد رمى دفَّتيهِ .. كتابى
ثم كيف استثَرْتَ عصافيرِ رُوحى
وخُرسَ الأناشيدِ من جبهتى
إنَّنا لو وقفنا ....
يميلُ عن الأُفْقِ ميزانُهُ ،
تهجرُ البحرَ شطآنُهُ
تتركُ الأرضَ دورتَها
لو وقفنا ومال بنا الصّمتُ
قامت بنا الأرضُ ورقاء تهتفُ
فى كلِّ باب ...

تقولُ لىَ الآنَ هذا زمانٌ
تساقطتِ الشمسُ من كفِّهِ
والمساءُ الأخيرُ يمدُّ شرايينَهُ
افعواناً ، أقولُ وبالأرض مازال
ما يشتهيهِ دمى وانتسابى
أرى الغيمَ يحملُ نبضَ الطُّفولةِ ،
يُخفى سراويلَهُ فى مقاهى انتظار الأهلَّةِ
يُومضُ بين الخرائط ...
موجٌ ونار ....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شبين الكوم : أحمد عبد الحفيظ شحاته

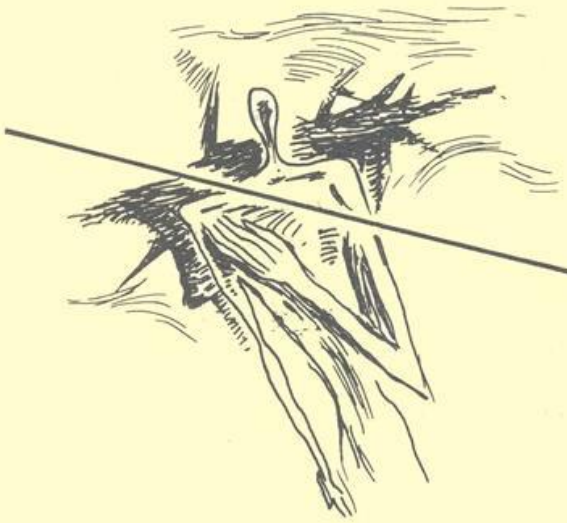

من تحت الجرح

مختار عيسى

ومايخرُ الآن فيكَ ،
انفلاتُ الأحبَّةِ ،
منْفىً سكنْت اختياراً ،
شحوبُ الفؤادِ ،
أحلمٌ أهلت التراب عليه ، وعزَّ عليكَ البكاءُ ؟
أم المرأةُ المستباةُ ــ على مخدعٍ من جلود الرفاق -
تُجاهد أن تستبيكْ ؟!
.....
وليس سواها الرياح ،
النخيلُ الذى قد وعدتَ استطالَ ،
استمالَ الرفاق إليه ،
وأعطاكَ ظلَّ الخزَفْ ،
وما أنت بالسيّد المسْتريب ،
النخيلُ الذى قد وعدت اختلفْ
وهاأنت يا واقفاً فى الحدود الفواصل ،
لستَ الذى أرتديه ،
ــ إذا ما الرفاقُ أتوا ينظرونكَ .. ،
لست الذى يرتدينى
ــإذا ما الجروحُ النوازفُ قُمْن من القيْحِ - ،
إنّ الدماء استحالت إلى الماءِ ،
كذّبن ما يدّعيه الطبيب !
.....
ونازعتَنى فى المعالِكِ ،
أذكرُ ،
كأنّ المساءَ احتوانا
وفى الأفق خلف اشتعالك كانت تغنّى ،
وتُسقطُ فى الحمْرة المشتهاةِ وزَيْقتها الذابلةْ
فيرتجُّ طائرك القزحىُّ ،
ويهتزُّ تابوت روحى
أقول : « الرعيّة منىً ،
وإنى فى حلقها الديدبانُ ،
فتهتفُ : « لا ،
همُ المُوجدوكَ ،
همُ الصّانعوك » ،
ويأخذنا الوقت حتى انغلاق العيونِ
فتخلعُ عنك ابتسامك ،
تمضى .. (إلى موعد ترتجيهِ) ،
وتدخلُ قشرتك العازلةْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما ترتضينى ،
وما أرتضيكْ !
.....
أفتّش فى داخلى المصطَلِى
فألقاك ـ تحت السقيفة ـ تخطبُ فيمن توالوْا
يحوطون قلبكَ بالأسئلةْ
يجذّون لحمك ، ثم يوارون بعضك فى لفلفات الحديثْ
أشقُّ المسافة ، آتيك أصرخْ :
« همُ الآن خلفك
هم الآن جاءوك عند الأمامْ
هم الآن بينى وبينكْ
هم الآن فيكْ
فحاذرْ ،
فإنّ الميادين أضيْق مما تظنُّ ،
وإن الخيول استطابت ندىَّ التراب ،
استكانت لظلِّ البيوتْ
.....
يقولون (ضعتَ) ،
فهل ضيعَتك الزنازنُ ؟
ـ لا
= أهذى المآذنُ ؟
ـ لا
= والمخازنُ ؟
ـ لا .. ضيّعتنى الصحابُ / الكلابُ ،
إلى المرأة العاهرةْ !
يقولون : « هذا أوان التبدُّلِ ،
من عمّدته اليدُ القادرةْ ..
يطول النخيل ،
ومن حاصرتْهُ اليتامى ـ بذلِّ السؤالِ ـ ،
فنقّب فى سِفره الخزفىَّ ،
فقد باء بالصفقة الخاسرةْ ! »
.....
وما ينخرُ الآن فيكْ ؟
فما كنت أنت الممدّد فوق الأرائكِ ،
تقرأُ كفَّ الوسائدِ ،
ما كنتَ من غيّبته الزجاجاتُ ،
وامرأةٌ عاطرةْ ..
عن الزهزهات بصدر الحقولْ
أما آن أن تستردَّ المضيَّع منكَ ،
أما آن للساكن اللولبىّ الثقيلْ ..
أما آن أن يستقيلْ ؟
وهل يستعيدكُ من فقدوكَ ،
يلوذون بالعشرة الطيبةْ ؟
بهذى الطيور الأليفاتِ ، حمْن حواليكَ ،
علّك تلقى إليهن حنطة قلبكَ ،
علّ الجياد التى أوقعتكَ ،
وداست على الأوردةْ
وألقتك تحت الصهيل النبيلْ
تعيدُ إليك اشتعال الفؤادِ ،
وتسقيكَ من حمحمات الخيولْ

المحلة الكبرى : مختار عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحـــــزن ....

ابراهيم محمد ابراهيم

جرحى أكبرُ مِن ذاكرة الأرض
ونافذتى ..
ترحل خلف ضبابكْ
يانرجسةَ الوجعِ المروىً
من الجدرانْ
ليت غمامى أسقط فى كفيكِ
مراياىَ المنكفئة
ـ تحت قطار الفجر الآتى ـ
ليت خيولَك أنهارٌ
تدخل فىَّ وتستصرخنى
حتى أُنثَر عفواً
مثل بذور الفرح العابْر ...

.....

شاخصةٌ هذى والمقبرةُ السوداءُ
لتروى بعضَ قصيدتها
شجَراً
مرتسماً فوق جناحَىْ عصفور مذبوحْ
كيف أحبّك خمسَ دقائقَ
فوق رصيفى ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كيف أروِّض بابك أفُقاً
يتوحّد بالأجنحة المكسورةِ
والورداتْ ؟
ياريحا تُنْشبُ بعض أظافرها
فى خارطة الفكرة
هذى كفّى ... وادٍ من كلماتٍ خضراءْ
من ألقاها جثثاً فى البحر
لتَخْرُج أشباحاً فى أرديتى ؟
.....
بعض سنابلك المنزرعة خلف نزيفى
تشهد أنى غبتُ كثيرا
جبلاً

لم يمنعْكِ ظلالا للأحبابْ
يامأساة البئر انطلقى
زُمِّى حزنك فى عينَىَّ
ولا تختصرى الرملَ المتسربلَ
بالروح
أنا أسكنتُ رغيفى مدناً
تصلبنى
كم بعثرنى هذا صخراً داخل عينيكِ
ولم ينفجر الماءُ
أكَلْتُ عصاى ، مآربُ أخرى كانت أحزانى
تهبُّ نشيداً فى آنية الوقت
وَصلَّتْ بعضُ دمائَ على الأسفلت
أيَا كلَّ فراشاتى انطفئى أسئلةً خلف حواجز جرحى
ضاق البحرُ مداداً فى تذكرة الدنيا ، فى أوصاف حبيبى
كى أسكن داخل أسوارى مسماراً دَقَّ عليه الوقت
فغامت كلُ الأبراجْ ...
هل لامَسَتِ النارُ حدودى
ـ حين أحبك فى أوقات فراغى ـ ؟
لم أنكرْ قاطرتى

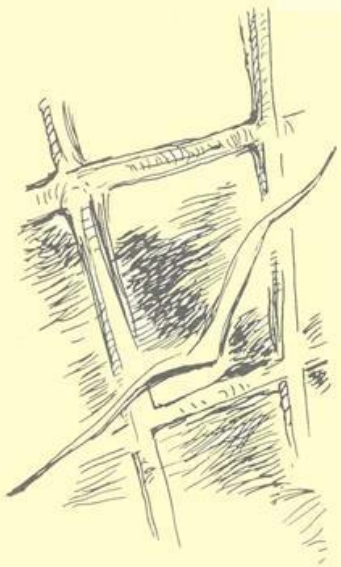

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ حيث أراكِ اندلعتْ خلفك كلُ خيولِ حكاياكِ
أهمسُ
كونى برداً ...
كونى حجراً وأريحينى
هذا العالمُ استأثَر وردتَكِ
وما ذاب العطرُ الأوّلُ فى أوجاعكْ
لا تنزعجى ..
جسدى الآن نبيذٌ للشعراءْ
لا فكرةَ فى ذاكرة الأرضِ
ولا نافذة ترحل خلف ضبابك
يانرجسة الوجعِ المروىِّ
من الجدران ....

الجيزة - إبراهيم محمد إبراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى خارطة الحزن الأبدى

خالد مصطفى

(١)

فى أفق الصمت الجارف ..
نمضى ..
نمضى ..
تصفعنا رائحة الليل الداكن .
تمضغنا ريح مثقلة ..
بالذكرى
بالأصداء
ونسافر قهرا ، قسرا ..
يدفعنا موج الأنواء .

(٢)

نمضى
نمضى
والجرح بقلبينا دامٍ
يتشقق فى لحظات النزفِ ..
يعيد الطَّعنة بالطعنه .
وأنا ..
عفوا ، وكلانا فى دائرة القهر
نتداخل فى جسد واحدْ
نتآلف من قلب واحدْ
نتسامق حلما مكبوتا ، يتراءى بين ضباب الوجد

(٣)

نمضى
نمضى
فى صمت أبدىً
نتغافل عن أزمنة الخوف
نتفاعل سرا ..
بين قبور الكلمات الجوفاء ..
ونمارس طقْس الحب على أرض صفراء ..
نتشكّل ..
حرفا .. حرفا ..
سطرا .. سطرا ..
تفغيمة جرحٍ عصبيه
تفعيلة بوح سحريّه
وتكون ولادتنا ..
رغم الأحداثْ
خارج بوتقة العرفِ ..
ورغم قوانين الموروث
إسقاطا ..
فلكيًا ..
ناريا ..
يتدلّى من طبقات الأمل المبثوث
من رحم السنوات الخرساء ..
من رحم الدائرة البلهاء ..

(٤)

نمضى
نمضى
ونفتّش فى خارطة الحزن .
عن أرض نسكنها ..
عن حدثٍ ..
عن فعل مردودْ ..
عن صك الميلاد المفقودْ
نسأل عن رؤيا ترقينا
وتمائم تحمينا
نبحث عن مأوىً يأوينا ..
فى خارطة الحزن الأبدى ....

السعوديه: جدة : خالد مصطفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ريـــاحُ الأســـى

إلى روح الشاعر الكبير عبد المنعم الأنصارى

أحمد محمود مبارك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

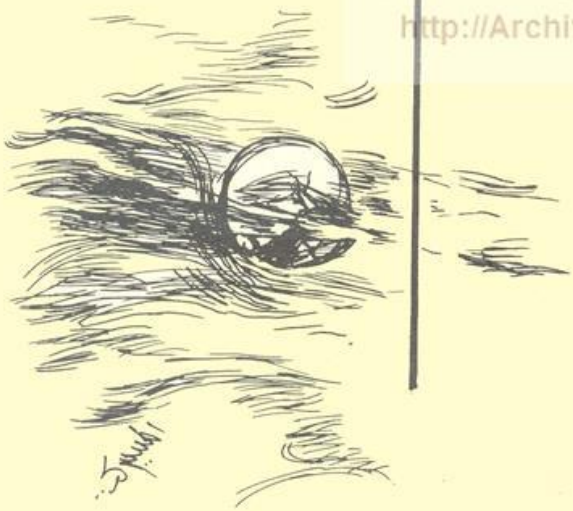

مُشَبَّعَة ريحُ أمشيرَ ،
تلك التى اقْتَلَعَتْكَ ،
بدمْعِ القصائدْ
مُدَجَّجَةٌ بالغيومِ التى ،
طَمَسَتْ ومْضَةَ الثَّغْرِ ،
ألقتْ علينا ،
سيولَ المواجدْ

... ، وكنتَ لنا دوحةً ،
تتلألأ فيها طيوبُ النشيدِ ،
يرفرفُ فى كل غصن بها عندليبْ
تُغنِّى .. فَتُلْقى علينا الظلالَ ،
وتوقد فينا الوجيبْ

.. فياريحَ أمشيرَ ،
كيفَ اقْتَلَعْتِ الجذورَ . ،
وكيفَ بَثَثْتِ اصفرارَ الموات ،
على دوحةٍ كان يمرحُ فيها الربيعْ ؟

وكانت تهدهدُ ـ فِيْنا ـ القصيدَ الرضيعْ
بأعطافها الوارفاتِ ؟
... أياريح أمشيرَ
« شدْوُ السواقى* » نعيبْ
« وبابُ الأميرة »*
يبكى رحيلَ الحبيبْ
فكيف تعودُ القصائدُ خضراءَ ،
كيف يبدِّدُ وَمْضُ الغناءِ ،
ضبابَ الغثاءِ ،
... ، ومَنْ سوف يجمعُنا ،
نتفيأ ظلَّ « عمودِ » القصيدْ
ومَنْ ـ بعدهُ ـ حين يُنشدُ ،
يبزغُ فى الثَّغْرِ نجمٌ جديدْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسكندرية : أحمد محمود مبارك

* إشارة إلى الديوان الأول للشاعر الراحل « أغنيات الساقية »
* إشارة إلى الديوان الثانى ..... « على باب الأميرة »

تذيـــــيل
على
عصر الطـــوائف

أحمـد نـبوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ياصاعدونَ ..
أذانكم متعددٌ
فتقهقروا نحو الجنوبْ
صلُّوا صلاة الإستغاثةِ ..
واقرأوا شيئاً من القرآن يحفظكم ..
وأنتم راجعونْ
هى آخر الصلوات فوق جبين هذى الأرض ..
فاختزنوا من الشمس الكثيرَ ..
فقد يجىء عليكمُ زمنٌ ..
يسود به الجليدْ
فغداً ستغرب شمسكم
ويحلُّ أندلسٌ جديدْ
ياصاعدونَ ..
أذانكم متعددٌ
فتقهقروا نحو البداية والسكونْ
واستوقفونى برهةً أحكى لكم تاريخكم

ما زال من يتلو على أذهانكم من سِفْره الفردىِّ .
آياتِ السكوتْ
مازال فى أنفاسكم
يحتلُّ خارطة المشاعر فى القلوبْ
ما زال ينخر فى عظام حنينكم
ويصادر الأشواق والحبَّ المسافرَ
لا خضرار شجيرةٍ تحت الربيعْ
استوقفونى برهةً
لكننى
من قسوة الأحداث خلف دموعكم
لن أستطيع

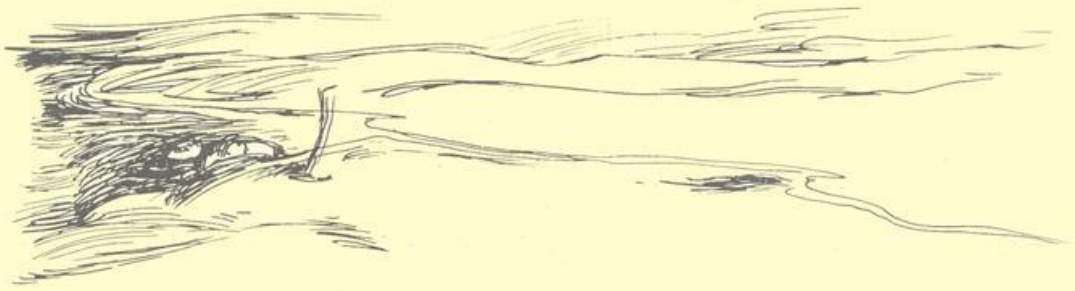

فاليوم يوم القهقرى
وغداً
سنرحل فوق سطح سفينةٍ حمراء تمخر
بين أمواج التحسر والندمْ
الثلج آتٍ ياعُراه
فتسلّحوا بالنار والايمان والحلم الرضيعْ
كى تستطيعوا أن تناموا تحت ظل شجيرةٍ
جاءتْ على كفِّ الربيع
فالزهر يحمى نفسه بالشوك من لصٍّ يفاجىء ..
بغتة
وتجهزوا جهراً
أعدّوا
ما استطعتم من حنينٍ واشتياق للربيعِ ..
وما استطعتم من رباط الخيلْ
إن كان فيكم من يريد لعزة الماضى الرجوع
أواه يازمن الخيولْ !
فالخيل ماتت من زمانْ
هذا الزمان زمانكم
ياأهل أندلس التمزّق والزواحف
سمّوه عصر الخزى
عصر العار ...
أو عصر الطوائفْ
سموه من أسمائكم
واستوقفونى برهة
أحكى لكم ما تفعلون

أترى حسدتم بعضكم بعضاً
ونُبْتم عن أعاديكم
وأشعلتم بأنفسكم فتيل الإنتحار ؟
إن الزمان بظهره لكم استدار
من يحتوى فيكم دقائق حالماتٍ
تحت ظل سمائه ..
أو يحتوى شِبْرىْ أمان ؟
استوقفونى برهة
فالثلج آتٍ يطمس الأشياء من نحو الشمالْ
الثلج نحو عيونكم
وسيملأ الثلج المكان
فالثلج يزحف من زمانٍ
من زمان

القاهرة : أحمد نبوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيدى البحر
يا سيدى

أحمد جامع

العصافير ترحل للجهةِ الثانية
والمراكب تتبعها فى انتشاء غريب
والمساء الذى ضمّنا
حطم اللحظة الآتيه

— ١ —

سيدّى البحرُ يا سيدى
كيف باعدتَ ما بيننا ؟
كيف صادقت غير الذى
كان يلقى القصائدَ فى مقلتيك
كيف كيف ؟
كيف صاحبت ليل الزوال
والرمال التى كنت تدفننا بينها
ما تزالْ ــ تُسمَّى الرمال
والشواطىء نفس التى
اشرقت بابتساماتنا الساحره
كيف أغرَقْتنا بالوَلَه
وانتقيتَ لفرحتنا دمعة مثقله !

— ٢ —

ليت كلَّ النهار لنا وحدنا ،
ليت كل المدار لنا وحدنا ،
ليت كل المراكب ، كل المواكب ،
كل النجوم ، النخوم ، الحقول ،
الطيور ، الزهور ، الشروق ، الغروب
القرنفل والبرتقال .
ليت ليت
ليت هذا المطرّز بالزرقةِ الداكنه
يستعيد مواسمنا
موسماً موسما
ثم يعزفنا فوقه
غنوة دائمه
سيدى البحر يا سيدى
هب لنا فرحة غامره
هب لنا
هب لنا .

نجع حمادى : احمد جامع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اشتعال الأبنوس

أحمد عمر محمود شيخ

كم تشرقُ قامتُك العُليا ..
تتوسّدُ أروقةَ الأبَنوسْ ..
وتناوشُ أشرعةَ الغِربانْ
وتموجُ بخطوتك الأولىٰ ..
وتتيهُ علىٰ كفِّ الأوطانْ
تتساقطُ عبر شموسِ النفىْ ..
وتردّدُ أصداءُ الأكوانْ
يتهامس ظلُّك .. والرؤيا ..
« .. لو أنتَ الآنْ .. »
تهتزّ صوارى العشقْ ..
طائرك البرِّىُّ المصلوبُ ..
على نجمِ الأحزانْ ..
يلتحمُ بصمتِ الأنواءِ ..
يلمُّ مسافاتِ الغربةِ ..
يحترقُ علىٰ دربِ الأضواءْ
رُبَّانُكَ يا هذا ..
يسلُّ مزاميرَ الماضى ..
ويسامرُ أضرحةَ الشهداءْ .
« .. لو أنَّكَ .. »
لكنْ ..
.. قَمرُ الشُرُفاتِ الكابى
سينّ علىٰ عتباتِ الحرفِ ..
ويرسمُ سقطاتِ الأحلامِ
يفلُّ تباريحَ الشدو ..
يهدهدُ أجنحةَ الأنغامْ

« .. لو أنكَ .. »
فتحٌ يهمى عبْرَ شتاءاتِ التأريخِ ..
يشدُّ زفيرَ الأوهامْ
فيكبِّلُ صدْفاتِ الشاطىءْ
ويعانقُ همساتِ الكثبانْ
.. يا هذا ..
قُلْ لىْ ..
كم يشتعل النوحْ ..
ويسافر عبْر النسيانْ ؟
قُلْ لىْ ..
كم جرحٍ يتعالىٰ فوق ضجيجِ الموتْ ؟
تشنقه الريحْ
ويغافل أوتار الماضى ..
ويُبارك أغلالَ الصوتْ ..
وتراودُ اسطركَ الثكلىٰ
« .. ثغاءُ الشاةِ واطيافُ المرعىٰ
والميتمُ علىٰ كفِ الرجعةْ .. »
تكتبُ
« .. الوانُ الطيفْ .. »
وتُقاسِمُنا ذلَّ البيعة
تبحرُ عبر الموجِ الوسنانْ
تتسلقُ ليلكةَ المجهولْ
فيرُديك السَّفرُ المأمولْ
وينوءُ برعشتكَ الساحلْ ..
وتشكّلُ قسمَاتِ الأوطانْ
كم تشرقُ قامتُك العُليا
تتوسّدُ أروقةَ الأبنوسْ
« .. لو أنتَ الآنْ .. » .
تتمزقُ راياتُ القُرصانْ !

إرتريا : أحمد عمر محمود شيخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكـــزبـــرة *

« إلى نلسون مانديلا »

مدخل

كزبرةً فى شَكْلِ العُرْى
تتسلّلُ من خلفِ لحاءِ الصيفْ
وترشرشُ فوقَ حَصيرِ الموتِ صَهيلاً
وعبيراً زنجيّاً
فيفاجئها السهمْ
تَتفجرُ قمراً
وشظايا .

(١)

فى قَاعِ الصمْتْ
حَيثُ القيدُ أميرٌ ــ والأَحْلاَمُ زئِيرٌ مُحتضرْ
ها أنتَ تَزَفُّ إلى الغُرْبةِ
تجْلسُ فى رئةَ العطنِ وحيداً
مثل قطارٍ هَرِمٍ
تتوضأُ بالحزنِ ، تُصلّى فوقَ السكّينْ
وتُنَاجى نجماً يتشكلُ فى رحِمِ الطين .

(١)

عنْزاتكَ تحت الشفقِ يلُكْنَ الجُوعْ
عن كفيك يفتِّشنَ
ويعرفن ــ كأطفالك ــ أنك خبزٌ دفءُ سَيْفْ
فَقُمْ
الشَجرُ الهَمجىُّ يلوِّح ببرائَتِهِ للطيْرْ
يَبثّ هواجسَه لصفيِّكْ
قُمْ
زوجتُكَ تُزيِّنُ بحروفِكَ جدرانَ الألمِ

فتحى عبد السميع محمود

* الكزبرة نبتة ذات أزهار أرجوانية يلقب بها المناضل الإفريقى نلسون ماندلا .

وتنسجُ ثوبَ الحلم
على نَولِ تَرقُّبك

فقمْ
أطلق بيرقَكَ الجامح فى ذاكرةِ الأرضْ
احفرْ فى الغيمِ شمُوخَكَ
حَلِّقْ بطيورِكَ فوقَ سماءِ البوحْ
فَجِّرْ فى أحناءِ الصخرِ نشيدك
غرِّدْ
للظلِّ المتصدِّعِ
للعُشبِ المتوجِّع
للقمرِ المُترمِّدِ فوقَ سطوحِ الحلمْ
قـــمْ
وادفَعْ قِنْديلَكَ فى حَلْقِ الديجُورْ
سرِّحْ من بينِ ضلوعِ الظلمة شَمْسكَ
خَيْطاً خَيْطاً
وازرعْ فى رئةِ العالَمِ عشًّا لهَدِيلِكْ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قنا : فتحى عبد السميع محمود

بين الانكسار .. ورفض السقوط ..

دراسة تحليلية فى قصيدة « موت »

• د. أحمد عبد الحى يوسف

قرات هذه القصيدة للشاعر فراج مطاوع بمجلة إبداع نوفمبر ٨٩ ، وهى قصيدة مكونة من ثلاثة توقيعات ، وكلمة « موت » ليست عنوان القصيدة ، ولكنها عنوان التوقيعة الاولى ، كما ان « كراسة » هى عنوان التوقيعة الثانية ، و « مسافة » عنوان التوقيعة الثالثة . وهذه التوقيعات الثلاثة كانت بحاجة إلى عنوان يشدُّ ازرها ، ويجمع شملها ويلخص رؤاها ، وساقترح لها عنواناً فى نهاية هذا التحليل كما ساقترح ايضاً عنواناً اخر للتوقيعة الاولى .

• • •

فى التوقيعة الأولى « موت » تبدو المفارقة بين « ما كان » و « ما اصبح » من خلال هذه الصورة (صورة الأب) المعلقة فى الجدار ، والتى كانت تحيا عندما كانت تعيش فى قلوب الصغار :

« مرت البنت ذات الضفائر قالت :
ابى »

وفى عيون الكبار :

« ولمحتُ الدموع بعين الكبار »

لكن هذا التعاطف الذى كان متوهجاً فى قلوب الصغار ، لا يلبث ان يخبو ، وهذا الحنان الذى كان متدفقاً من عيون الكبار لا يلبث ان ينضب ، وتتعرض الصورة للإهمال ، فبعد أن كانت موضع اهتمام الآخرين وحبهم :

« كم جُليتُ وقُبّلتُ وابتسمتْ جبهتى »

تصبح مجرد « شىء » من الأشياء التى تتعرض — بمرور الزمن — للإهمال ، إذ لم تعد الصورة تحظى بقبلات الآخرين ، ولا حتى بعنايتهم ، وكيف ؟ ، وقد اصبحت « شيئاً » مهملاً لا يجد من يجلو عنه طبقات الغبار التى تراكم بعضها فوق بعض :

« وتوالى هسيس الغبار
الغبارِ
الغبار »

ومن الطبيعى — بعد ذلك — ان تُنتزع الصورة من مكانها ، كما تُنتزع الروح من جسدها . وكان الإنسان يعجز حتى عن ان يطيل عمره بوسيلة صناعية (صورة فى جدار) مادامت القلوب تتقلّب ، ومادامت الصغيرة ذات الضفائر قد نسيت — فى غمرة فرحها — هذا الأب ومادام الكبار قد نسوا — هم الآخرون — الأب الغائب — رغم انه الأصل — فى غمرة انهماكهم بالابنة الحاضرة رغم انها الفرع . إنه « الجحود » ، او هو عدم الوفاء يقف وراء انكسار الصورة وسقوطها من مكانها حيث كانت تتعلق العيون بها ، لتُلقى فى ارجاء البيت مستسلمة فى انكسار ، رافعة راية الانهيار :

« صورة ..
(كم جُليتُ وقُبّلتُ ..)
لكننى — الآن — فيما زفاف الصغيرة ذات الضفائرِ
فى البيتِ
ألقيتُ — مستسلماً — فى انكسار »

• • •

« صورة الجدار » هى النواة الأساسية التى شُكّلت منها هذه الصورة الشعرية . يبدو هذا فى الإلحاح على تكرار كلمة « صورة » ، ثم فى احتلال هذه الكلمة موقع الصدارة فى خمسة سطور ، يرد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اربعة منها فى المقطع الأول الذى يحتل السطور (١ : ١٢) كما ترد المرة الخامسة فى بداية المقطع الثانى ، وبالتحديد فى السطر الثالث عشر .

ويلاحظ ان تكرار الكلمة كان ياتى مصحوباً — فى كل مرة — ببعد جديد يعكس تحولاً طرا على هذه الصورة . السطر الأول « صورة فى جدار » يحدد اللبنة الاساسية التى ستتشكّل — فيما بعد — فى صورة شعرية . اما السطر الثانى (كم جليت وقبلت وابتسمت جبهتى) فيرد موضوعاً بين قوسين ليكشف ما كانت عليه الصورة — فى ماضيها — من بهاء ونضارة ، وما كانت تلقاه من حب وعناية ، وما كانت تُحاط به من حنانٍ ورعاية . لكن هذا السطر نفسه ، يبدو فى صورة « مونولوج داخلى » منبعث من اعماق صاحب الصورة ، يمهد به الشاعر لما سوف تصبح عليه هذه الصورة . وترد « كم » الخبرية فى بداية هذا السطر لتعمّق الإحساس بالمفارقة ، لاسيما حين نكتشف — فيما بعد — ان هذه العناية الكبيرة ، « كم جليت وقبلت .. » ستتحول — فى النهاية — إلى إهمالٍ كبير :

« أُلقيت — مستسلماً — فى انكسار »

ثم ترد كلمة « صورة » لتشغل السطر الثالث بمفردها ، وكان الأمر يستدعى التامل لما سوف يطرا على هذه الصورة . ومن ثم ياتى السطران (٤ ، ٥) ليعكسا ما كانت تلقاه الصورة من عناية من قبل الجميع ، صغاراً وكباراً :

٤ — مرت البنت ذات الضفائر قالت : ابى

٥ — ولمحتْ الدموع بعين الكبار

ثم تتكرر الكلمة المحورية (صورة) لتشغل السطر السادس ، ويكون هذا تمهيداً لبيان ما لحق بالصورة من مظاهر الإهمال ، ويتبدى هذا الاهمال حثيثاً وعميقاً فى ان من خلال تكرار كلمة « الغبار » :

٦ — وتوالى هسيس الغبار

٧ — الغبار

٨ — الغبار

إن تكرار الكلمة على النحو السابق يوحى بتراكم الغبار فوق الصورة طبقة فوق طبقة ، مما يؤدى إلى طمس ملامح الصورة رويداً رويداً ، وهذا بدوره يعكس غياب الصورة تدريجياً من قلوب الصغار ومن عيون الكبار ، وهذا الغياب يكون مقدمة — هو الآخر — لانتزاع الصورة من مكانها ، كما تنتزع الروح من جسدها .

وياتى المقطع الثانى بادئاً فى سطره الأول (١٣) بكلمة « صورة » فقط بعد ان انتزع منها شبه الجملة « فى جدار » ويحسن — لبيان المفارقة — ان نورد مطلعى المقطعين متجاورين :

١ — صورة فى جدار

١٣ — صورة .

إن سقوط شبه الجملة « فى جدار » من مطلع المقطع الثانى يشير إلى سقوط الصورة من الجدار بعد ان خرجت من زوايا الإطار .

وإذا كان السطر الأول من المقطع الثانى « صورة .. » قد ورد مبتوراً بالمقارنة بقرينه فى المقطع الأول « صورة فى جدار » ، فإن السطر الثانى من المقطع الثانى ، « كم جُليت وقُبلت .. » قد ورد هو الآخر مبتوراً بالمقارنة بمثيله فى المقطع الأول : « كم جليت وقبلت وابتسمت جبهتى » ، وذلك لأن الموقف فى المقطع الثانى يستدعى الدهشة والحسرة على ما آل إليه امر الصورة ، ولم يعد الموقف يستدعى الابتسام كما كان حال الصورة فى ماضى الزمان ، ومن ثم ياتى هذا السطر بعد ان تبتر منه جملة « وابتسمت جبهتى » .

وعلى هذا النحو تُشكّل هذه التوقيعة فى بناء لغوى متماسك ، ويساعد على إبراز هذا التماسك قافية الراء المسبوقة بالف ممدودة ، والتى يتردد صداها فى المقطع كله منذ السطر الأول وحتى السطر الأخير ، وذلك فى كلمات « الجدار — الكبار — الغبار (تكررت ثلاث مرات متتالية) — الإطار — انكسار » ، وهو تردد يجعل هذه التوقيعة منسجمة إيقاعياً كما هى منسجمة لغوياً .

* * *

اما التوقيعتان الثانية والثالثة فهما متشابهتان إلى حد بعيد . فى التوقيعة الثانية « كراسة » يرفض الشاعر سقوط الإنسان وتفتته وموته موتاً رخيصاً ، الكراسة رمز ، وهذا الرمز هو المستوى الأول لحركة التوقيعة يكمن وراء هذا الرمز المستوى الثانى او المرموز إليه (الشاعر — الإنسان) هذا الذى يبدا بريئاً نقياً مثل كراسة ذات اوراق (بيضاء) .

تبدا الكراسة ذات الأوراق البيضاء مهيأة للحياة ، فرحة باستقبالها وبالاندماج فيها ، فتتهلل حين تجد نفسها فى يد (طفل) يداعبها ملتمساً المعرفة والخبرة ، فتتهيا له ، وتفتح صفحاتها البيضاء لتستقبل مداد القلم بفرحة ونشوة غامرتين .

فى البداية يحدث هذا التناغم والتفاعل بين رمزى البكارة (الطفولة حين تعانق الورق الابيض) . لكن سرعان ما تصبح الكراسة عجوزاً ، ويتحول موقف الطفل عنها ، إذ ترمى بيده لتتمزق وتتفرق اوراقها فى الشوارع وبجوار الأرصفة . وقد يوجد من يجمع هذه الأوراق ، ولكن لا ليلتمس فيها علماً او معرفة ، بل ليصنع منها لعباً للأطفال ، كان تصبح مركب بحر صغير ، او طائرة يلجم الخيط شدقيها ، لكن هذه الطائرة ما تلبث ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتمزق فى هجمة من هجمات الريح ، فتسقط ليكون مصيرها الهوان ، وذلك حين تداس بالأقدام . وهنا نذكر خيول أمل دنقل ، التى كانت فى البدء ، برية تتراكض عبر السهول ، ثم صارت تماثيل من حجرٍ ، اراجيح من خشبٍ ، فوارس حلوى ، رسوماً ووشماً .

على هذا النحو يتعانق الرمز والمرموز إليه (الكراسة والإنسان) ليعكس الشاعر إحساسه بمأساته ، لقد كان ينبغى ان يظل بريئاً ومصدراً للنور والإشعاع ، فإذا باليد الآثمة تمتد إليه ليصبح لعبة ، اراجوزاً ، مهرجاً قد يثير الضحك ، لكنه لا يلبث ان يسقط مهاناً تحت الأقدام .

وهذه التجربة هى نفس التجربة التى تنطق بها التوقيعة الثالثة « مسافة » مع اختلاف الرموز ، فالكراسة فى « كراسة » تقابلها النقطة فى « مسافة » ، هذه النقطة التى بدأت حياتها هى الأخرى متفائلة مستبشرة حين كانت ترسم فوق حروف الكتابة او تتبسم تحتها ، وإذا كانت الكراسة تحن إلى الطفل فى « كراسة » ، لكى تُحقق من خلاله الفعالية والوجود ، فإن النقطة تحن إلى القلم فتحاول الاقتراب منه ليتصافحا بالقبلات ، وإذا كانت اوراق الكراسة البيضاء قد تمزقت وديست بالأقدام بعد ان تحورت فى صورة مركب او فى صورة طائرة ، فإن النقطة قد افترقت عن شفاه القلم فى لحظة اللثم ، لأن رمز الشر كان قد ظهر ، والشر هنا يتمثل فى معلم مزود بعصا مهدداً الطفل ان يفرق بين الحبيبين مستخدماً فى ذلك اداة التفريق (الممحاة) .

وكما يرفض الشاعر فى توقيعة « كراسة » هوان الإنسان الذى يولد حراً ، ليداس بعد ذلك بالأقدام ، يرفض فى توقيعة « مسافة » هوان الإنسان ايضاً ولكن حين تَنتهك حرمته وتستباح خصوصياته .

وعلى هذا تجتمع التوقيعتان عند موقف واحد ، هو إدانة الشر الذى يقف للإنسان بالمرصاد ، فيشوهه ويخنق تطلعاته ويحول بينه وبين نموه الطبيعى . فالكراسة تبدأ عاشقة للطفل ، هذا الذى سيتخذ منها وسيلة للمعرفة والوعى . والنقطة تبدأ هى الأخرى عاشقة لثغر القلم ، لكن الكراسة تداس ، والنقطة تمحى ، والقلم يقصف .

* * *

وكما نلاحظ تشابه الموقف ، نلاحظ ايضاً تشابه طريقة التعبير ، ففى « كراسة » تبدأ الكراسة الحديث بضمير المتكلم وبصيغة الماضى لتكشف عن ماضيها البكر الجميل وطموحها الطازج الكبير ، وفى غمرة انهماكها فى تذكر الماضى يصبح طبيعياً ان تتكرر صيغة الماضى « كنت » ثلاث مرات :

« كنت فى البدء كراسة ،
يكتب الطفل فيها دروسه
كنت فى البدء أمتلك الورق الأبيض المستطيلَ
احب انسكابَ المداد على صحفى ..
كنت .. »

وكذلك تبدأ « النقطة » — فى « مسافة » — الحديث من خلال صيغة « كنت » حين يكون الحديث على لسانها ، وبصيغة « كان » حين يكون الحديث عن رفيقها وحبيبها :

« نقطة ، كنتُ ،
فوق حروف الكتابة أُرسمُ ،
او تحتها اتبسَّمُ ..
.. كان يحط جوارى ،
بمنقاره اللولبىِّ الدقيقِ
يحدثنى عن ضجيج المداد الحبيسِ فافرحُ
إلفَ التوحد كان .. »

اللوحتان جميلتان ووردیتان لتعلقهما بما « كان » ، لكن عندما ينتقل الشاعر إلى ما هو كائن من خلال صيغة « لكننى » فإن الصورة تنتقل إلى النقيض ، وتصبح المفارقة هنا بين الماضى الذى كان ، والحاضر الكائن . يُعبِّر عن هذا الحاضر الواقع من خلال صيغة « لكننى » فى توقيعة « كراسة » :

« لكننى حين صرت عجوزاً ،
رمتنى يد الطفل — آخر العامِ —
ادمعت حين انقلبتُ ....
تمزقتُ ، فُرقت بين البيوت وبين الشوارعِ
طرت .. انكمشت جوار الرصيف انازعُ .. »

ويُعبِّر عن هذا الحاضر / الواقع فى توقيعة « مسافة » حين يتغير الزمن ويتحول من الماضى إلى الحاضر ، وتكون الإشارة هى ظرف الزمان « حين » :

« وحين التصقنا — نريد التصافح باللثم —
أزّت عصاه المخيفة ،
قال — المدرس للطفل — : باعدهما
فرقتنا العدوُّ اللدودة مِحْاتُه »

نلاحظ النهاية الواحدة من خلال استخدام صيغة مشتركة هى « فُرِّقْتُ » فى « كراسة » ، و « فرقتنا » فى « مسافة » .

بعد هذه المفارقة بين « ما كان » و « ما هو كائن » يلتقط الشاعر انفاسه ، محاولاً ان يجد تفسيراً لهذه الانتهاكات التى تسلبه اجمل ما فيه : بكارته وطهارته ، لكنه لا يصل إلى تبرير ، بل يقع اسير الحيرة والتخبط اللذين يبدوان فى صورة تساؤلاتٍ ، هى فى « كراسة » :

« لست ادرى لماذا يؤدى الزمان طقوسَهُ ؟
ولماذا يصر الرجال ، التلاميذ ، احذية الجندِ ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعجلات الثقيلة فى سيرها ... ،
ان تدوسَهُ ؟ »

وهى فى توقيعة « مسافة » :

« يا شبيهى ، ياشُبَهانى
متى نستريحُ ؟
فلا تستباح لقاءاتنا ...
قال : مادام تلك العصا فى اكفّ
الأساتذة الطيبينَ
ستبقى حدود المسافة بين النقط
فمتى نلتقى مرةً عند خطّ ؟
فمتى نلتقى مرة عند خطّ ؟ »

وهكذا تبدو التوقيعتان توقيعة واحدة ، قيلت بطريقتين مختلفتين ، لكن الأمر لا ينبغى ان يؤخذ بهذه البساطة ، فلولا ان الشاعر يحس بفداحة الواقع الذى يحياه ، وبالمفارقة الكبيرة بينه وبين ما يتمناه ، لما الحت عليه هذه الرؤية . إنه « همُّ » او « كابوس » يجثم على وجدان الشاعر ، وهو يعبر عنه من خلال مقطوعة ، لكنه يحس بانها لم تعبر بالقدر الكافى عما يحسه ، فيعزف لحناً ثانياً لعله يفرغ فيه شحنته العاطفية ... وقد تتعدد القصائد والدواوين ، وقد يفنى الشاعر نفسه دون ان ينطق بما فى اعماقه ، ويظل الإحساس مستعصياً على ان يتشكل فى كلمات .

تعكس التوقيعتان الأخيرتان إذن رحلة الإنسان ومأساته ، حيث يبدأ بريئاً بكراً ، لكن هذه البراءة تذوب شيئاً فشيئاً كلما اوغل فى الزمن ، لكنه حين يوغل فى الزمن يكتسب الخبرة ، وكان الزمن يعطى ويأخذ ، فهو فى حين يسلب البراءة يمنح الخبرة ، وكأنه لا سبيل إلى ان يكتسب الإنسان الخبرة ويظل محافظاً على البراءة . ولعل هذا هو ما حدا بشاعر رومانسى مثل وليم بليك ان يغنى اولاً « اناشيد البراءة » ثم يرثى لحاله — ثانياً — فى « اناشيد الخبرة » .

لكن إذا كانت مثالية الشاعر الرومانسى تقوده إلى ان يفصل فصلاً حاسماً بين البراءة والخبرة ، وعدم القدرة على ان يراهما ممتزجين فى جدلية واحدة ، فإنا ننتظر من الشاعر المعاصر ان يتجاوز هذه الرؤية الحاسمة والفاصلة والقاصمة ايضاً ، لتصبح رؤيته اعمق حين يلمح العلاقة الجدلية بين البراءة والتجريب ، ويرى الإنسان على حقيقته حين تنطوى نفسه على بذور البراءة وثمار التجريب معاً .

فى توقيعة « كراسة » يتمثل الفصل التام بين « البراءة » و « التجريب » فى بنائها حين ينقسم الجزء الأول منها قسمة واضحة إلى جزءين : اولهما يعكس « البراءة » ويبدأ بصيغة « كنت » وثانيهما يمثل « التجريب » ويبدأ بصيغة « لكننى » ، ومن الطبيعى ان تكثر صيغة « صرتُ » فى هذا الجزء الذى يمثل تحول الشاعر وصيرورته :

— صرت مركب بحر صغير
— صرت طائرة — يلجم الخيط
شدقى .
— صرت صفراء .. صفراء
وسط اخضرار المدى »

وهكذا تعبر صيغتا (كنت — صرت) عن ثنائية البكارة والتجريب ، ويلاحظ ان « كنت » لا تندمج فى « صرت » بل يظل لكل منهما استقلالاً مما يشى بما سبق ان قيل وهو الفصل التام بين البكارة والتجربة ، وعدم القدرة على رؤيتهما فى علاقة جوار / جدل / حوار .

لكن صيغة (كنت — لكننى) — والتى تُعكس من خلالها ثنائية الماضى — الحاضر كانت جديرة بان تجعل الشاعر يسترسل فى قصيدته بعفوية وانطلاق لاسيما ان صيغة « كنت » تفتح امام الشاعر نافذة الماضى المفعم بالذكريات الخضراء ، وهذه فى حد ذاتها كافية لأن تثير كوامن الشاعر واشجانه بما يسمح لعاطفته بان تُخرجَ ما يجيش فيها .

لكن لغة الشاعر لم تسعفه على التعبير عن هذه اللحظة الاثيرية ، فجاءت لغة اقرب إلى النثر ، عارية من روح الشعر :

« كنت فى البدء كراسة
يكتب الطفل فيها دروسه
كنت فى البدء امتلك الورق الأبيضَ
المستطيلَ
احب انسكاب المداد على صحفى ..
كنتُ ... »

ومما ساعد على انطفاء حرارة الشعر فى هذا المقطع ، الإصرار على استخدام الفاظ لا لزوم لها ، وذلك مثل صفة « المستطيل » التى يوصف بها الورق فالصفة الأولى « الابيض » لها قيمتها حين يرتبط هذا اللون بجو البراءة المثار ، اما صفة « المستطيل » فإنها تساوى صفة المربع او المثلث وجميعها لا قيمة له .

يتضح ايضاً ان اللغة لا تسعف الشاعر ، وهو لذلك يجاهد معها ، لكنها لا تستجيب له ، إنه يريد ان يعبر عما كانه ، وعندما لا تواتيه اللغة يكتفى بلفظة « كنت » فى آخر المقطع ويضع بعدها نقطتين تاركاً للمتلقى ان يكمل من عنده ، او ان يفهم ما يعتمل فى نفس الشاعر ، مادام الأخير قد عجز عن التعبير .

* * *

تحيل صيغة (كنت — لكننى) الذهن إلى كثير من التجارب الشعرية التى تعزف على نفس الوتر ، وتر المفارقة بين الماضى البرىء والحاضر المعتم ، لكن قصيدة « احلام الفارس القديم » لصلاح عبد الصبور تأتى فى مقدمة هذه القصائد :

— « كنت فيما مضى من ايّام
يا فتنتى محارباً صلباً وفارساً
همام .. »

.....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— « لكننى يا فتنتى مجرب قعيد
على رصيف عالم يموج بالتخليط والقتامة
كون خلا من الوسامة .. »

ثم لا نستطيع ان ننسى صرخته :

« يا من يدل خطوتى على طريق الدمعة البريئه !
يا من يدل خطوتى على طريق الضحكة البريئة !
لك السلام .. لك السلام »

ولا نستطيع ان ننسى صفقته :

« اعطيك ما اعطتنى الدنيا من التجريب والمهارة
لقاء يومٍ واحدٍ من البكاره »

إن الشاعر — اى شاعر — يتمنى لو عاش حياته كلها طفلاً ، وحتى عندما يدخل فى طور الخبرة ، نراه يضيق بها ، وإن كانت ضرورة فى مواجهة مجتمع الناس الذى لا يخلو من ذئاب .

لقد كان ابو العلاء خبيراً بخبايا الناس وخفاياهم ، ولقد امتلأ هذا الرجل خبرة وحكمة وفلسفة ، لكن هذه لم تحمه من خداع الناس ومكرهم ، ذلك انه شاعر يعيش بين الناس — وإن كانوا ذئاباً — بقلب طفل ، لا بعقل فيلسوف ومن ثم فإنه يحار فى امر نفسه :

« واعجب منى كيف أُخدع دائماً
على اننى من اعلم الناسِ بالناسِ »

ولعل هذا البيت يؤكد صدق شاعرية ابى العلاء — وهى شاعرية لا تحتاج إلى دليل — فرغم علم الشيخ المجرب الكامن فى عقله بما هو كائن ، فإنه ينحاز بقلب الطفل المتربع فى صدره لما ينبغى ان يكون . فالشاعر الحق يعيش دائماً وابداً بقلب طفل ، يرى الأشياء والكائنات فى حالة بكارة وجدّة دائمتين . وهو وإن انغمست قدماه فى طين الواقع ، يتطلع إلى سماء المثال ، لانه يرفض كل ما يلوث وجه الحياة . وهذا هو ما يدفعه إلى ان يتناسى خبرته او ينساها ليواجه الكون — مع كل صبح جديد — بعقل مغسول من خبرة الامس وحكمته ، وقلب مفعم بنضارة اليوم ووضاءته .

* * *

وعوداً على بدء .. اختم هذا التحليل لقصيدة « موت » للشاعر فراج مطلوع بما وعدت به فى البداية ، فاقترح ان يكون عنوان التوقيعة الاولى هو « صورة » من منطلق ان صورة الجدار هى التى تشكل هيكل هذه القصيدة — كما اتضح لنا — .

واقترح ايضاً ان يكون عنوان القصيدة — بتوقيعاتها الثلاث — هو « انكسار » ، وذلك لأن الانكسار هو النهاية التى تنتهى بها هذه التوقيعات الثلاث ، فالصورة — فى التوقيعة الاولى — تسقط من الجدار وتُلقى مستسلمة فى انكسار . والكراسة ، فى التوقيعة الثانية — تتمزق اوراقها ثم تداس هذه الأوراق بالأقدام . و « المسافة » — فى التوقيعة الثالثة — تظل قائمة بين الأصدقاء والخلان ، لتظل غصة الانكسار تُمِرُّ الحلوق وتضعضع النفوس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المملكة العربية السعودية — عرعر : د. أحمد عبد الحى يوسف

قصتان :

١. على جسر ممدود

٢. مخلوقات مَلكة عبد الملاك

إدوار الخراط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١. على جسر ممدود

« يقين الجسد موتٌ أول »

كانت مياه النافورة فى وسط ميدان العتبة تومض وتشع بالليل وهى تنبثق ثم تتساقط ، زهرة مائية كبيرة تتفتت نثارا .

نقيق الضفادع يصعد إلىَّ من حول النافورة ، عنيداً ملىء الحَلْق . رأيتهن على أطراف الرخام المبلول ، خُضراً مرقّطة ومنتفخة بملاسة داكنة .

كانت هادئة وواثقة . [الترامويات] تدور حول الفسقية تئز ، وتصرّ بعجلاتها الحديدية صريراً يكشط الروح ، ثم تنشعب — وهى تتأرجح ، غاصةً بالناس — إلى مقاصدها ، أو متاهاتها . تصعد شارع محمد على أو الفجالة أو فؤاد أو شارع الجيش ، بعضها يدخل من بوابات تتسع لها بالكاد ، ومن بنايات كأقواس النصر مخططة بالأصفر والبنى ، وتنفذ إلى جوف العمارات التى تقع فيها لوكاندة البرلمان ومبنى البوستة وقهوة متانيا ، وتمضى وهى تصلصل بين الأعمدة المربعة المتينة الحجر إلى عتمةٍ داخلية مُخايِلة ، ويأتى غيرها يدور حول النافورة ، أرقامها الأفرنجية والعربية ، بالأبيض على أرضية زرقاء ، غامضة لا تُقرأ فى أنوار الميدان الخافتة ، وأقول هذا إهمال من المسئولين يجب أن يُصحَّح ، وعصى السنجة الطويلة المائلة إلى الخلف تطلق شرراً صغيراً فى احتكاكها بالكابلات الكهربية العلوية المتراخية فى الوسط والمشدودة عند أعمدتها الرفيعة الطويلة ، والسائق يضغط على الجرس النحاسى الذى يجلجل برنينٍ معدنى متعاقب متراوح النغمات .

صعدت إلى المقصورة التى تلى مقصورة الحريم ، مباشرة ، وكانت مفتوحة من الجانبين .

كن يجلسن ، بالفساتين المشجرة أو الساتان اللامعة المكشكشة ، المعمولة فى البيت ، والملايات السوداء النازلة من على الكتفين ، وقمطة المدورة المحزقة على الجبين . أجسامهن حافلة مرتاحة الأعضاء على خشب المقاعد المتقابلة .

دارت الترام حول الفسقية التى يترجرج فيها الماء عند الحافة الدائرية الرخام ، من أثر سقوط نثار النافورة الدقيق ، ويصفو ويروق فى الوسط .

السمك محتشد متراكب فى الماء الضحل ، مكدس فوق بعضه البعض ، بطىء الحركة ، سميناً وممشوقاً ، شهى الشكل ، وفكرت أنه يمكن أن يؤكل ، هكذا ، نيئاً وبريئاً ، لأنه متاح وسهل وجاهز ، ثمار البحر ثمار الأهواء العميقة .

سقط عليه ضوء مركز ساطع كالبرق ، لحظة واحدة ، عند دوران الترام .

جلد القَرْمُوط الأسود الدامس ، لامعاً وزلقاً وشاربه كالفسائل متوترة تجوس ، عظام راسه مفلطحة تبدو صلبة عنيدة المكسر .

والثعابين النيلية تنسل وتنساب بنعومة خارقة من بين جسوم السمك الأخرى ، وتحتها وفوقها ، تلتف حولها وتنثال منها ، دهنية الملمس ، جياشة بطاقتها الداخلية الملتوية ، فى قوتها تصميم وعزم على التلمس والبحث المستمر .

البُلْطى المنتفخ الصدر بلحم النيل ، ابيض الزعانف ، لبنىّ الزرقة ، غضّ ، فلوس قشره البيضاوية المتراكبة نمنمة واضحة وحادة الحواف .

البورى والمِياس والقاروص ، بحمرته الخافتة الخجول ، بخطوطه العريضة اللامعة ، داكن الظهر فاتح البطون ، حلقات عيونه الصافية الزجاجية فيها إدراك يتجاوز كل شىء ، والخياشيم حمراء ترتعش بحساسية مرهفة ، مكومة فوق بعضها البعض ، تنزلق وتتماس فى سباحتها اللانهائية محصورة المدى .

وسمك موسى رقيق الجسم ، مبطط ، عروقه البيضاء ، خيوطاً لبنية اللون ، تضرب فى شفافيته النقية .

وزعانف السردين تنتصب وتطش الماء بارتطام لزج فى اندفاعاته واصطداماته ووثباته القصيرة على مسطح العُمق الضحل ، وغوصه بعنف ، راسه أولاً ، يشق طريقه تحت الكتل المتحركة ببطء أو الساكنة تطفو مستكِنّة على فراشها المائى الكثيف ، جسمانيتها مطلقة ، وجمالها كامل .

ثم أكمل الترام دورته .

من وراء الحاجز الخشبى الذى يفصل بين المقصورتين ولكنه لا يصل إلى سقف الترام أحسست ألفة الأجسام النسوية التى تأتى على الفور بين الستات البلدى ، وسقوط الكلفة بينهن فى الأماكن العامة .

كان الصوت يتموج مبطناً بشهوية دسمة :

ـــ يادى النيلة على رِجّالة الزمن ده ياختى عادِيك . دلوقتى ياحسرة ، اللى يتجوز واحدة عايزها تصرف عليه وعلى أهله كمان . كان زمان الواحد يعرف مقام الست ، ويعرف يهنّيها . دلوقتى حتى أولاد الذوات شحتوا عاديك . وِوْلاد البلد قال إيه قال عايزين يعملوا ذوات ، والستات هى اللى بتشتغل يا حسرة .

رد عليها صوت تبدو صاحبته فى أول الشباب ، لكنه منذ الآن صوت امرأة تحققت نسويتُها وأُحبطت ايضاً :

ـــ يُوه .. والنبى عندك حق ياختى عَدَّاكِ الغلط والعيبة . قال ما عيبه إلا العيبه . دا الجدع دلوقتى ياخد مراته ياكلها سندويتش ويركّبها الترامواى اسم الله على مقامك وقال ياما هنا ياما هناك . زمان كان الراجل ياخد مراته عند الماوردى ولا سمعان تقطع قماش من الغالى زىّ ما هى عايزة ، ويودّيها عند الحاتى ، ولا الحاج على السماك ، ويـاكّلها اكْلـة معتَبرة . دلوقتى الجدع من دول يخاف يمشى معاها على كوبرى الست بديعة لحسن نفسها تروح لقزازة كازوزة .

ويعود الصوت الدسم الرخىّ الشبعان :

ـــ ياختى قطيعة تقطع الرِجّالة وسنين الرِجّالة .

وواضحٌ مع ذلك أنه ليس عندها أحلى ولا أشهى من الرِجّالة ، وسنينهم .

خدعنى الكمسارى وأعطانى تذكرتين بتلاتة تعريفة بدلاً من حقى : تذكره بقرشين . ورأيته يمد يده بتذكرة بتعريفة إلى السائق فيضعها فى جيب معطفه الكاكى الكبير ، وقلت : « كم تذكرة يحوِّشها كل يوم ؟ » وراح الترام فجأة يلف ويدور فى شوارع جديدة علىّ ، غريبة عنى ، ولكنى أعرفها بشكل ما ، كأنما هى شوارع الإسكندرية المبلطة بأحجار البازلت السوداء المصقولة يلهب عليها هواء البحر المبلول ، أو شوارع زيورخ والبنايات الشاهقة تحفّها بصمتٍ وثقل ، ورأيت على غير انتظار أن فى الترام بجانبى سيدة نوبيّة نحيلة ضاوية العظام تُخفى وجهها بطرحة سوداء على طرفها خطٌ عريض بنفسجىّ داكن ، وهى تكحّ كحة جافة ، وكان على حِجرْها ولد مجروح فى جبينه ، والجرح مربوط بعصابة زرقاء كامدة تبدو على قماشها آثار دم سوداء .

ثم نزل السائق ، وتركنا .

وانطلق الترام ، دون توقف ، يجرى فوق انحدار الجسر ، على صفحة النيل العريضة ، بين المَوْتين .

وكأنما كانت قد قالت لى :

ـــ الواقعة الحسية ، الفيزيقية ، البحت ، هى وحدها المطلق . هى الكيْنونة . صميم اللحم ، وحده ، هو الحق .

وكأننى لم أقل :

ـــ أعرف . أعرف هذا فى لحظة انفجار دفق الرجولة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حَقوىّ . نشوة التحليق ، بأجنحة الملائكة ، فى سماء لا قرار لها . أعرف . أعرف .

فهل قلت : أمّا همس الأحاسيس ، وخيالات التجريد ، فهى بضرورتها نفسها غائمة ومقطوعة ، مهلهلة مهما أُحكِم نَسقها ؟

هل قلت لها أيضاً :

ــ أنتِ ، فى جسمانيّتك الخالصة ، فى جمالك الكامل ، غير إنسانية ؟

قالت : انظرْ إلى وجوه القديسات ، جامدة تماماً ، جميلة بثبات تماماً ، فى لحظة الاستشهاد ، وهن يَمُتن .

قلت لها : أعرف وجهك أنتِ فى لحظةِ ذروةِ العشق ، وأنت تأتين ، على شفرة النشوة الحادة النهائية ، هذا الجمال فى الموت هذا الجمال فى القتل هذا الجمال على آخر المتعة ، هو ، هو ، نفسه ، جمال القناع . جمال الأبد . نظرة الحياد الكامل كأنه إنكار كامل .

وقلت أيضاً : فيما وراء الإنسانى وراء الجسر الفَقْد .

قالت أيضاً : عندك هوس التثبيت . جنون الحجَر . وَهْم الديمومة المستحيلة .

قلت : الجمال الكامل ــ كالعدالة الكاملة ــ هو أيضاً لا إنسانى . صرخته خرساء إلى الأبد .

قالت باسمة ، بخفوت ، بعابثةٍ كأنها آليّة : أنت كالقطط ، تأكل وتنكر .

قلت ، جاداً ، أحس سخافة جدّيّتى : على العكس . قُبلتك على يدى ثابتةٌ إلى الأبد . وعرفانى بها مقيمٌ حتى عبور ضفة هذا الجسر ، هذا الحب ، الذى هو نهاية .

قلت لها : شيخنا أبو العلاء قال : « حياةٌ ــ كجسر بين موتيْن . وفَقْد المرء أن يعبُرَ الجسرُ .

قلتُ : سفرنا معاً لا يَحطّ الرحال . وقف الترام وحده .

وصل أمام حديقة ، كأنها فى « مينا هاوس » ، وارفةٍ واثيثة بأشجار السرو والنخل والجازورينا والسنْط والمانجة والجميز . وكنت وحدى ، أتشمس ، على كرسى من الحديد الأبيض المشغول . مسطحات العشب الخضراء ممتدة أمامى حتى النهاية . مروحة البئر الارتوازية عالية تدور ببطء فى السماء شاحبة الزرقة . وكأنما الصحراء ، بعد ، هناك ، عميقة ومنتظرة .

كان المبنى يرتفع إلى يمينى ، بأدواره المتتالية ، شاهقاً وعريضاً ، فيه شرفات ناتئة ، حجرية ، بسياج من أعمدة الرخام القصيرة مسحوبة عند الطرفين ومليئة عند سمانتىْ السيقان اللامعة ، وفيه مقصورات داخلية تغوص فى آبار السلالم المكشوفة .

وكانت الصروح الثلاثة الشامخة تبدو لى ، على ثقلها ورسوخها الألفىّ ، محلّقةً فى السماء البيضاء تقريباً ، بلا وزن .

كان ميلاد وصفى يتجه إلىّ ، وخفق قلبى من المفاجأة . نسيت الآن تماماً كأننى لم أعرف قط أنه غرق فى العجمى منذ أربعين سنة ، وكان يبتسم وفرحت بلقائه وقلت له بلهفة : « ما رقم غرفتك ؟ » قال : « لا أعرف . وأنت ؟ » قلت : « ١٦ » قال : هذا رقمك السحرى ، أليس كذلك ؟ خلّ بالك ! « وفكرت أنه سيلقى علينا الليلة ما يحفظه من أغانى الصيادين والفولكلور الأسكندرانى ، وأننى سأكتبها ، وأضع عنها مقالة هامة . ولم أجده أمامى ، ولكنه ترك فى يدى حس يده وهو يصافحنى مودِّعاً إلى لقاء ، وكأن يده غير المرئية مازالت تمسكنى . ولم أستغرب . وكانت الكلاب تنهش الزروع ، بصمت ، عاكفة عليها .

قلت لنفسى : عيونٌ زرقاء بنار الجشع والجوع المستمر ، منضبطة الاتقاد ، تعرف الكثير جداً ، ولا معرفة عندها بشىء .

آلات كفء قادرة ، نهشة .

قلت : نحن .. نحن كالسمك ، كالضفادع . لكن جسمانيتنا ملوّثة .

قلت : أيضاً : هنّ أخريات . كلٌ منهن مستقلة ، معزولة ، تماثيل ، بل دُمَىً مصقولة ، أثداؤهن المبذولة الصلبة مكشوفة على عظام القفص الصدرى . بطونهن مسطّحة . معاديات ، لأنفسهن ، للرجال ، للعالم .

قلت : أنصاف حقائق وأشباه حقائق . ككل شىء .

قلت : أما الدفء ، والمعرفة ، والحقيقة ، فليست هنا ، أو هناك . ليس لها مكان ولا تاريخ .

قلت : مكرَّراً ورتيباً : صحيح . ووهْمُ لا يقوم على ساقين .

الكلاب تشبه نفسَها تماماً ، كما هى فى نقوش الأحجار العتيقة ، كأنها بنات آوى ، لم تغيرها أزمنة سحيقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طويلة الأعناق ، مسحوبة الجسوم ، جاءت فى جماعات من أطراف الصحراء ، حلقات وفُرادى . تنبح أحدها الآخر ، وتعوى ، ترفع رؤوسها المتوترة ، على آخرها ، إلى القمر المضيء بنور صلب .

كانت ضراوتها وحشية ، وكانت تتوفر للهجوم ، أو للفرار ، خوفاً أو يأساً ، مشحونة بتهديد كأنه آت من وراء القبور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ مخلوقات مَلَكة عبد الملاك

« الحلم حقيقة ممكنة »

كان طريق المعادى على النيل يبدو موحشاً ، فى أول المساء .

النخل السامق الرشيق مائل على الرصيف وجدائل سعَفه تنوس تحت حدران البيوت المغلقة ، دغلات الأشجار متكاتفة تحت سماء عميقة الزرقةِ ، فيها بقية ضوء النهار ، وسحاب ينزلق ببطء

أضواء النيون تنعكس من أجزاخانة وعيون مصابيح الطريق بيضاء مسدودة يقع نورها الذى لا يفيد أحداً على كشك سجاير وكتب ومجلات ، به لمبة جاز .

السيارات تنساب على الأسفلت وثيرة صامتة .

كانت الأصوات واضحة ولكنها مقلقة تتجاوب من بعيد ، والطيور الصُلبة تنتقل من شجرة إلى أخرى ، محددةً قاطعةً الجسوم ، بلا صوت . وكانت سيقان النخل السلطانى وسيقان النساء ، بيضاء ، دافئة ، موحية .

أمامى النيل واسع ومنخفض وغامض .

رأيت الجزيرة فى وسط المجرى العريض ، عليها أعشاب وطحالب ملحية الشكل ، حولها المياه الساكنة مخضرة قليلاً . شطوط الجزيرة المتعرجة تغرق وتطفو من بركة النيل الهادئة السطح .

رصاص الآليات الحادة . والسماء المغطاة الآن بغيامٍ رماديٍ ، تقطعها سطوعاتٌ مُنْشَعِبة حمراء وخضراء من قنابل الاسكتشاف الضوئية الصامتة الاشتعال تظل متوقدة لحظات وتنطفىء ببطء .

تأتينى فجأة ، من بعيد ، طلقات المدافع ، دقاتها ضخمة مجوفة الرنين تقرع القلب ، تتلوها رَشّات متلاحقة من

كان يجرى على الطريق . جلبابه الأبيض القصير يضربه هواء الجرى على منتصف ساقيه ، وقد شهر مسدسه السميك

منطفىء اللون على امتداد ذراعه ، ولحيته طويلة قاتمة السواد هائشة حول وجهه الأبيض السمين ، مَرَّ أمامى مباشرة . رأيت أنه قد حفَّ شاربَه . أثَرُ زرقة الحلاقة الوثيقة حول فمه .

سقط بوجهه على بُعد خطوات ، دون أدنى حركة أو صرخة ، على حشائش الرصيف التى كانت قد توحشت وطالت تحت شجرة التين البنغالى الجسيمة ، الهائلة .

كانت سيارة تاكسى واقفة وخالية تحت مظلةٍ واسعة منخفضة مصنوعة من القش البنى الباهت ، والمحرك يدور ويئز بانتظام .

فى عتمة أول المساء رأيت هذه المخلوقات الشمعية ، مائلة على جنبها ، ثابتة الجوارح ، تطير تحت السحاب الذى بدأ يشف الآن من نور القمر المقطوع ، تحملها ريح خفيفة . ومن بينها فينوس ، حية ، صغيرة القد ، ينبض جسدها ، شمعية التقاطيع وجهها أعرفه ، وأحبه ، كم لثمته . كم سقطت عليه دموعى ، كانت بالضبط تشبه التمثال لكنها لدنة القوام . ضوءٌ كاو ، كأنه برق الفلاش من كاميرا ضخمة غير مرئية ، وقع عليها وانثال على جانب وجهها ، وظل ساطعاً . أحرق الضوء جانباً من شعرها المعقوص الملفوف بعناية ، وبدأ وجهها يذوب ، وقطرات الشمع الثقيلة تسقط بينما الريح مازالت ترتفع بها بهدوء ، وفى عينيها نظرة غائبة .

رائحة من الوجد ، وحُرقته .

طاحت تلك الإشارات . أفلتت من يدى .

بلبلةٌ لما كان قد سَكَن من طائر الأشواق .

هاجت الآن روحى . ما من مثاب أبداً لهذا القلق . لا تخبو حَدَمة نار النزوع ، بلا منال .

والحلم صامت . مكنون .

انقض علىَّ . طائر داكن الخضرة كبير الجناحين ينزل إلىَّ من عل ، ريشه كريش ببغاء هائل ، أعرف أنه عاقل وأنه ناطق وأنه مُدركى . ولكن الخَرَس مقامه . ومقامى .

ثم لبدَ أمامى معلقاً من مخالبه القوية المسننة ومشبوحاً تحت الشجرة الضخمة ، مُدلًى بجانب الجذور الخشبية النازلة من بين حرشة الأغصان الأثيثة ، صُلبةٌ تتلوى حول بعضها لم تصل للأرض بعد ، وقويةٌ متينة العضل وصلت إلى التربة ونفذت من الجثة البيضاء الراقدة على وجهها منذ زمان بعيد أعرف أنها دافئة ما تزال .

كان الطير الكبير قاتماً فى نور القمر الذى تبدّد الآن وراء سحاب أبيض مقطوع ينزع لونه إلى الرمادى الفاتح . وكان مقلوباً وراسه ساقط إلى تحت كخفاش ضخم له منقار طويل معقوف الحافة ، حاد الطرف .

وكانت رئتاه متدليتين ، من صدره المفتوح ، بجانب جسمه الساكن ملموم الريش ، تنبضان ، لونهما داكن وغشاؤهما لامع واملس ، والقلب يضخ بينهما ، مكشوفاً فى الهواء ، صغيراً بشكل لافت للنظر وغريب .

كان مستكناً ومتربصاً فى وسط خضرة الأغصان المتراكبة المنبعجة المفاصل ، والأوراق الملساء الجرداء ، وكريّات الثمار الصغيرة الحمراء القرمزية المتورمة بعصارتها .

ورأيت أن منقاره يضرب بانتظام وإصرار فى يد مَلَكَة عبد الملاك ، كفّها مفتوح ومنبسط كأنه يأكل من يدها ، وهى تنظر إليه ، لا تضنّ بشىء .

كنت أعرف مَلَكَة عبد الملاك ، من المطبعة .

كانت تحفظ أقراص الرصاص وهى مازالت ساخنة ذائبة تقريباً ، حتى تجمد ، تضعها فى خزانة مفتوحة لها أرفف متقاطعة . والحروف البارزة ، المعكوسة على سبائك الرصاص فيها السجل الكامل لكل شىء ، كأنها اللوح المحفوظ . وكانت مَلَكَة عبد الملاك ، دائماً ، تحيط بها ، حيثما كانت ، بقايا رصاص المطبعة وشظاياته الرفيعة المشطوفة بيضاء البطن ، وحولها شمع الفوتوتيب الملفوف فى اسطوانات كبيرة مسنودة إلى حيطان المطبعة وإلى خزانة الأرفف الخشبية وإلى جوانب ماكينات اللينوتيب العملاقة ، المتحركة التروس والصفوف .

كانت بشرتها زيتية ناعمة ، وشعرها ، فى وسط تشابك المطبعة وازدحامها ، طويلٌ وقوىٌ حالك السواد . وعندما تتكلم تحرك رأسها فيهتز شعرها كأنما تهب به أنفاس لافحة ، وينزل بكُتلَه الناعمة على كتفيها ثم يرتفع ، له حفيف مسموع .

وكنت أذهب إليها كلما اضطررت إلى البحث عن إعلانات قديمة ، أو بطاقات معلومات بائدة ، أو تفاصيل الاحتفالات بمناسبات منسية .

كانت مَلَكَة عبد الملاك قمحية اللون وبضّة ، مليئة كالموج ، وجهها المدور كامل الاستدارة ودائم التقلب ، له أشكال متغيرة فى نور المطبعة الشحيح أو المتوهج .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومع جسدها الطيع ، المنيع ، كان حنوها علىّ راسخاً .

وكنت أرى صدرها قادراً وشامخاً ، والثديين فى السوتيان المحبوك ، يعطيان حساً بالنضج الراضى المرتاح .

قالت لى : أنت المتقلب الذى تطير به الأهواء والأشياء . أما أنا ــ كما ترى ــ فإنى ثابتة . سوف تجدنى دائماً . هنا .

وسوف تقول لى : أنا ، فى أى مكان ، فى أى وقت ، لك ، مِلكك . فهل يمكن أن تقول لى : تعالى ، ولا أجىء ؟

أين ملاكى الغضوب شاهر السيف على مخلوقات الشوق .

أحسست الريح تشتد قليلاً ، وضوء القمر يغلب السحاب .

رست ، أمامى مباشرة على الكورنيش ، آخر مركب طالعة ، إما أن أُلحق بها أو يضيع كل شىء .

نزلت بُسرعة على سلالم مزدوجة متقابلة ، صاعدة وهابطة ، وشيشُ الكهرباء مسموع وقوتها محسوسة ، وكان الناس كثيرين حولى والأنوار من سقف النفق متتابعةٌ ومحددة ومجسمة ، وكان النفق يدخل بى ويغوص فى قلب صخر الجبل ، منيراً جداً ومدوراً ولامع الجدران ، ثم وجدت أن السلالم المتحركة قد خرجت بى إلى النيل ، والنفق ما زال يغوص ، يشق الموج الذى أحسسته يرتطم بالجدران الناصعة المبلطة ، ارتطاماً هيّناً .

لكن المركب مازالت بعيدة ، ومهما جهدت فى الجرى صاعداً ونازلاً على الدرجات الحديدية المضلّعة أجد نفسى مازلت أراوح الخطو فى موقعى .

مشتاقٌ على الدوام ، من غير أشواق .

حبى صلب دائم ، ومخافةُ انقطاع . بلا هوادة .

والقلب جزيرة محاصَرة .

فرغت من الحنين إلى الصبوات . فرغت من التبرم شوقاً ، بارحْتُ أشجان الصبابة والحنان . بارَحْتُها .

دورة كاملة . أخرج من دَرَج النفق المتحرك لأجد نفسى مازلت تحت شجرة التين البنغالى ، فى متناول منقار الطائر الأخضر الضخم .

وقد اختفت مَلَكَة عبد الملاك .

بادرتُ بأن أسلمت لطائر المستحيل نفسى ، دون مطالبة ، دون لجج . وليس هذا كسبى ولا دأبى .

مدّ إلىّ منقاره . وأخذنى . أطير معه . فى باطنى ، فى باطنه .

معراجى عَبْر عَصْفِ السماوات العُلَى .

حتى أعشى بصرى الضوءُ الباهر الذى لا مثيل له . كانت قناديل الزيت السماوى مشعة كوجوه الملائكة ، ولا حصر لها ، تملأ السماء والأرض وما بينهما ، ساطعةً من الأزل .

هكذا يأوى العاشق إلى ما بين قدمى العرش الوهاج .

احترق قلبى بالنور ، وكان جانبه الأيمن يسقط عنى ، مصهوراً .

النور ظلمةٌ تكتنف الروح ، كاملة ، بلا رحمة .

وليس هناك إلا مخلوقات الأشواق ، متجسمة ، تطير حوالىّ ، تذوب وتتجدد بلا انقطاع ، تملأ الداخل والخارج ، وحدها .

القاهرة : إدوار الخراط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شهوة العين

حسونه المصباحى

استرو احلامى كما تبترون الثعابين
(كاتب ياسين)

فى البداية تماما .

فى تلك البداية التى تشكل الآن فى ذاكرته مثل غيمة بنفسجية فى فضاء الزمن البعيد ، كانت هناك جبال عالية ترتفع غرب قريته ، ومنها كانت تأتى الغيوم والأمطار والعواصف الشديدة ومنها أيضا كان ينزل رجال غلاظ عابسون على بغال رمادية ثقيلة الأجسام والحركة ليبيعوا أهله القطران وأدوية يصنعونها من نباتات وأعشاب تلك الجبال التى يسكنون وكان كلما تمرّد أوْ بكى أو غضب صاحت فيه أمه مهددة : « اسكتْ وإلاسوف أنادى الغرابة ليقبضوا روحك » وفى الحال تخترق ذهنه صورة أولئك الغرباء بملامحهم الشرسة ، وبلحاهم الغبراء وبعيونهم المحمرة ، وببغالهم البشعة . وعندئذ يضمّ فمه ويهدأ بينما يظل قلبه يرجف من الهلع .

لم يكن « الغرابة » (أى اهل الغرب ـ هكذا (كان يسميهم أهل قريته) يقتصرون على البيع والشراء ، بل كانوا يتقنون أشياء أخرى كثيرة ومن حوله كان الناس يردّدُون أنهم يشفون من تلك الأمراض الخطيرة والغريبة ، ويخصبون النساء العواقر ، ويطردون الشياطين والجنّ والأرواح الشريرة من البيوت والأجساد ، وينبئون بالغيب ، ويحذّرون من شر قريب أو بعيد ، وينبهون الى جار يكيد فى الخفاء ، والى عدوّ لم تكن تراه العين ولا تسمع به الأذن . واحيانا ، وخاصة فى أيام الشتاء الباردة ، كانوا ينظمون حلقات للذكر تستمر حتى مطلع الفجر . وخلالها يضربون الدفوف وينشدون البردة ومدائح أخرى للرسول ولأولياء الله الصالحين . وحين يشتد بهم الوجد ، كانوا يغمضون أعينهم ، وتلين ملامحهم ، وتتراقص لحاهم الكثيفة الغبراء ، ويتيهون فى عالم لا يدرك الناس كنهه بينما تظل أصواتهم تئنّ فى الليل مع الريح . ودفوفهم تحت أيديهم الغليظة تتأوه ملتاعة .

ثم حدث أن كان يلعب فى الوحل مع صبْية آخرين عقب سحابة خريف سريعة ، واذا بولد الكبلو طبى ، وهو صبى شرير ، يعرج قليلا ، ويلهث طول الوقت وكأنه على وشك الاختناق ، يحدق فيه باستغراب وريبة وكأنه يراه لأول مرة . ثم يصيح عابس السحنة ، جاحظ العينين ، وسبابته الغليظة مصوبة كالسكين الى بؤبؤ عينه اليسرى : « تعالوا ياأولاد ! فى عينه اليسرى كنز ! » . أحاطت به العيون وظل هو مكانه يرتجف فى كدرونه الملطخ بالوحل تحت سماء تتسابق فيها السحب مثلما تتسابق الخيول « افتح عينيك جيّداً » صاحوا فيه جميعا . وفتحهما حتى رآهم بشعين وقصاراً كأنهم ضفادع فاجأها جفاف المستنقع الذى تعيش فيه . وعندئذ قال له ولد الكبلو طى بلهجة الكبار المدركين لأمور الدنيا والدين : « اسمع ياولد ... فى عينيك اليسرى كنز ! ولو اكتشفت الغرابة ذلك لذبحوك ! » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندئذ بدأ ذلك الخوف الذى لم يعرف مثله قبل ذلك !

هبط الليل . وامتلأت القرية بأصوات الرعاة العائدين من المراعى ، وبروائح الشياه المبللة بالمطر وبلغط النسوة وهن يهيئن طعام العشاء . وانحشر هو فى الركن القصىّ من البيت ، وانكمش فى كدرونه مثلما تنكمش الفئران المذعورة وشيئا فشيئا خيل اليه أنه يسقط وسط دائرة سوداء لزجة كما القطران ثم سمع ضجيجا شبيهاً بأصوات حوافر بغال ثقيلة تتسابق على أرض صلبة : تكتك .. تكتك .. تكتك .. تكتك ! ووسط ذلك الضجيج العنيف ، اخترقت ذهنه أشباح « الغرابة » قاتمة وبشعة ومنذرة بالويل . وفى لحظة ما أحاطوا به وأسنانهم الى الأمام مثل الخنازير . وبسرعة الريح ، حملوه إلى تلك الجبال العالية ، ثم أشعلوا نيرانا امتدّ لهبها حتى لامس السماء ، وراحوا يضربون الدفوف مهللين ومكبرين : دجتدق دق ! تجتد قدق ! تجتتدقدق ! وبعدئذ أخرجوا من أحزمتهم سكاكين بطول الذراع واندفعوا نحوه !! OTITITITTITITTI

عندما فتح عينيه كانوا محيطين به : أمه وأبوه والأهل والجيران وكلهم كانوا يبسملون . أجهش بالبكاء .

ولعدة ليال ظلّ يرجف محموما تحت الأغطية الثقيلة التى كدّسوها فوقه . وبعد أن هدأت الحمّى ، واختفت الأشباح ! وتلاشت الهواجس روى لأمه ما قاله ولد الكبلوطى . وفى الحال غَشِيَتْ وجهها سحابة انفعال . ودون أن تتلفظ بكلمة ، اندفعت الى الباب ، وخطفت هراوة غليظة كانت متكئة على الجدار وخرجت هائجة تصيح وتتوعد وفى الحال حدثت جلبة فى القرية بأسرها ونبحت الكلاب . وقاق الدجاج . واطلقت بعض النسوة شتائم ولعنات . وعنّط أطفال . ثم عادت الأم منفوشة الشعر ، وعلى فمها زبد الغيظ وبعد أن أعادت الهراوة إلى مكانها صاحت : « لقد هرب منى ابن الكلب ! ولو أمسكت به لكنت فصلت رأسه عن جمجمته ! » . ثم لم تلبث أن حوّلت غضبها نحوه وصاحت فيه : « وانت ياولد يامخنث .. لماذا تسمح لولد الكبلوطى الهامل الجوعان بأن يُحوّلك الى قرد أمام صبية القرية ! » .

فى الليل ، لانت قليلا . وخفق قلبها بذلك الحنان النادر اقتربت منه . ثم قالت له وهى تداعب شعره ووجهه : « ألا تعرف سرّ تلك اللطخة الزرقاء فى عينيك اليسرى ؟ » .

— لا .. قال .

— انها شهوة

— شهوة ؟!

— نعم ياولدى .. ذات يوم وأنا حامل بك ، اشتهيت أكل قطعة كبد مشوية .. وكان أبوك غائبا .. ومرت الأيام دون أن أنال ما أشتهى . وعندما ولدت كانت قطعة الكبد المشوية التى اشتهيتها فى عينك اليسرى ! » .

هدأ الليل من حوله . وتلامعت نجوم بعيدة فى خياله . ودلّو يخرج الى الحقول ، ويسرح فى العتمة الباردة حتى الصباح متحدّيا أشباح « الغرابة » العابسين ببغالهم الرمادية ، وبشطحاتهم الشريرة ، وبسكاكينهم التى بطول الذراع ، وأسنانهم المندفعة الى الأمام مثل أسنان الخنازير .

ومن الغد خرج شاهرا رجولته ، وعازما على أن يمرّغ رأس ولد الكبلوطى فى الوحل . وجدهم هناك قرب زيتونة « منصور » مسْتَنْفَرين ومكروبين مثل طيور البوم قبل انفجار العاصفة وحالما رأوه أشاحوا عنه بوجوههم ونفروا منه ، « من الأفضل لك أن تعود الى حجر أمك ! » قال له ولد الكبلوطى معنفا وهو يدير له ظهره المنحنى قليلا .

عاد مهزوما الى البيت . انحشر فى الركن . وطول النهار ظل يمضغ وحدته وألمه .

ثم حطّ الشتاء ثقيلا وموحشا مثل غول الخرافات ، فتعتمت الدنيا ، وتغشت تلك الجبال العالية قرب قريته بكتل من السحب الداكنة . وراحت الرياح تولول فوق الأحراش وفى بطون الأودية ، وهدرت الجبال هائجة ، وامتلأ الفضاء بأصوات الرجال وهم يطاردون جيوش الزرازير التى امتلأت بها السماء وحقول الزيتون ، ووضعت بقرتهم السوداء أحمر جميلا . وأرسل أبوه فى الليل قرب النار وهو ملفوف فى برنسه الأشخم تلك الأغانى التى تملأ نفسه بشجن دافىء لذيذ ، وتظلّ تهدهده حتى يغرق فى نوم عميق . غير أنه مع مرور الأيام أحسّ أن وحدته اتّسعت وطالت وأقفرت من المفاجآت ومن المتع .

وذات يوم عاد اليهم حابسا أنفاسه ، وقدماه لا تكادان تلمسان الأرض . ولم يشيحوا عنه بوجوههم ، ولم ينهروه مثلما فعلوا فى المرة السابقة . اندسّ بينهم فى واحد من تلك الأماكن السرية التى يلجأون اليها هروبا من البرد ومن عيون الآباء . ومنفرج الساقين أمام النار التى أوقدوها ، راح ولد الكبلوطى يروى حكاياته العجيبة ، وعيناه الصغيرتان ترفّان طول الوقت ، ويداه القصيرتان تتحركان فى الفضاء وكأنهما ترغبان فى أن تضفيا على الكلمات معانى أخرى . وكان الآخرون ينصتون اليه بانتباه شديد تماما مثلما ينصت أهل قريته لخطبة الإمام يوم الجمعة : « اسمعوا ياأولاد .. أتعرفون من أين يأتى الغرابة ؟! انهم يأتون من بلاد لا تنقطع فيها العواصف والأمطار . بلاد سوداء قاتمة مثلهم يجثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عليها شتاء أبدى . وهل تعرفون أين يسكنون ؟! انهم يسكنون مغاور وكهوفا مثل الذئاب والأسود والثعابين الكبيرة . ولذا هم قساة القلوب لا يرأفون حتى بفلذات اكبادهم . وفى هذه الأرض كلها لا يوجد من يضاهيهم فى فن السحر والعزائم . وقد سمعت أن بعضهم قادر بواسطة ذلك أن يحوّل المرأة أو الرجل اذا ما أراد الانتقام منها أو منه الى كلب ينبح الخلاء أو الى قط يعوى من الجوع ، أو الى قرد يضحك الناس فى الأسواق العامة . ومثل هؤلاء الناس يجوبون الأرض طول العام بحثا عن الكنوز السرية وحين يعثرون على من فى عينه علامة تدل عليها ، يسحرونه ، وفى رمشة عين يصبح ساهياً مذهولا لا يعى ولا يدرك . وعندئذ يشيرون اليه بأن يتبعهم ، فيفعل ذلك صاغرا طيّعا ، ويسير وراء بغالهم الرمادية الثقيلة غائب الذهن . وحين يبتعدون به عن أهله وعن عشيرته ، ويصلون الى قمم تلك الجبال العالية ، يوقدون نارا عظيمة وحولها يشرعون فى الدوران ضاربين الدفوف ومنشدين المدائح والأذكار ويظلون هكذا حتى يبلغوا تلك الحالة التى يشعرون خلالها أنهم خفاف مثل الريش ، وأنهم قادرون على حلّ الألغاز وكشف الأسرار . وعندئذ يحيطون بضحيتهم ، ويذبحونها من الوريد الى الوريد كما تذبح الشاة . وفى اللحظة التى يتفجر فيها دمها ، ينكشف لهم سرّ الكنز المخفى ! » .

يصمت ولد الكبلوطى ، ويلتصق الصبية بعضهم ببعض وعيونهم تتلامع من الهلع . وتئن الريح غاضبة . وتخبو النار . ثم يحلّ الليل مليئا بالاشباح والوساوس . وتحت الأغطية الثقيلة تداهمه الحمّى من جديد .

بعد ذلك أصبح يغمض عينيه كلما رأى غريبا ، ويتحاشى السير وحيدا فى المسارب والحقول ، ويتجنب حكايات ولد الكبلوطى . ومرات عديدة بال فى فراشه خوفا من أن يخرج وحيداً فى الليل فيختطفه « الغرابة » ويذبحوه على قمم تلك الجبال العالية ، وكانت الأشباح والوساوس تطارده طول الوقت . واشتدت به الحمّى ذات يوم حتى كادت تفتك به . وحين شفى منها طافت به أمه فى أضرحة الأولياء ، وذبحت ديكا أحمر أمام ضريح الولى سيدى أحمد بن ابى سعيد .

ثم فجأة تحركت ألسنة الكبار فى القرية لتروى وقائع حرب شرسة تدور رحاها وراء تلك الجبال العالية ووقف الصبية فى الريح يتصنتون علّهم يلتقطون شيئا من دويها الهائل . وراح ولد الكبلوطى يطوف فى أرجاء القرية لاهثا ، ومنحنى الظهر ، وساقه اليسرى تعرج قليلا ، ليتسقط الأخبار . وكان دائما يفاجئهم بحكايات أشدّ غرابة وهولا من ذى قبل : « اسمعوا ياأولاد ... الناس يقولون إن الحرب التى وراء الجبال العالية تدور بين الغرابة وقوم من الكفرة ، مُرْدٌ وشقر وزرق العيون . ويقولون إن هؤلاء يحاربون بالمدافع والطائرات والدبابات ، أما الغرابة المساكين فيواجهونهم بالمذارى والعصى والهراوات والسكاكين ... » .

وذات يوم رجفت قلوب الصبية حين مرّ بقريتهم غرباء بلحىً كثة غبراء ، وبعيون محمرة ومنتفخة . ومن أجسادهم التى أنهكها السير والجوع كانت تفوح رائحة تلك الحرب التى بدت لهم مع مرور الأيام شبيهة بخرافة مرعبة لا نهاية لها . ثم مع قطع الحلوى الكبيرة ، والأقمشة المونة التى يأتى بها أباؤهم من الأسواق ، جاءتهم أخبار تقول إن تلك الحرب التى قتلت آلف من الدواب والعباد ، وأحرقت مدنا وقرى وسهولا وغابات قد انتهت ، وإن نساء الغرابة يزغردن فوق قمم الجبال العالية وفوق السطوح فرحا بشىء يسمى الاستقلال . ودمعت عيون الكبار من فرح لم يكونوا يدركون معناه وبعدئذ هدأ كل شىء من حولهم . ومرت الغرانيق بطيئة باتجاه الجنوب مبشرة بخريف ممطر . ولم يعد ينزل من الجبال العالية اولئك الغرابة على ظهور بغالهم الثقيلة الأجسام والحركة وغنى ولد الزياتيّة عاشقا متيّما على الروابى هناك حيث ترعى شياهه :

أمّا بلادِيْ بلادُ افريقا بَلادْ الوخْمْ والغَلايِلْ
أمّا بلادى بلادْ الصَّحْرَا بَلادْ الزّنا والفعَايِلْ(*)

ومرت الأعوام ، وكبر الطفل ، وتاه فى العالم الكبير غير عابىء بتلك اللطخة الزرقاء فى عينه اليسرى وسلمته المحطات الى المحطات ، والمدن الى المدن ، والبحار الى البحار . وفى ضباب مدن الشمال وثلوجها ، دفن هواجسه القديمة ، وتلك الحمّى الشديدة التى كانت تنتابه كلما فكر فى أشباح الغرابة وهم ينزلون عابسين من أعالى الجبال على ظهور بغالهم الرمادية الثقيلة وفى سراديب التيه وأنفاقه الطويلة تلاشت عوالم قريته البعيدة ، وصور أصدقاء الطفولة وحكايات ولد الكبلوطى التى يقف لها شعر الرأس .

وذات صباح قاحل ، عقب ليلة سكر طويلة وسط الضجيج والدخان ، وقف أمام المرآة يستطلع أمره ومن النظرة الأولى فوجىء بظهور تجاعيد بشعة حول عينيه وفمه . وحسى المفرقين نبتت شعرات بيض . وانتبه الى أن اللطخة الزرقاء الصغيرة قد اتسّعت وكبرت وأحاطت بعينه اليسرى من جميع جوانبها حتى لاحت شبيهة بأثر لكمة عنيفة والوجه كله تحت الصّلعة المنفّرة بدا متورما ، ومنتفخا بسبب تلك الآلام الحادة المتراكمة فى أعماق النفس ، وعندئذ أدرك أنه ابتعد تماما عن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

براءته وانه ولج تلك الغابة السوداء الباردة التى تفضى الى العدم الكبير .

ولفة الحزن ، فخرج الى المدينة الكبيرة باحثا فيها عن مكان يخفف فيه من وطاة هواجسه ومخاوفه الجديدة .

التقاه أواخر مساء فى بار معتم من بارات حى « شوابينغ » بميونيخ . كان طويلا ونحيفا ، بمعطف أسود يلامس قدميه ، وبرأس كراس الفقمة ، وبوجه أسمر حرقته المتاعب وآلام الغربة والطواف الطويل ، وبعينين صغيرتين ذابلتين . وعقب دقائق قصيرة ، تخللتها تلك الأسئلة والأجوبة العادية ، اكتشف أنه من قوم الغرابة . وحين أقام الحديث والشراب بينهما شيئاً من الودّ ، روى له هواجس طفولته ، وأيام الحمّى ، وحكايات ولد الكبلوطى عن الكنوز السرية . وطول الوقت كان ذلك الفتى يدقق النظر فى تلك اللطخة الزرقاء فى عينه اليسرى . وحين انتهى ، ضجّا بالضحك ضاربين الأرض بأيديهم على المبسط حتى انفجر الامتعاض على وجه الجرسونة البلغارية الثقيلة الأرداف .

عند الساعة الحادية عشر تقريبا ، ودّعه وعاد الى شقته هادىء النفس وسعيدا الى حد ما . وتمدد على الفراش بحذائه وبكامل لباسه . ووسط الصمت والهدوء ، سرح بذاكرته فى الماضى ، وفى سنوات طفولته البعيدة . وراحت الصور تتسابق فى ذهنه بطيئة مرة ، وسريعة مرة أخرى ، وبينما هو يمارس تلك اللعبة الممتعة والمسلّية فى آن ، رنّ ناقوس الباب . وفى الحال فتحه دون أن يتردد ولو لحظة واحدة ، ودون أن يطوف بذهنه أىّ سؤال عن ذلك الغريب الذى تجرأ على أن يزوره فى مثل تلك الساعة من الليل . ولم يندهش حين وجد نفسه وجها لوجه مع ذلك الفتى من قوم الغرابة الذى كان قد التقاه أواخر المساء ، وكأنه على موعد معه . ومتوترا ، وعابسا ، وعيناه تشتعلان حقدا وغيظا ، اندفع ذلك الفتى داخل شقته دون أن يحييه أو ينظر اليه . وحين وصل إلى قاعة الجلوس ، وقف وراح يتأمل باشمئزاز اللوحات والصور التى تزين الجدران ثم اقترب من الكتب وبعد أن تصفح بعضها راح يمزقها ويرفسها برجليه . وكان كلما سعى الى تهدئته او حاول منعه ، صاح فيه صيحة تجمده من مكانه ، دون حراك ولا كلام ومع مرور الوقت كبر خوفه ، فراح يرتجف وكأنه يقف عاريا تماما وسط الثلج . ثم فجأة بدأت الشقة تتسع ، وراحت تتمطط وتتمطط حتى تحولت الى باحة من الاسمنت ، عارية وموحشة مثل باحات السجون ومن فوق الحيطان الرمادية العالية التى تحيط بهاء أطلت رؤوس شقراء وراحت تتأمل المشهد بعيون شرسة وباردة وبوجوه كأنها وجوه الموتى المحنطين . وازداد الفتى ضراوة وعنفا . وارتفع صوته مهددا ولا عنا ومتوعدا . ولما بدا يتوسل اليه أن يكف عن ذلك ارتمى عليه ، وجرّده من ثيابه فى رمشة عين ، ثم شرع يجره هكذا على الأرض الصلبة الباردة

وظل يجره ويجره حتى راى الدماء تتدفق من جميع انحاء جسده . وبعد ذلك كمّم فمه ، وأوثق رجليه ويديه ، ثم القاه مثل نواة تحت شجرة ضخمة تنتصب فوق قمة جبل عال يغلفه الضباب وصاح مناديا فى قومه . وفى الحال أحاط به الغرابة . وكانوا فى هذه المرة نصف عراة مثل الهنود الحمر فى الأفلام ورؤوسهم محلوقة تماما ، وعلى وجوههم العريضة والطويلة ، رسوم غريبة بالأسود والأحمر والأخضر والأزرق والأصفر . وبعد أن أشعلوا نارا امتد لهبها حتى تجاوز أعلى الشجرة راحوا يدورون حوله ضاربين الدفوف : دجتدق دق ! تجتد قدق ! تحتدقدق ! تشتتقق ! تتشق ! تتشدق ! تجتدق ! ومنشدين مدائح واذكارا بلغة لم يتمكن من أن يفهم منها ولو كلمة واحدة . وفى لحظة ما انتبه الى أن كل رفاق صباه يجلسون على أحد فروع الشجرة ، متأملين المشهد واجمين وملتفين بعضهم ببعض مثل فراخ خرّجت لتوها من البيضة . وفى وسطهم ، كان ولد الكبلوطى يقرفص متعبا وحزينا . وعلى وجهه المحفور بالتجاعيد ، اليأس والخوف . راح يتململ ، ويحرك يديه الموثوقتين فى اتجاههم وحالما انتبه الغرابة الى ذلك ، انقطعوا عن ضرب الدفوف وعن الانشاد ، واندفعوا نحوه غاضبين وسكاكينهم الطويلة تلمع فى ضوء اللهب . وفى اللحظة التى كانوا يتأهبون فيها لذبحه من الوريد الى الوريد ، استيقظ .

كان لا يزال ممدّدا فوق الفراش بحذائه وبكامل لباسه . وكانت ساعة الراديو الالكترونية تشير الى الثانية صباحا . وفى الخارج كان بلغاريان سكرانان يرددان بصوتين متعبين مضطربين :

IN MUNCHEN STEHT EIN
HOFB RAUHAUS — EINS , ZWE I, GSUFF
A .....

ميونيخ ـ حسونة المصباحى

(اى : بلادك بلاد الشمال ، بلاد البرد والأمراض . اما بلادى ، فبلاد الصحراء ، بلاد الزّنا والفضائح الكبيرة)

* أغنية يغنيها البلغاريون أعياد البيرة ومعناها : من ميونيخ هناك محلّ كبير للبيرة . فلنشرب واحدة اثنتين .. على صحتنا ..

يخشاه الجميع خشية لا حدود لها ، خشية تبدأ بالمرضى المقيمين فى المستشفى ، والذين يترددون عليه بشكل منتظم ، وتنتهى بمدير المستشفى ، مروراً بالأطباء كافة والعمال والممرضين .

خشية .. هى أقرب إلى الحذر ومن ثم الخوف من احتمالات تراكم الأمور وتفاقمها ، وبالتالى مواجهة صعوبة فى حلّها . لذلك صار مبرراً للسيد مدير المستشفى التغافل عن كل سلبيات الدكتور « تقرير » .. ولو تُرك لأى واحد مهمة الإشراف على دوام عمل الدكتور « تقرير » وجدّيته . لما توانى عن ممارسة دور التغافل نفسه .

لهذا لم يحاول أحد من الأطباء أن يقارن نفسه بالدكتور تقرير فى حالة التأخر عن الدوام أو طلب الإجازات .. فالدكتور تقرير ، استثناء خاص ، لا ينطبق عليه قانون العدالة والمساواة .

إزاء هذه الميزة التى يتمتع بها د. تقرير ، لجأ إليه بعض العاملين فى المستشفى للتوسط فى أية مشكلة تعترض عملهم ، أو مساءلتهم عن تقصيرهم .. وكانت طلباتهم تستجاب حالاً ، ولكل استجابة مردود يعود إلى د. تقرير بشكل رموز على شكل خروف ، أو سوار ذهبى ، أو تحفة ثمينة . وأهمية هذه الهدايا الرمزية ، مرهونة بطبيعة المشكلة ... فلا يصح مثلاً أن تكون عملية اختلاس أموال أو تزوير مساوية لتهريب كمية من الدواء والمعدات الطبية ، ولا تشبه هذه الحالة القضايا المتعلقة بالدوام ، أو إهمال المرضى وخلق خصومات مع المراجعين .

لكل قضية حساباتها وحلولها ، والاتفاق بين صاحب المشكلة و د. تقرير اتفاق غير معلن ، إلا أن الجميع يعرفون التسعيرة ويتبادلون أسرارها همساً .

وفى إحدى المرات ضاق صدر أحد الأطباء .. فرفع صوته شاكياً :

— لم هذا الإهمال من قبل الدكتور ... ؟

وسكت عندما أراد أن يذكر اسم د. تقرير ناسياً أن يناديه باسمه الحقيقى .

سأله مدير المستشفى :

— ما الأمر .. يا دكتور ؟

ولم يتمكن الدكتور من كبح ثورة غضبه .. فقد كان المصاب فادحاً والأسى عميقاً .

— المريض .. مات ! مات بسبب الإهمال وعدم وجود طبيب يراقب حالته الصحية ..

وحاول مدير المستشفى التخفيف من حدة غضب زميله :

— الموت .. حالة طبيعية فى المستشفيات .. يبدو أنك مازلت جديداً على المهنة ، فلم تألف مثل هذه الحالات !

— ولكن التقصير واضح .. والمسؤول عنه معلوم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— وما الذى تريد أن نفعله الآن ؟

— التحقيق فى الموضوع .

بهت المدير لهذا الاقتراح .. وتلفت حاسماً جوابه بالصمت ، مستعيناً بزملائه على الإجابة ، ولم تكن إجاباتهم أكثر من الجواب الذى حسمه السيد المدير بالسكوت .

وفى هذا الوضع الساخن ، والترقب الصعب ، وصل إلى المكان د. تقرير وتساءل :

— ما بالكم ؟ . كل هذا التجمع بسبب مريض .. مات

ولم يلتفت إلى الطبيب الذى اتهمه بالإهمال .. وكأن الخبر لم يتسرب إلى أذنيه نقلاً عن أحد الذين يعلقون أهميتهم على أهمية د. تقرير . وانصرفوا جمعاً وفرادى ، فيما بقى الدكتور المعترض حائراً أمام نفسه وهو يجد الجميع ينصرفون عنه ليبقى وحيداً .

●

همْس .. فيه قدر من الذعر ، وقدر من التوقع بدأ يلح .

همْس خاطب به مدير المستشفى زمَلاءه ، وخاطب فيه الأطباء مرضاهم .. وانتقل الهمس إلى حشرجة وكتمان يختنق به المرض ، وتتوجع فيه الجراح .

همس .. يأخذ على د. تقرير ، تقصيره فى معالجة مرضاه .

همس .. لا شأن لأحد بالإصغاء إليه .. أو التفاعل معه .. أوجاع المرضى تبعث الأنين .

ذلك أن كل همس يبوح ، وكل بوح ، مآله نتيجة ليست فى صالح أحد ... فلم الهمس أصلاً ، مادامت عيون د. تقرير موزعة فى كل مكان .. ترصد الهمس مثلما ترصد البوح ؟

●

بعد أسبوع .. أسبوع بتمامه وكماله ..

كان الطبيب المعترض ؛ مهملاً فى عمله .. ومن جراء ذلك عوقب بنقله وتأخير ترقيته .. كذلك صدر أمر من الجهات العليا بنقل مدير المستشفى وتولى د. تقرير مهمة المدير العام للمستشفيات فى المدينة كافة .

وفى اليوم الأول لتسنم د. تقرير مهام عمله .. أصدر أمراً سرياً إلى مسؤولى كافة الأقسام الزمهم بموجبه ، كتابة تقارير يومية عن سير وسلوك وعمل وانضباط كل العاملين فى القسم ، معلِّلاً السبب فى إصدار هذا الأمر بالوقوف على سلبيات العمل ووصولاً إلى نتائج إيجابية تخدم الصالح العام .

وخلال مدة قصيرة تجمعت التقارير أمام د. تقرير .. وباتت شاغله الأساسى فى تحرى الدقة عن كل العاملين فى المستشفى ..

وحين مضت مدة لاحقة .. لم يكن يشغل الجميع إلا كتابة التقارير وتقديمها إلى السيد المدير د. تقرير ... فيما كانت

بغداد : حسب الله يحى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

□ □ □

الاختبـــار

تأليف الكاتب الألمانى هربرت ماليشا

ترجمة د . أنيس فهمى

عندما توقفت السيارة فجأة وأصدرت فراملها صرخة مزعجة ، رأى ريدلوف كيف قطّب السائق جبينه فى غضب ، وبعد أن خطا ريدلوف خطوتين مترنحتين وجد نفسه عند باب الخروج مرة أخرى . سأله السائق : « هل أصبت بشىء ؟ » كان يشعر بأن شيئا ما يمسك به من مرفقه ، وبحركة سريعة تخلص من كل شىء ، وعندما لاحظ أن السائق يحملق فيه رد عليه دون أن يبادله النظر قائلا : « كلا ، كلا . أنا بخير . شكرا . »

أحس بموجة من الضعف تعتريه حتى كاد يصيبه الغثيان . لم يكن ذلك فى صالحه وبخاصة أنه كان يسير فى الشارع بين حشد من المارة ورجال البوليس . يجب عليه ألا يكون ضعيفا ، فقط يجب أن يواصل السير بدون أن يثير انتباه أحد من المارة فى الشارع المضىء ، وما بالتدريج قلت نبضات العروق فى رقبته . لأول مرة منذ ثلاثة شهور رأى نفسه مرة أخرى فى المدينة ، ولأول مرة وجد نفسه مرة أخرى وسط جموع كثيرة من الناس . لم يكن فى استطاعته أن يختبىء . كان عليه أن يخرج الى العالم ويقيم علاقة مع الحياة مرة أخرى . كان عليه أن يبذل أقصى طاقته لكى يعثر على سفينة قبل حلول فصل الشتاء . أخذت يده تمر بخفة فوق الجانب الأيسر من سترته ، وتحسس جواز السفر فى الجيب الداخلى . كان هذا الجواز عملا ناجحا بالنسبة له وقد دفع فيه ثمنا ليس بالقليل .

السيارات تسير فى الشارع فى صف طويل وتتقدم الى الأمام بصعوبة بالغة . وكان الناس يمرون بجواره ، أو يلتقون به وجها لوجه ، وقد حرص على أن يتجنب ملامستهم . وجوه الناس البيضاوية الشكل تتخذ الوانا غير عادية كلما تغيرت ألوان الاعلانات المضيئة . كان ريدلوف يبذل كل جهده لكى تكون خطواته مطابقة لخطوات الجموع لكى يستطيع أن يمشى وسط تيار المارة دون أن يلحظه أحد . الأصوات وأحاديث الناس المتقطعة وضحكاتهم تطرق أذنه . وللحظة علق بصره بوجه سيدة استرعت انتباهه بفمها المفتوح الذى يبدو كأنما أحاطت به دائرة سوداء .

السيارات تسير وأصوات محركاتها تحدث ضجيجا . مر أحد قطارات الترام مصدرا صوتا مزعجا. الناس يتدفقون فى الشارع وثمّ طوفان من الوجوه والأحاديث والخطوات المختلفة الأشكال . وريدلوف يسير واضعا يده فوق ياقة قميصه بطريقة لا ارادية وعندما لامست يده رقبته لاحظ أن أصابعه كانت باردة وتتصبب عرقا . قال ريدلوف لنفسه : « يالأوهامى الملعونة ! ، ممن أشعر إذن بالخوف ؟ من الذى سيعرفنى فى وسط هذا الحشد من الناس ؟ » ولكنه شعر بعد ذلك تماما أنه لم يستطع أن يسير مع التيار وأنه كان كمثل قطعة من الفلين ترقص فوق سطح الماء ، يدفعها التيار الى ناحية ثم يردها الى مكانها الأول . وأحس فجأة ببرودة . قال لنفسه مرة أخرى « لا شىء أسوأ من الوهم اللعين »

قبل ثلاثة شهور كان الأمر مختلفا . كان اسمه : ينز ريدلوف مكتوبا بالحبر الأسود فوق ورق أحمر ملصق على كل عمود فى الشوارع لكى يقراه الناس . ومن حسن الحظ أن صورته كانت غير واضحة . كان اسمه يكتب بالبنط العريض فى عناوين الصحف الرئيسية ، ثم أصبح بعد ذلك أصغر فأصغر ، كما أن علامة الاستفهام التى كانت توضع بعد اسمه انزاحت إلى الأعمدة الأخيرة ثم تلاشت تماما بعد قليل .

دلف ريدلوف الى شارع جانبى ، واصبح عدد المارة أقل ، وبعد أن غير اتجاهه الى عدة شوارع جانبية انفرط عقد المارة الى قلة من الأفراد . كان الشارع مظلما فاستطاع ريدلوف أن يفتح ياقة قميصه ويحل رباط عنقه . وجلبت الريح اليه من الميناء رائحة هواء البحر الفاسد فشعر بقشعريرة شديدة .

رأى ريدلوف أمامه حزمة من الضوء تنير عرض الشارع ، وشخصا يخرج من محل صغير تفوح منه رائحة البيرة والطعام والدخان . دخل ريدلوف الى المحل الصغير الذى لم يكن سوى حانة متواضعة للبحارة . كانت الحانة خالية إلا من بعض الجنود الذين كانوا يجلسون حول منضدة ، وفى صحبتهم بعض النسوة الخليعات . كان على المناضد الصغيرة مصابيح صغيرة تغطيها مظلات حمراء مرتفعة وثم جهاز موسيقى بدأ يعمل فى أحد الأركان . وخلف البار كان يقف شاب سمين عارى الذراعين ، ينظر إلى السقف نظرات عابرة . قال ريدلوف للساقى : « كونياك دوبل ، ثم لاحظ انه مازال ممسكا بقبعته فى يده فوضعها فوق المقعد الخالى وراءه . وضع سيجارة فى فمه وأحس بعد الأنفاس العميقة الأولى بدوار خفيف . كان الجو فى الحانة دافئا فمد قدميه الى الأمام . كانت الموسيقى قد تغيرت وفوق أنغام الجيتار الصاخبة سمع حديثا وضحكة عالية تصدر من المائدة المجاورة وشعر بأنه فى مكان مريح .

أدار ساقى البار السمين رأسه ناحية الباب عندما سمع صوت اغلاق باب سيارة فى الخارج . وفى الحال دخل إلى الحانة رجلان أحدهما قصير عريض المنكبين ظل واقفا فى وسط الحانة ، أما الآخر فكان يرتدى معطفا جلديا طويلا وتوجه إلى المائدة المجاورة . لم يرفع أحد من الرجلين قبعته . حاول ريدلوف أن يتجه ببصره ناحيتهما ولكنه أحس فجأة بالخوف . رأى كيف انحنى الرجل الطويل فوق المائدة وهو ممسك فى يده بشىء لامع . كانت الموسيقى قد توقفت وسمع الزنجى الجالس الى المائدة المجاورة يقول : « ماذا يريد ؟.. ماذا يريد ؟ » ورأى شفتيه المكتنزتين تتحركان . أخرجت احدى السيدات بطاقة ملونة من حقيبة يدها . قال الزنجى باصرار « ماذا يريد ؟ » . كان الرجل قد ذهب الى المائدة التالية . ضغط ريدلوف على حافة المائدة باحدى يديه حتى شحبت اظافر أصابعه . بدت الحجرة المعبقة بالدخان وكأن من السهل اختراقها ، وخيل اليه أنه يجب أن يقلب المائدة والمقعد على الجانب الآخر .

كان الرجل الطويل قد أنهى جولته وتوجه نحو الرجل الآخر الذى كان ما يزال واقفا فى وسط الحجرة وقد وضع يديه فى جيبىْ معطفه . ورأى ريدلوف الرجل يقول للرجل الطويل شيئا لم يستطع ريدلوف أن يفهمه ، ثم توجه الرجل بعد ذلك نحو ريدلوف مباشرة وقال له : « معذرة .. اثبات الشخصية من فضلك » . لم ينظر ريدلوف مطلقا الى الحلقة المعدنية التى كانت فى يد الرجل ، بل أخرج سيجارته من فمه وشعر فجأة بهدوء تام . لم يعرف ما الذى أسبغ عليه هذا الهدوء ، ولكن يده التى امتدت الى جيب سترته الداخلى لم تشعر بجواز السفر الذى أمسكت به وكأنما كان من القش . تصفح الرجل جواز السفر ببطء ورفعه لكى يراه فى الضوء رأى ريدلوف التجاعيد الثلاث التى ارتسمت فوق جبهته . أعاد الرجل اليه جواز السفر قائلا : « شكرا ياسيد فولترز » . ومن خلال هدوئه غير الطبيعى أخذ ريدلوف يحدث نفسه قائلا : « لا يعجبنى أن أكون مراقبا مثل المجرمين » . وبدا صوته عاليا فى وسط الحجرة . لم يسبق أبدا أن تحدث بصوت عال بهذا الشكل . قال الرجل « يتشابه الناس فى كثير من الأحيان » ثم يضحك ساخرا كما لو كان فخورا بفطنته ، وأخرج من جيب معطفه نصف سيجار وقال : « هل تشعله لى ؟ » فمد ريدلوف يده بعود الثقاب المشتعل عبر المائدة ، ثم خرج الرجلان بعد ذلك .

عاد ريدلوف الى مقعده . زال التوتر الذى كان يعتمل بداخله ، وذاب هدوؤه الثلجى . كم كان يود أن يصيح من الفرح ! كان هذا هو الاختبار ، وقد اجتازه بنجاح بدأ جهاز الموسيقى فى إصدار موسيقى مرحة . قال له الرجل السمين الواقف وراء البار : « هيه .. لقد نسيت قبعتك » . وعندما انطلق ريدلوف الى الخارج تنفس بعمق ومشى بخطوات واسعة خفيفة ، وود لو أنه استطاع أن يغنى .

بالتدريج أخذ يدلف الى الشوارع العامرة بالناس ، حيث الأضواء المتألقة ، والمحلات التجارية واللافتات المضيئة على الجدران .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن إحدى دور السينما خرج حشد من الناس كانوا يضحكون ويثرثرون فاندس بينهم . كان يشعر بالسرور عندما كانوا يحتكون به . سمع صوت سيدة من خلفه تنادى : « هانز » ثم أمسكت بذراعه فقال لها : « يؤسفنى أننى لست هانز » وابتسم لها بينما شعرت هى بخيبة أمل . قال لنفسه « إن جمالها يفوق حدود المعقول » . وأثناء سيرة أصلح رباط عنقه .

كانت السيارات السوداء اللامعة تجرى فوق الأسفلت الناعم ونافورات المياه ذات الأضواء المتغيرة تتلألأ فى واجهات المحلات ، وكان بائعو الجرائد ينادون على جرائد المساء . وخلف واجهة زجاجية كبيرة مغطاة ببخار الماء رأى بغير وضوح رجالا ونساء يرقصون ، وكانت الموسيقى الراقصة تسمع أنغامها فى الشارع .

لم يسبق له أبدا أن شعر بالرغبة فى المشى مثل شعوره الآن . لقد شعر بانتمائه مرة أخرى إلى جمهور المارة ولم يعد يشعر بأى مجهود وهو يخطو على وقع خطوات الكثيرين . وبقوة دفع تيار المارة ذهب عبر الميدان الكبير إلى القاعة الكبيرة التى كانت تزينها صفوف من المصابيح المتلألئة والاعلانات الضخمة . كان الناس يتدافعون حول الشبابيك أمام المدخل . ومن كل مكان تسمع الموسيقى عن طريق مكبرات الصوت . أليست هذه هى الفتاة التى نادته منذ لحظة ؟ وقف ريدلوف خلفها فى الصف . أدارت رأسها فشم رائحة عطر . عبر المدخل وهو يحشر نفسه خلفها حشرا . كانت أنغام الموسيقى ما زالت تصدح وسط خليط من مئات الأصوات ، وكان بعض رجال البوليس يحاولون إحلال شىء من النظام فى هذا الحشد الكبير من الناس . تناول منه رجل يرتدى زى بواب تذكرة الدخول ثم أخذ ينادى عليه ويشير اليه بأصبعه قائلا : « ياسيد .. ياسيد .. » استدارت الوجوه اليه ثم اتجه نحوه رجل يرتدى حلة سوداء وقد أمسك فى يده شيئا لامعا صوب اليه ضوءا باهرا . ودفع رجل آخر الى يديه بباقة ضخمة من الزهور ، وأمسكت بذراعيه من اليمين واليسار فتاتان جميلتان مبتسمتان ، واندفعت آلات التصوير تأخذ له صورا . وارتفع صوت جهير وقد كاد ينفجر من الفرح وهو يقول : « اسمح لى باسم الادارة أن أهنئك من كل قلبى ، فأنت زائر المعرض رقم مائة الف . » وقف ريدلوف كالمذهول . واندفع الصوت الجهير يقول : « والآن قل لنا اسمك الحقيقى » رد قائلا :

« ريدلوف » ، ينز ريدلوف . لم يعرف ماذا قال الا بعد فوات الأوان .

واندفع مكبر الصوت يكرر الاسم فى جميع أركان القاعة الضخمة . وبالتدريج انفرط عقد كوردون البوليس الذى كان يحجز حشد المصفقين من الناس واتجه رجال الشرطة نحو ريدلوف للقبض عليه .

دكتور : انيس فهمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بـــــدون أوراق

مـنى حلمـى

فى عالم يتزين ويتعطر للأقزام ، تقف شامخة على إحدى ضفاف النيل . يتستر تحت ألف غطاء وغطاء بينما تنتصب هى عارية دون أوراق .

أذكر معها بداية اللقاء .

ليلة اكتمل فيها القمر ، والدنيا المتوامية حولى تبدو أكثر عدلا إذا مسها فجأة المطر . أضواء « القاهرة » تكشف جريمة لا نعرف مَنْ فيها الجانى ، ومَن الضحية . نسيم رقيق ـ فى استحياء ـ يداعب الوجوه المتوسلة ليلة مختلفة . والنيل فى مسيرته الخالدة ، يتفرج على مَنْ نهايتهم الفناء . ورغم معرفته للأسرار ، إلا أن الكل فى أحضانه سواء .

أذكر معها بداية اللقاء .

فجأة تدخل تأملاتى .. توقظ شرودى ، وتثير اهتماما ظننته سافر دون عودة . بإلحاح لا يفقد كرامته تدق أبوابا منذ زمن مغلقة . أستجيب .. أفتح ـ دون حذر معتاد ـ الأبواب ، وفرحة أخرج للقياها

أندهش . كيف عرفت احتياجى إليها ؟ بعد أن استنفذت عالم البشر . كيف أتاها صوتى الهامس ، فى عالم يتنفس عبر مكبرات الصوت ؟ وكيف ميزتنى من بين كل المتأملات الشاردات ؟

فيها أرتمى .. على أغصانها أتقلب وأحذر ألا أخدشها . أتذوقها ، فأعرف لمَ لا تحتاج إلى أوراق . مذاقها يضنّ بسر حلاوته فأعيد التذوق ، وتتركنى أفعل ، مستسلمة لظمأ لا يرويه بشر . أغصانها الجافة أعادت انتعاشا ما لقلبى المقبل على الذبول . أغصانها المتشابكة تدخل فى سواد الليل ، فتتشكل عذبة قصائد فى دمى ، رغم أنى لست بشاعرة .

نرقص .. نتحاور .. نغنى ..

أبوح . بما لا يحبه الرجال ولا تعيه النساء . وتكشف عن مؤامرة لقتل الأشجار . أعزيها .. ترفض العزاء قائلة : « وهل أنتِ أفضل حالاً ؟ » نتبادل لحظة الأقدار . تصبح هى امرأة وأصبح أنا شجرة مَنْ فينا الخاسرة ومَنْ الفائزة ؟ لا نعرف .

لم تسألنى الألف سؤال المألوفة .

لم يهمها أن تعرف أى توقيت تتبع له دقات قلبى . وكم مرة ترمش عينى فى الدقيقة . وبالدهشتى ! .. لم يخطر بأغصانها أن تعرف هل أعيش مع رجل أم أعيش مع مبدأ . اكتفاء متفرع بين الأغصان يخجل حضارة متطفلة . ويشعرنى بقوة مفاجئة ، فأقرر ورأسى إلى السماء : لا يأس مع الشجر .

أتركها لحضارتها الملتصقة بالأرض ، وإلى بيتى أعود . لكنها لم تتركنى . منذ كان اللقاء ، وهى معى . شرقىّ وغربى ، جنوبى وشمالى . فى غفوتى وفى يقظتى . فى بعض الأحيان ، كالومضة مضيئة تظهر ثم لا تلبث أن تختفى . أحيانا أخرى ، تبقى وقتا أطول . لكنها فى كل الأحوال ، تخايل - بشىء غامض - وجودى .

حيرتنى . ماذا تريد منى ؟ وهى القوية وأنا الضعيفة ما الذى يمكن أن يريده الشموخ من الضآلة ؟ ماذا تريدين أيتها الشجرة الحرة من امرأة تخاف فك الأسر ؟

ماذا تريد ؟

ظهورها المتواصل يوحى إلىّ بشىء ما ، أحس أننى غير مهيأة لاستقباله . السؤال هل سأظل متفرجة ، إلى حين يحدث التهيؤ ؟ ومَنْ يدرى .. قد لا يحدث أبداً . قد أظل متسائلة عن الأمر .. حائرة فيه ، تؤرجحنى احتمالاته إلى أجل غير مسمّى

لقد آمنت بالشجرة ، فلماذا لا أكتب عنها ؟!

ترى هل ستحب ثمرة تلك الليلة المكتمل فيها القمر ؟ هل ستدخل إلى سطورى ، كما دخلت إلى أغصانها ؟ هل ؟ وهل ؟ وهل ؟ ...

سأزورها الليلة وأعرف .

القاهرة : منى حلمى

□□□

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وريقـــــات

منتصـــر القفـــاش

السور يمتد مصمتاً ، يغالب ظلمة تحجب أطرافه النائية . اقتربت أتلمس مواضع ، بالأمس كانت أبواباً حجرية . مثله أبدو الآن ، لكن بدون عناوين . هو عنوان وحيد ومصمت . عنوان لم يقله ، ولم يكتبه بل أومأبه .

لم أسأله عن بيته ، ولم أستوضحه حينما ذكر باقتضاب أننى زرته كثيراً . كنت أراه فى البداية من زمن لم يُبق لى غير أطياف ، ومايشدنى إليه هو التفكير فى اى الأماكن سيلقانى .

ظلال السور متجاوزة الرصيف ، متناثر فى أرجائها أحجار دقيقة ، لا تلبث إحداها أن تبدل مكانها بمرور عربة فوقها . ينحرف اتجاه الظل عند عمود نور كسر مصباحه الكبير ، وعلقت ببقايا جسده الزجاجى أعواد قش صفراء .

أكان ظله بين هذه الظلال حينما أشار إلىّ ؟ . لم ينتظر حتى أصافحه ، واتجه صوب غرفة مشرعة الباب . وجدتُ حين دخلت قضبان النافذة الحديدية تكشف من خلال الفراغات بينها عن إحدى عربات قطار علاها الصدأ . وريقاته فوق المنضدة الرخامية ، يباعد بينها وهوصامت ثم يدنيها من الحافة ، ويده الأخرى مهيئة لا لتقاط ما يقع .

ـــ فى آخر لقاء لم تكن بهذه الكثرة .

جمعها بين كفيه وقال : ـ

ـــ عثرت على بقيتها هنا .

لم أشأ أن أعيد ما قلته من قبل عن يقينى من أننى لم أكتبها ، وأننى لا أعرف الذهاب إلى هذه العناوين ، ولا أدرى أهى موجودة أو غير موجودة .

يحكى عنى دون انتظار أن أصدقه ، وأبصرته مالكاً لأيام فى هو الشاهد الوحيد عليها .

أحضر من درج مكتب بجوار النافذة ، رقعة شطرنج وعلبة مغلقة . أخرج القطع الخشبية وأوراقاً ، عرفنى أنه كتب فيها أدواراً لعبناها . وجدتنى ألعب دائماً بالأبيض ، وبلا نهايات .

ردّد وهو يضع القطع :ـ

ـــ و ٧ فم .... ح ٥/م .

ثم التفت إلىّ وقال

ـــ توقفنا هنا ، ولم نكمل .

ـــ العبنا سوياً من قبل ؟ .

ـــ أنت الذى علمتنى كتابتها .

قلت وهويحرك الحصان :ـ

ـــ لم أعلم بوجود غرفة فى هذا السور .

ـــ غرف عديدة . هجرها اصحابها . ومنهم من يجيئها قبل أن يضمه رحيل ...

ـــ أتسكنها منذ زمن ؟

ـــ لا أعرف . بدؤها ومنتهاها ممتزجان دوماً .

لم يحثنى على اللعب . أخذ يحرك قطعى ويكتب .

كل ما أذكره عنه قبل هذه اللقاءات ، جلوسه أمامى فى المدرسة الإعدادية ، وصمتة ، وقلة من يصادقونه . قلت له هذا . فاستغرق فى الحديث عن يوم دخولنا غرفة الموسيقى خلسة ، وعن فتحنا الدولاب عنوة ، وتساقط آلات الماندولين والأكردويون والكمنجات . وعن العصا التى ادمت أيدينا . حدثنى عن تسللنا إلى حديقة منزل « ظننا انه مهجور . قذفنا الأشجار بالطوب . جمعنا النبق . كدنا نجرى حينما سمعنا صوتها ، لكنها طلبت أن ننتظرها . دخلت العجوز من الباب الخلفى لتعود حاملة بين يديها عرائس بان القطن من رؤوس بعضها ، وفيلاً زجاجيا مكسورة إحدى أقدامه ، وبروازاً ذهبى اللون نزعت منه صورة قبل أن تعطيه لنا ، وأوصتنا وهى تناولنا حبّ نبق ألا نكف عن اللعب بها .» .

لم يتح لى القدرة على تحديد أى موعد . يباغتنى بحضور فى أماكن لا أعْبرها إلا لماماً . أفتش عن بدء لقاءاتنا فتمور الذكر ولا تبوح لى .

اسأله ان كانت عودته حنينا أم تحدياً ؟ فيلوذ بالوريقات . ويحدثنى عن كتابتى لها فى كل مرة يسألنى فيها عنوان البيت . وعن ذهابه إلى العناوين كلها دون أن يلقانى ، لكنها لا قته بهذه الأماكن ، بناسها وبيوتها وشوارعها ويقول : —

— أمضى صوبها فتلاقينى بنبت عز مطلبه ، وتعرش فوقى أيْدٍ تلمس وتضم .

أردد أمامه اسماء رفاق لى فى المدرسة . أفتش بين حروفها عن كنه اسمه ، يوقفنى ...

— مازلت آتيهم فى دروبهم

— أيتذكرون كل ما تحكيه ؟

— يستترون بالبعد ، ولا يشفع لى مداومة الحضور .

طوى الورقة دون أن يكمل . أعادها إلى الدرج بمفردها تاركاً القطع فى خاناتها .

امتداد السور يرتدّ لى فى غفلة من المكان . يسكن بين يدىّ ثم يسرى ليتدفق الأنحاء . غُرفُه بالأمس تضيق أمام تباعده ولا يتبقى منها غير نور خافت ينذر بانطفاء وشيك .

أشار إلى خارج النافذة فى النهاية قائلا :

— لا أعرف من منّا سيسعى إلى الآخر بعد زمن سيطول . قد نكتفى بما حدث ونظل نجترحه وجها وجها ، يداً يداً ... احكِ لى عن هذه اليد ، عن كفها متداخلة الخطوط حيثما نتقابل ... أحدق فيما حولى ، أجد الشوارع صارت شراكاً . أنجو من إحداها لأقع فى آخر ، وصوته هو دافعى للعبور فوقها ولانتظار من سينطق .

يتراءى لى وهو يبتعد ، يجفل حينما يلمح قادماً ، ولا يركل الأحجار الدقيقة ، لا ينظر إلى الشبابيك الموارية . يدع لقدميه تحديد المسلك وليديه حرية التقاط ما ترغبه من الطريق يختلس النظرات لوجوه العابرين بجواره ، كثير منها أفسحت قسماتها امتداداً لشباكه . أخذ يحدس أسماءها وما كان سيتبعه معها من طرائق . يرنو إلى ما مضى فيجده منذوراً لخطوه القادم .

أبدأ فى السير وأنا أسمع صرير الأبواب وهى تُفتح ، وأجد الرقعة بقطعها تحاول إكمال اللعبة .

منتصر القفاش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إرادة الجبـــورى

مالذى حدث لنا ؟ هل تأخرنا فى وقف اللعبة ... لعبة الفراق التى التهمت كل شىء . هل حدث حقا ؟ أكان علينا أن نتوقف عن ممارسة تكرار اللعبة قبل ذلك بكثير ! هل أتعبتنا اللعبة ؟

لكنها مجرد لعبة اللعبة ؟ نعم .. لعبة الفراق، ما الذى جرى لنا فى ذلك اليوم . جلسنا نتحدث كغريبين التقيا فى قطار ، يبددان الوقت فى الحديث عن الجو وآخر الكتب .

هل يمكن أن ترحل هكذا ؟ حبة رمل تبتلعها الصحراء ! وأنا .. ماذا عنى ؟ كيف تركت عقارب الساعة تهزم زمننا .. الزمن الذى لم نكن نشعر بمروره عندما كنا نستمع إلى لهاث الساعة بسخرية ماذا عن حزننا الذى بدأ يكبر ويصبح أكثر نبلا مع عمق حبنا حتى بتنا لا نجد ما نتحدث عنه إزاء حضوره ؟ أحقا لم أكن أعلم أن ذلك اليوم لم تكن اللعبة فيه مجرد لعبة ، وإلاّ فما الذى جعلنى أنقل نظرى بين وجهها المحدق بى دائما وعقارب الساعة ؟ يومها كانت عيناها فوق الجميع ونظراتها تربكنى مثلما يربكها حضورى .

أعرف كما تعرف تماما أن قرارى ألاّ أودّعها ذاك اليوم لم يكن مجرد حدث عارض . كنت قد قررت أن لا أودعها أبدا . أمسكت بيدها وطفنا الأزقة . صرخت أحبك فردد المدى أحبك ولم أسألها باستمتاع مثل كل مرة « متى نفترق ؟ » وتسمعنى مبتسمة،مع هذا كانت ابتسامتها الكابية والتفاتتها المباغتة إلى الجانب الآخر عندما أقول لها ذلك حاضرة أكثر من أى وقت آخر .

كانت تعرف ماذا أفكر . يومها قالت لى وهى تغادر ودون أن تنظر فى عينى « أشعر بالنعاس .. أتمنى أن أنام وأحلم .. منذ زمن وأنا لا أرى أحلاما فى الليل ولا فى النهار حتى الكوابيس تخلت عنى ! »

لم أقل شيئا . تشبثت بصمتى علها تترك لى ولو نظرة أخيرة هذا يعنى أننى كنت أدرك تماما أنها المرة الأخيرة . ذهبت من غير أن تودع غيوم الحب نظراتها.لاأعرف إن كنت أتذكر هذا أم أراه أثناء نومى،هل كنت نائما أم نصف نائم ! النوم والزمن كانا فى سباق دائم وكنت ورقة الرهان بينهما وبين وجهها . لم أكن أريد أن أصحو . غالبت هذه الرغبة وأنا أرى ذلك الايقاع الأزرق العميق يأتى فى هيئة قارب بلورى صغير يشق طريقه بين قطع الجليد فى بحيرة لوجهها بريق الكريستال ومعالمه الحادة .. الدقيقة ، تحيط بها صحراء واسعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان القارب مثل قطرة مطر زرقاء شدها إلى الأفق خيط ضياء رفيع . رأيتها تقف فى وسط القارب مرتدية فستانا أسود طويلا وشعرها يغطى جانبا من وجهها كأنى رأيتها قبل الأوان . يصل القارب نهاية البحيرة .. يزحف قليلا نحو الرمال .. تترك مكانها وتسير كمن يعرف طريقه جيدا . تلتفت يغادر القارب الصحراء ويشق طريقه من جديد بين قطع الكريستال . يبتعد القارب ثم يصبح قطرة مطر زرقاء تتسلق خيط ضياء ثم تنام على غيمة . تلتفت إلىّ من جديد .. تهزمنى نظراتها .. تهرب من ارتباكى .. تنظر إلى الغيمة ثم تبتعد .. تغيب عن ناظرى.تصبح حبة رمل تبتلعها الصحراء . أغمض عينى محاولا الاحتفاظ بنظراتها .. فأرى قاربا بلوريا صغيرا يشق طريقه بين قطع الجليد فى بحيرة كريستالية تحيط بها صحراء واسعة . القارب مثل قطرة مطر زرقاء شدها الى الأفق خيط ضياء رفيع رأيتها تقف فى وسط القارب شعرها يغطى جانبا من وجهها كأنى رأيتها قبل الأوان . يصل القارب نهاية البحيرة .. يزحف قليلا نحو الرمال .. تترك مكانها .. يصبح القارب قطرة مطر زرقاء تتسلق خيط ضياء رفيع .. تنام على غيمة . تهزمنى نظراتها .. تنحبس الكلمات .. تهرب من ارتباكى . تنظر إلى الغيمة ثم تبتعد . تصبح حبة رمل تبتلعها الصحراء .

أغمض عينى محاولا الاحتفاظ بنظراتها .. أرى قاربا بلوريا صغيرا يشق طريقه بين زرقة الكريستال .. قطرة مطر تنام على غيمة ... التفاته ..حبة رمل ثالثة تبتلعها الصحراء .. حبة رمل رابعة .. خامسة .. سادسة ... سابعة . ومثلما قررت التوقف عن تكرار لعبة الفراق قررت أن أوقف حزنى وتوالد حبات الرمل .. أن لاأدعها تتسرب بين يدى حبة رمل تبتلعها الصحراء . ناديتها عندما التفتت إلى القارب مودعة . صرخت بأعلى صوتى . أبى صوتى أن يغادر حجرتى .

لم تأبه لحشرجتى المختنقة . ابتعدت ثم غاصت فى الصحراء « حبة رمل » . سمعتها تسألنى : « اتظل نائما هكذا إلى الأبد ؟ » فتحت عينى رأيت خيط ضياء متداخل الألوان يتوجه نحوى وكلما اقترب منى أكثر اختفى أحد ألوانه حتى تحيدت جميع الألوان ولم يتبق غير الأزرق . داعب وجهى بنعومة .. انزلق على جسدى .. تخلل مساماته .. بعث فىّ شيئا لم أستطع تحديده .. مزيج من السعادة والألم ولذة صمت أبيض تشربته فشعرت بالامتلاء . شيئا فشيئا انسل بهدوء رأيته يغادرنى.ضياء أزرق أحاط بى أولا ثم ابتعد متوقفا عند باب غرفتى المظلمة فى هيئة امرأة لم أستطع رؤيتها بوضوح . كنت أشعر بخدر لذيذ عطل جميع حواسى وكان الضوء الذى يعكسه وجهها يتعب نظرى . ضياء أزرق شكل ملامح امرأة تحمل نظرة حزينة تتلفع بشعرها الأسود بقيت مستلقيا فى فراشى أحدق فى الضوء المنعكس من عينها . كنت مشدوها أتشبث بدفء عينيها .

« لماذا تغمض عينيك ؟ عندما كنا صغارا كنا ننظر إلى وجه الشمس مباشرة » . قالت هذا ولم تزل تقف عند الباب

— عندما كنا صغارا ؟

— نعم . ألا تتذكر ؟ عندما كنا صغارا

قالت جملتها وهى تشير إلىّ أن اقترب ..

هل كان مجرد حلم . لم أكن واهما . منذ سنوات لم أحلم بسواها لم أتبادل الحديث إلاّ معها . نهضت واقتربت منها همست لى : « انظر للذكرى دروب صوب القلب » وأومأت إلى جهة ما .

نظرت إلى حيث أشارت . وجدت بحيرة جليدية زرقاء ربما من كريستال .. نوارس تلهو (حقا ما الذى تفعله النوارس عند جمال الكريستال المميت ؟)

سألتها : والموت ؟

لم تجب وركضت أمامى . شعرت بفرح وقلدت حركتها .. جلست منحنية على الجليد تتابع حركة أسماك صغيرة ملونة . رفعت رأسها وهى تقول بصوت خافت « إنها حبيسة المياه » لم أعرف بماذا أجيبها . فكررت إنها حبيسة المياه . متى تطير ؟ كنت مهزوما .. أعزل .. لا أعرف كيف أمتص حزنها قلت لها وأنا لا أملك الجرأة الكافية للرد على نظراتها :

« إنها حبيسة المياه .. الأسماك لا تطير ولن تطير أبدا » ببراءة طفلة . جلست تنقل نظرها بين كلماتى المختنقة التى لم أتفوه بها،وبين الأسماك . دمعت عيناها . تابعت دمعة انزلقت على خدها . توقفت عند شفتها العليا . لم تستطع ابتلاعها . بدأت تكبر وتكبر حتى سقطت على الجليد رأيت ما يشبه البخار الناتج عن ملامسة جسم ساخن لآخر بارد . أحدث مكان سقوطها ثقبا بدأ بالتوسع تدريجيا امتدت الدائرة أصبحت حلقة كبيرة أحاطت بمكان جلوسها وذاب الجليد . مددت إليها يدى.رفضت بحركة من رأسها وتوقفت عن البكاء . كانت مستسلمة للحزن ولذوبان الجليد . حاولت أن أناديها .. أن أتذكر اسمها لم أستطع . جربت جميع الأسماء التى أعرف .. الأسماء التى أحب .. توسلت إليها أن تتفوه باسمها .. أن تأخذ بيدى .

رفضت وهى تقول « لا أتذكر .. ليس بمقدورى التذكر . سأبقى فى سجن الأسماك حتى تعثر على اسمى .. ذاكرتى ..

ذاكرتك . للذكرى دروب صوب القلب فانطلق خلفها » دنوت منها أكثر . أردت اللحاق بها . لفظتنى المياه . ينبوع متفجر رمى بى على أسفلت شارع قذر . كان ارتطامى بالأسفلت شديدا .

عندما أفقت ركضت إلى المكان . وجدت أن كل شىء عاد إلى ما كان عليه والنوارس لم تزل تلهو على الموت الجميل . جلست فى المكان الذى جلست فيه . قلدت حركاتها . راقبت حركة الأسماك من خلال الجليد الشفاف . نقرت بأصابعى الجليد . تصادمت الأسماك مبتعدة وهربت باتجاهات متعددة وتخلفت واحدة . نظرت إليها . كررت نقر الجليد . لم تهرب . كانت زرقاء بلون السماء . تأملتها . بادلتنى النظرة وظلت تحدق فى وجهى . شعرت بالارتباك إذ لم تكن النظرة غريبة عنى . تغلبت على ارتباكى . نظرت إليها تماما فى العينين . لا أعرف كم بقينا نتأمل بعضنا خاطبتها .. رددت أسماء كثيرة . أسماء حملتها ما تبقى من ذاكرتى .. أسماء من مختلف الشعوب والحضارات . تعبت . توقفت فانزلقت دمعتها وابتلعتها المياه . أغمضت عينى . بت لا أطيق حزنها سمعتها تسألنى بعتب « أتظل نائما هكذا إلى الأبد ؟ . أنقذنى صوتها ، صحوت . كان علىّ أن أراها فى ذلك اليوم شعرت بحاجتى لرؤيتها . ذهبت إليها . وجدتها تنتظرنى مثل كل مرة مذ عرفتها وهى تجلس بانتظارى أتيت أم لم آت .. ومثل كل مرة نلتقى فيها كنت أحاول اختصار احلامى .. ذاكرتى .. يومى دفعة واحدة .

كنت فى طريقى لإخبارها عن القارب .. عن المرأة السمكة والسمكة المرأة .. عن المرأة الضوء الأزرق لكنها وقبل أن تستمع إلىّ حدثتنى عن صحراء وقارب بلورى .. نوارس تلهو على ضفاف من الكريستال . رجل وامرأة يبحثان عن دنيا خبيئة . تحدثت عن أشياء كثيرة تمنيت لو حدثتها عنها وعن الدهشة التى تملكتنى وأنا المس كريستال البحيرة وكيف صعقت عندما تصورت أنى المس عنقها . قبل أن أكسر جدار صمتى قالت لى « يجب أن نفترق » . لم تسأل باستمتاع ولم أسمع مبتسما . نعم لم تسأل متى نفترق ؟ ولم تنتظر جوابا . تركت أحلامها .. ذاكرتها .. حزنها .. دهشتى وقرط كريستال أزرق سقط منها مرة وأنا أقبلها لكنها لم تترك لى عنوانا . ومنذ ذلك اليوم وأنا اعيش مع قرط من الكريستال ... أزرق .

بغداد : إرادة الجبورى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السلم

طارق المهدى

لم يهتم أحد بالسؤال عن اسمه ، واكتفى الجميع بلقب « الدكتور » الذى كان المحيطون به دائمى الحرص على ترديده .

حاول فى مطلع حياته أن يسير على نهج أقرانه فى التمتع بالثروة ، فاستضاف فى قصره الحفلات الصاخبة إلا أن وجود النساء كان يثير نفوره . وفى العزبة كان رفاقه من هواة الصيد يمنحونه بعضاً من غنائمهم بدعوى أنه الذى أوقع بها ليفوز بنصيب الأسد ، رغم يقينه بسوء رمايته . كما كان منافسوه فى النادى يبطئون جيادهم عن عمد حتى يحتل جواده مقدمة السباق . أما على شاطىء البحر فقد كان يستاء من إسراف الجيران فى تدليله .

ولما أوشك الضجر أن يخنقه قرر « الدكتور » تمضية بعض ساعات النهار فى واحدة من المنشآت التى يملكها طلب الإطلاع على ملفات العاملين فى المنشأة وأخذ يقلب فيها بعناية ، أعاد الملفات ما عدا اثنين احتفظ بهما لنفسه ، وكان يعاود النظر فيهما من آن لآخر ..

« ابراهيم غباشى . فنىّ صيانة آلات . خمسة وثلاثون عاماً . سبق له الزواج ، قسوة طباعه دفعت زوجته إلى الهرب أثناء وجوده فى السجن تنفيذاً لعقوبة عن تهمة ضرب أفضى إلى موت ، يحضر إلى المنشأة يوماً واحداً فى الإسبوع ، ويعجز المشرف عن لومه خوفاً من سلاطة لسانه .. » .

« مسعود قرنى . سائق أوناش . سبعة وثلاثون عاماً . كان يملك سيارة أجرة تحمل النساء ومنهن زوجته إلى راغبى المتعة . وبعد سقوط الشبكة فى أيدى الشرطة تمت مصادرة السيارة فالتحق بالمنشأة . اتهمه المشرف عدة مرات بالسرقة ، إلا أنه من البراعة بحيث لا يترك أدلة ...

أخذتهما الرهبة عندما علما باستدعاء « الدكتور » . ومع تكرار مثولهما بين يديه زالت كل الحواجز ، وأصبح الأمر مثيراً لدهشة العاملين فى المنشأة ، فقد كان السعاة ينقلون ما يسمعونه من ضحكات متبادلة بين ثلاثتهم .

أخبراه ذات يوم أن حانة « الملوك » قد استعانت بفرقة من الفتوات يستطيع كل منهم بمفرده أن يدحر فصيلة كاملة ، أما كبيرهم فيقال إنه إذا رجّ بيديه الهواء سقط المارة على بعد عشرة أمتار .

تقع حانة « الملوك » على شكل رواق نصف دائرى تحت باطن الأرض ، تتناثر على جانبيه الموائد وتتدلى من سقفه المصابيح ذات الضوء الخافت . فى منتصف الرواق يجلس شيخ ضرير ليعزف الألحان الشرقية على عود خشبى عتيق ، وفى أعقاب كل وصلة غناء يخلع طربوشه ويدور به على الموائد . وبين الموائد تتلوى نساء شبه عاريات بما يحملنه من طلبات للزبائن الذين يتبادلون وإياهن الأحاديث الجنسية الفاضحة وفى نهاية الرواق تجلس فرقة الفتوات فى يقظة

دائمة لمن يحاول الإخلال بالنظام أو بالقواعد المعلنة التى تتصدرها قاعدة أن مداعبة نساء الحانة يجب ألا تتجاوز الأحاديث بأى شكل من الأشكال .

اقترب الفتوة من مائدة « الدكتور » متفحصاً الوجوه الجديدة ، فأشار إلى رفيقة .. هبا يطاردان النساء شبه العاريات ، فانطلق الشرر من عينى الفتوة واتجه صوب الرجلين مزمجراً مهدداً ، مد « الدكتور » ساقه متعمداً فأسقطه على الأرض وسط ضحكات الرواد .

قذف ابراهيم غباشى ومسعود قرنى المصابيح بالمقاعد فغرقت الحانة فى ظلام دامس ثم لاذا بالفرار إلى حيث تقف السيارة .

نهض الفتوة من عثرته ليجد الدكتور قد ألقى بنفسه بين ذراعيه ، أخذ يكيل له من اللكمات والصفعات والركلات ما ترتج معه جدران الحانة ، ثم يدفعه لواحد من رجاله يكيل له بدوره قبل أن يدفعه لغيره ، ثم لآخر ، وبعد اكتمال الدائرة يعود « الدكتور » من جديد إلى الفتوة وهو يسبه بأقذع الشتائم ، فيشتد غضبه ثورة ويزداد شراسة فى الفتك بالضحية التى لا تريد للضرب أن يكف .

عندما دوت صفارات الشرطة على مقربة من الحانة كان كل شىء قد أصبح مغطى بالدم الأحمر . هرب « الدكتور » إلى حيث اتفق مع رفيقيه اللذين التقطاه بالسيارة وعادا به إلى القصر .

ساعداه فى خلع ملابسه ، ولما اكتمل عريه أخذ يستعرض بنشوة بالغة الجروح والكدمات والكسور التى أصيب بها خلال « العلقة » . وكان يرقب باستمتاع شديد الدماء التى تتدفق من كل صوب ، ويضحك من آن لآخر وهو يتحسس أحد مواجع جسده متذكراً قوة الضربة التى نالها فيه .

وقبل أن ينتهى العام كان « الدكتور » قد أصدر قراراً بترقية ابراهيم غباشى ومسعود قرنى ، نظراً للمجهود الكبير الذى يبذلانه فى أعمال إضافية خارج المنشأة .

القاهرة : طارق المهدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أشياء صغيرة

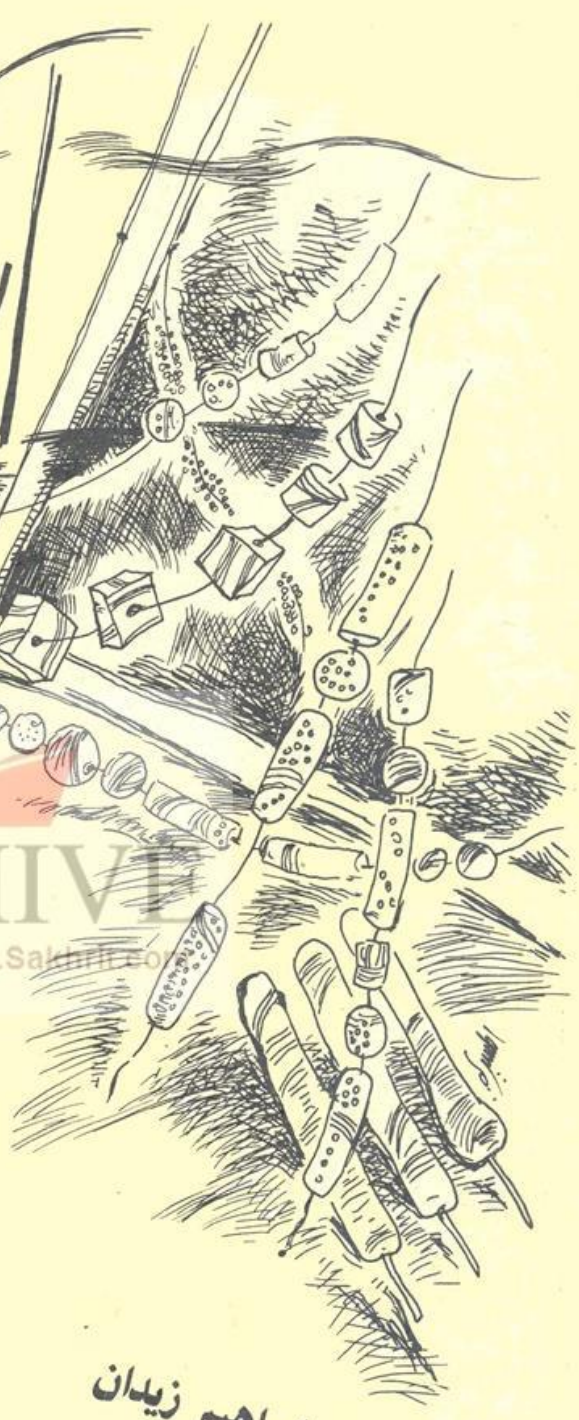

أمينة ابراهيم زيدان

أخوض فى الوحل حافية ، جديلتاى المبللتان تحتالان للمس كتفى ، يهتز جسدى تحت وسع جلبابى النظيف ، تطبق يدى على العملة الفضية ، مصروفى اليومى . أتجاوز الحى .

عند أول حدود المدينة ، وقبل عقد الأضواء المنفرط فوق السحب المحشوة بقطرات المطر ، كان الكشك . يتشقق دهانه عن اللون الطينى للخشب المبلل ، تجذبنى رائحته .

خلف الكشك سبيل وجذع شجرة غليظ مغطى بسترة بالية ليس لها لون ، وقطع أخرى من بقايا ملابس . أجلس فوق الجذع ، تحتوينى من أعلى تعريشة من خرق المشمع التى لا تمنع سقوط بعض قطرات الماء .

اقرأ الكتاب ذا الأوراق الصفراء بأطرافها المتآكلة .. أدفع مصروفى المعدنى ثمن قراءته .

احتوى الكتاب بغير غلاف إلى صدرى ، مضغوطاً بين نهدى .. يبعث فى نوعاً من الدفء .

تمتد عيناى إلى اقراص الحلوى المدلاة بالخيط الرفيع على نافذة الكشك المستطيلة . أوراقها الذهبية .. الشىء الوحيد الذى يلتمع فى هذا الوجود الضبابى ، لابد أنها شهية ! مخيفة عيناه حين تمتدان إلى ، ابتسامته اللامعة التى تطمس حدقتيه ، أسقط عينى فى صفحات الكتاب ، أسجنهما فى فلكه ، تنسكب الكلمات فى وعيى ، تندفع بقوة .

تهتز الحروف على صفحة الكتاب ، تعتم ، الإضاءة الكهربية تنبعث خافتة من داخل الكشك . تحتضن الكلمات فى الكتاب ، يسد الباب بجسمه الممتلىء ، يحد الاضاءة الخافتة خلفه .. تموت الكلمات ، أشير له :

— لم أتم الكتاب ..

— تعالى اقرأيه بالداخل

أصمت ويبتسم ..

— خذيه معك .

— بيتى ؟

يومىء بابتسامته

— والنقود ؟

— خذيه .

أغلق الكتاب ، أضعه إلى صدرى ، أنهض ، جذع الشجرة يؤلمنى . يستوقفنى .

— ستأخذينه ؟

— أنت قلت لى .

— تريدينه حقاً ؟

انظر إلى الكتاب ، يرى ابتسامته على وجهى ، لم أبتسم ، يردف :

— سأعطيك الكثير منه ..

ينظر حوله ..

— تريدين حلوى ؟

اهز رأسى نفياً بشدة وأحكم قبضتى على الكتاب . يقول وابتسامته تطمس حدقتيه :

— اتبعينى ..

تتساقط منى أشيائى الصغيرة .

السويس : امينة ابراهيم زيدان

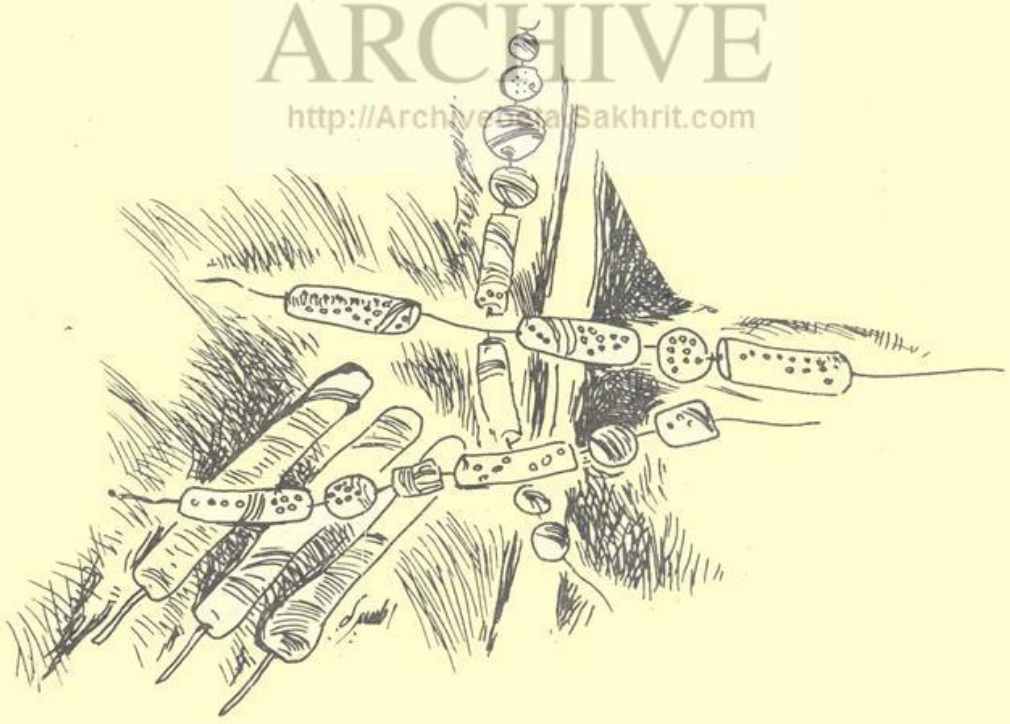

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

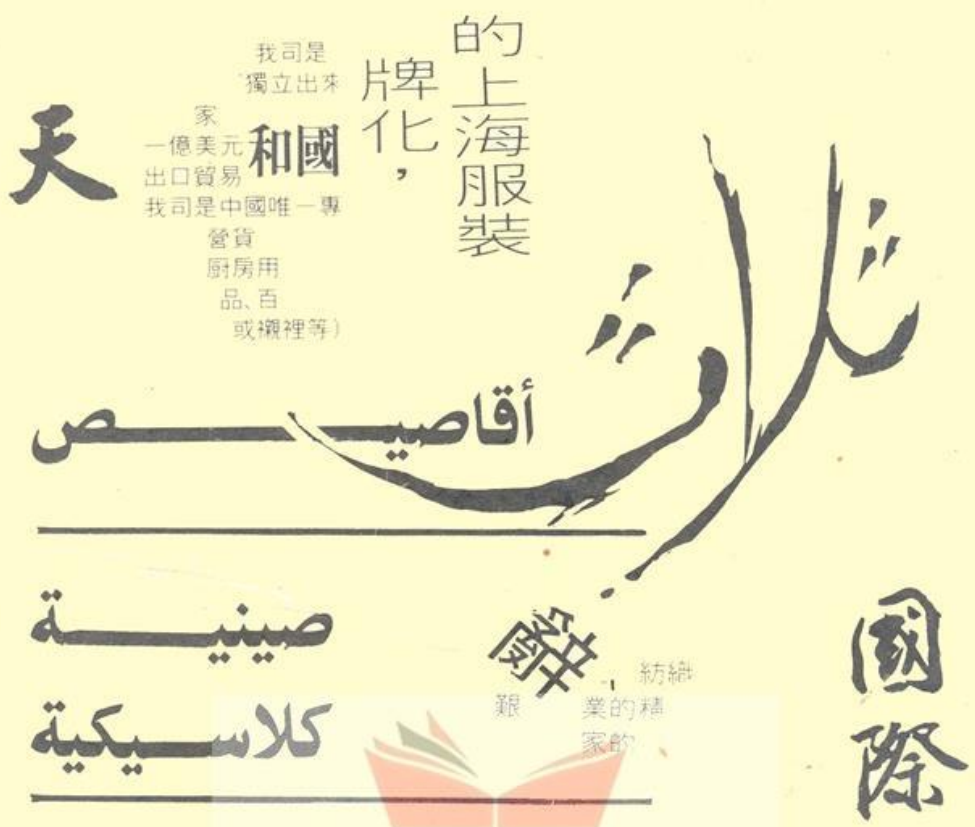

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) « لحية على شكل سرج حمار »

من تأليف هوباى

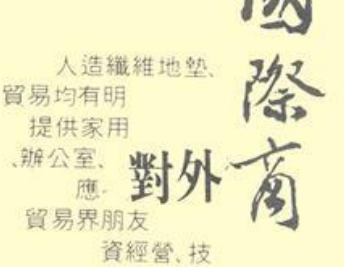

ترجمة

د. أحمد شفيق الخطيب

فى يوم من الأيام ، أخذ رجل من إقليم هكسيان بعض المال معه وذهب إلى السوق . ولأنه كان يبدو بليد الفهم إلى حد ما وكانت له لحية طويلة ، فقد جاء إليه أحد الأوغاد الذين كانوا يطوفون بأرجاء البلدة وأخذ يلومه قائلاً : « لماذا سرقت سرج حمارى واستخدمته كلحية لك ؟ » وعندما هدد الشرير بأن يأخذه إلى السلطات المحلية ، اضطر العم الريفى إلى أن يُخرج كل ما معه من مال لكى يعوض المبتز عن السرج .

وعندما عاد إلى البيت خالى الوفاض وسألته زوجته عما حدث ، أخبرها بالقصة .

« أى نوع من السروج يمكنك استخدامه كلحية ؟ » قالت ذلك موبخة إياه . « حتى لو كانوا قد أخذوك إلى السلطات المحلية ، كان يمكنك بالتأكيد أن تشرح لهم الأمر فتبرىء نفسك من هذا الاتهام الذى لاأساس له . لماذا أعطيت المال لهذا الوغد بلا مقابل ؟ »

« أيتها الغبية ! رد زوجها بسرعة وحسم : « وماذا لو كان القاضى مشوش الذهن وأراد أن ينزع لحيتى حتى يفحصها ؟ هل تظنين أن لحيتى لا تساوى غير المبلغ الصغير من المال الذى تخليت عنه ؟ »

(٢) « الأب لابنه »
من تأليف : وانج رنيو

فى السنوات الأخيرة من الحكم المزدهر لسلالة تونج كان هناك كيميائى « تاوىٌ » فى العاصمة يدَّعى انه كان يتناول اقراصاً من الزنجفر . وكان يبدو فى نحو العشرين من عمره ولكنه كان يقول إن عمره أكثر من ثلاثمائة سنة ، ومن باب الإعجاب الشديد به ، أخذ الناس فى العاصمة يتدفقون إلى بيته . وكان بعضهم يُحضر أشياء ثمينة لمبادلتها بحبوب الاكسير ، وكان آخرون يُحضرون الكتابات الدينية التاوية للاسترشاد برأيه .

وذهب عدد من المسئولين بالمحكمة لزيارة الرجل التاوى فى أحد الأيام . وعندما كان صاحب البيت وضيوفه يتجاذبون أطراف الحديث وهم يحتسون الشاى ، دخل الخادم وأعلن : « لقد حضر السيد الصغير من القرية . وهو يريد أن يراك » .

وظهرت أمارات الضيق على الكاهن التاوى وقال إنه لم يكن يريد أن يرى ابنه . ولكن أحد الضيوف نصحه قائلاً : « لقد أتى ابنك من مكان بعيد جداً ، لذا يحسن أن تدعه يدخل ليراك » .

وقطب التاوى جبينه وتردد بعض الوقت قبل أن يقول : « حسناً . إذن ، أدخله » .

وبعد برهة ، دخل إلى الردهة رجل عجوز أشيب الشعر مقوس الظهر ، وخرّ على ركبتيه ساجداً للتاوى . وبصوت

صارم أمر الأب ابنه بالذهاب إلى داخل البيت . ثم استدار إلى ضيوفه وقال ببطء : « إن ابنى هذا أبله . إنه يرفض أن يتناول أكسير الحياة الذى صنعته ، مما نتج عنه أنه يبدو

رجلاً مخرفاً ومهزولاً بالرغم من أنه لم يبلغ المائة من عمره بعد . وهذا هو السبب فى أننى لاأحبه وأتركه ليعيش فى الريف » .

وأصبح جميع الضيوف أكثر اقتناعاً بأنه كان معمراً . وفيما بعد عندما قام أحدهم سراً بسؤال شخصى يعرف التاوى معرفة جيدة ، قال له : « إن الرجل المقوس الظهر هو فى حقيقة الأمر أبوه » .

(٣) « خطبة مفروضة »
من تأليف : بنج تشنج

كان أحد الشباب ممن كانوا قد اجتازوا أعلى مستويات الامتحانات الامبراطورية يتمتع بالوجاهة والأناقة . وكان أحد أبناء الطبقة الأرستقراطية من واسعى النفوذ معجباً بالشاب كثيراً لدرجة أنه أرسل إليه نحو عشرة من الخدم لكى يحضروه إلى قصره . وقبل الشاب الدعوة ممتناً وخرج فى التو . وعندما وصل إلى بوابة القصر ، كان هناك جمع حاشد من الناس .

ثم خرج رجل يرتدى عباءة أرجوانية اللون ذات حِليات ذهبية وتحدث إلى الشاب قائلاً : « إن لدىَّ ابنة وحيدة ، وهى ليست دميمة على الإطلاق هل تحب أن تتخذها زوجة لك ؟ »

وانحنى الشاب شكراً قبل أن يرد : « باعتبارى رجلاً من أصل متواضع ، سوف يشرفنى كثيراً أن أنتسب بالزواج إلى أسرة ثرية وواسعة النفوذ ، ولكن هل تأذن لى أولاً فى العودة إلى البيت والتشاور فى الأمر مع زوجتى ؟ »

وانفجر جميع الحاضرين فى الضحك ثم تفرقوا .

حدائق حلوان ، القاهرة : د . أحمد شفيق الخطيب

صبـــــاحـــــات

عـــبد الحكيم حـــيدر

[عشر أصابع ــ من خلف ظهره ــ تُدارى عينيه ، وصوت ــ على غير ما ألف ــ يطلب منه أن يعرف من يكون ــ إن كان رجلاً ــ بشرط أن لا يمد إلى الأصابع أصابعه ، فتحط أصابعه العشر على أصابعها ، فيصير العشرون كتلة واحدة . يفتح عينيه .. ياه .. قامة منصوبة ، وشعر قصير ، وعينان مؤرقتان بشيءٍ غير مُحدد ، ووجهٍ خمرى ، وصباح جميل يخرج من شفتى فم عذب ، ثم يُختم الصباح بعد حرف ياء النداء باسمه] .

ياه !! أكان اسمه جميلاً إلى هذا الحد ؟ !

وحيد هو الآن ، وسنوات تنقضى ، « وهنّ » قريرات العيون ــ من رمن ــ هناك ، ومازلن ينخرن ــ فيه ــ بالذكرى ، ولا يكتفين ، بل يُرسلن أرواحهن إلى طريقه ، فتُصادف أرواحهن قامات مثل قاماتهن تماماً ، فتطير ــ منه ــ بقية حشاشته الباقية خلفهن ، فلا يكن هن ؛ فيجلس فى أى حديقة تُقابله ، يرنو لأصابعه ، ويأتنس بالذى مضى .

القاهرة ــ عبد الحكيم حيدر

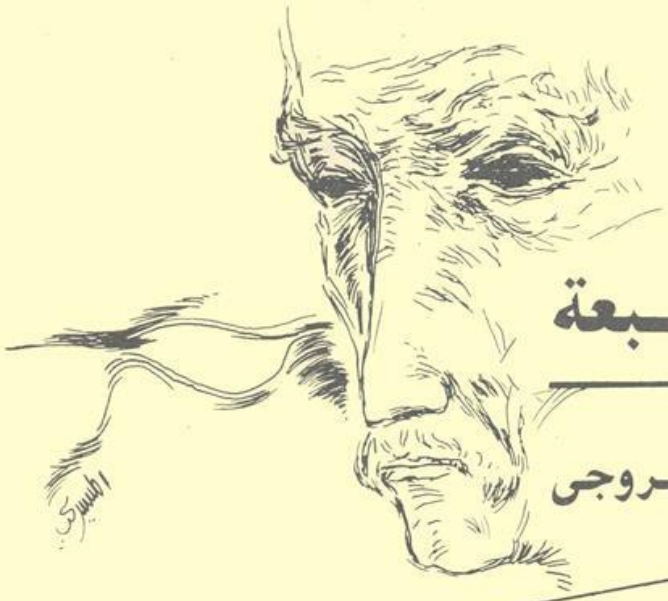

رؤيا الأيام السبعة

■■ خالد السروجى

اليوم الأول

عدت الى المنزل لأجد حالة من الذعر تسوده .. تساءلت بنظرى لترد علىَّ شقيقتى :

ـــ « جدك » ..

خفق قلبى بشدة .. دخلت بسرعة الى غرفته لأجدها خاوية .

عاجلتنى شقيقتى مشفقة :

ـــ لقد خرج رغم أوامر الطبيب !

خرجت مسرعا .. ساقتنى قدماى إلى قهوة المعلم « صالح » ، فعلمت أنه لم يستقر بها طويلا ، وتركها فى اتجاه عم « حلمى » البقال .. وهناك كان جدى يجلس على كرسى أمام المحل ، هادئا مهيبا حليقا ، يلمع شاربه الأبيض فى ضوء النهار .. كان أنيقا كما لم يكن منذ عدة سنوات ، فى جلبابه السكروته « والبالطو » الشاركسكين الأبيض .. آخر قطعة من قماش الشاركسكين الأثير لديه .. الجيب به المنديل ، والعروة تتدلى منها الساعة الذهبية ، ومن حوله كانت الأرض الترابية ندية ، رشت عليها المياه اعلانا للحفاوة البالغة .

كان سعيدا وازدادت سعادته عندما لاحظ لهفتى .

قال وابتسامته تتسع :

ـــ سوف تعيشون حياتكم عبيدا للأطباء

أشار الى بالجلوس ، فجلست بعد أن حييت عم « حلمى » الذى كان منشغلا بعميل .

قال عم حلمى كالمعتذر :

ـــ « ضاعت حياتى فى صرف الشاى والسكر والزيت » فى أثرى جاء عمى .. سلم بارتباك .. وظل واقفا .

قال مخاطبا جدى :

ـــ « حان وقت الغداء ، فرأيت أن أحضر لا صطحبك » .

ضحك جدى وقد ظهرت فى وجهه امارات العناد :

ـــ « وماشأنى بطعامكم ؟ . هل حصلت لى على تصريح من الطبيب لأشارككم طعامكم اللذيذ ! »

ـــ « ولكن ياأبى ... »

ـــ « تفضل أنت الآن .. وسوف أحضر مع هذا الفتى العاقل »

ابتلع عمى الملاحظة ، ووقف فى تسليم ليعد نفسه للانسحاب .

قال عمى قبل أن يغادر المكان :

ـــ « لعلك ـ ياأبى ـ لا تطيل البقاء حتى الليل ، فالجو بدأ يميل الى البرودة »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال جدى لعم « حلمى » بعد أن انضم الينا :

ـــ شىء مؤسف أن تتعرض قهوة المعلم « عبد الغنى » لهذا الحادث

ـــ كاد المعلم يلقى حتفه لولا ستر الله .

ثم استرسل قائلا :

ـــ تصور ياحاج .. عربة « تريلا » تداهم القهوة فتحيلها أثرا بعد عين !

قال جدى :

ـــ لقد استبدت بى اللهفة لأرى ما حل بالقهوة .

كانت آثار الدمار بادية على القهوة .. الجدران متصدعة ، وبعض المناضد مفككة الأوصال .. ولكن الأهم من ذلك كله الشجرة العتيدة .

وقف جدى ومن انضم اليه من المعارف ، أناس من عدة أجيال ، ووقفوا معه ينظرون بأسى وحسرة الى الشجرة ..

قال جدى :

ـــ « تحت هذه الشجرة غنى سيد درويش .. وجلس أمير الشعراء أحمد شوقى أثناء جولته لتأييد صديقه الدكتور محجوب ثابت فى الانتخابات » .

قال عم « بيومى » :

ـــ « وكان يجلس هنا ـ أيضا ـ نسيم أبو خضر يوم أن انتصر على حسن القط » .

انفجر البعض ضاحكا .

قال شاب من جيلى ساخرا :

ـــ لم أسمع بهؤلاء القادة العسكريين » .

وعلق آخر :

ـــ لعلك لا تقرأ التاريخ .

قال جدى مطيبا خاطر عم بيومى :

ـــ لا تلق بالا يابيومى .. انهم لا يعرفون من هو نسيم أبو خضر .

ثم التفت الينا :

ـــ كان نسيم أبو خضر أديبا زجالا ، من ظرفاء عصره ، اشتهر بحضور البديهة وطلاقة اللسان فى النكت والقفشات .. وكان من أبرز فرسان فن القافية .. وكان فن القافية فى زمنه موضع اهتمام العامة ، يتابعون معاركه بين أساطينه .. وكان نسيم أبو خضر قد طبقت شهرته الآفاق ، فكان يعقد الجلسات فى هذه القهوة ، يستقبل فيها كل من يتحداه ، وتحت هذه الشجرة كانت كل جلساته .. وتراجع منافسوه ، الواحد تلو الآخر ، فلم يبق له ليتربع فوق عرش هذا الفن الا أن ينتصر على حسن القط فارس القافية فى بحرى ، وكان الآخر يعمل حسابا لليوم الذى يلاقى فيه نسيم أبو خضر .

حتى كان ذلك اليوم . فازدانت قهوة المعلم عبد الغنى بالرايات والثريات ، وفرش الرمل ! واصطفت الكراسى ، وحضر الزجالون والرواد .. وعقدت جلسه القافية .. وعند الفجر كان لواء الزعامة قد انعقد لنسيم ابو خضر ، فصحا أهل الحى على هياج أبنائه يعلنون انتصار نسيم .. وكان ذلك من أيام الحى المشهودة .

أدركنا عم « وهبه » ونحن نتهيأ للعودة ، وكان يجدّ فى السير معتمدا على عكازه .. عانق جدى وهو يقول :

ـــ لا تقلق من ناحية الشجرة .. لقد كان الدكتور عبد الله ابن الحاج جباره هنا .. لقد أصبح مدرسا بكلية الزراعة .. إنه يقول : إن الجذور سليمة .. الحاج حسن الجنايني حضر وقال ان كلام الدكتور صحيح .

قال جدى :

ـــ الأمل باق طالما سلمت الجذور .

اليوم الثانى

صحوت على صوت الجدل الدائر بين والدى وعمى .. كان عمى يعترض على قيام والدى بتهيئة الحجرة بالدور الأرضى لفراش جدى .

قال عمى معترضا :

ـــ انك تساعده بذلك على الخروج والاستهانة بأوامر الأطباء .

قال والدى :

ـــ لا فائدة من هذا الجدل .. فوالدنا سيخرج فى أى وقت يراه .. لقد رأى فى منامه أن طيرانه بعد أسبوع ، ولا داعى لإغضابه .

مرت لحظة سكون ، قطعها عمى قائلا باستغراب :

ـــ اكلمك عن أوامر الطبيب ، فتكلمنى عن الطيران ؟

قال والدى :

ـــ إن الطيران فى عرف أهل التصوف يعنى الرحيل عن عالمنا .

قال عمى فى اضطراب :

ـــ أهو قال ذلك ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال والدى :

ـــ نعم .. أفتراه يتوقف عما اعتزم لمجرد أن الأطباء يرون إلزامه الفراش ؟ سكت عمى ، ثم عاد يقول :

ـــ وأمينة هل نتركها بغير علم ؟

ـــ لقد كلمنى هو من نفسه فى استدعاء أمينة .

أحسست بالأسى .. تمنيت لو أكون حالما .. ولكنها الحقيقة .

الجد يرى رحيله فى المنام ، ورؤيا الجد لم تكذب من قبل .. يقولون إنه بلغ مرحلة الكشف .. بدأت الحقيقة تزداد وضوحا .. تفسير تصرفات الجد بالأمس ، لا تعنى الا شيئا واحدا ، هو أنه يشعر بقرب الرحيل .. أشياء صغيرة بدأت تتجمع أمام ناظرى : العصا العاجية ذات التلبيسة الفضية التى توارثها أجداده .. والمسبحة الكهرمان التى لا يخرجها الا فى شهر رمضان ليترحم بها على والده : لماذا خرجت فى غير اوانها ؟ لم يبق إلا أن أحرص على الاقتراب من الجد « السروجى » لأتزوّد من روحه الطيبة ما أمكن .

عندما حضرت عمتى « امينة » ، كان كل شىء واضحا فى وجهها .. دخلت غرفة جانبية وأخذت تبكى بصوت خفيض ، وعندما تمالكت روعها دخلت عليه والقت نفسها بين يديه وهى تقبلهما وتبكى :

ـــ أهكذا هنت عليك ياأبى ؟ لو عاشت المرحومة لشكوت اليها .

ـــ وهل كانت ترضى بما فعلت ! .. كدت تتلفين الفتى بتسترك عليه .

ـــ خشيت عليه من بطش أبيه .

ـــ الأب يجب أن يعلم بالانحراف فى الوقت المناسب .

ـــ الله ستر .. والولد صلحت حاله .

ـــ كيف حال ابنتك ؟

ـــ سعيدة مع زوجها وتنتظر مولودا .

ابتسم جدى وهو يقول :

ـــ عال .. عال .. بارك الله فى ذريتها .

على الفور قالت عمتى :

ـــ « سمير بالخارج .. هل تأذن له بالدخول ؟ .. إنه يؤدى الفرائض ومنتظم فى الجامعة أشار الىّ جدى بإحضاره .

كان اليوم شبيها بالأيام السعيدة التى كانت تمر على البيت قبل رحيل الجدة لولا ظل من الحزن لأحساسنا بقرب رحيل الجد ، واحساس الجد بافتقاد الجدة . وفيما عدا ذلك سار اليوم فى مثل روتين أيام التجمع فى البيت .. تخلل ذلك صراعات برئية بين أطفال الأقارب الذين جاءوا للزيارة ، وكان الجد يفصل فيها بحنان .

وفى بعض الأحيان يحدث ما يترقبه الجميع .. الذكريات . ذكريات الحج الى بيت الله الحرام وزيارة أهل الله .. ثم تهفو نفسه إلى مناسبات حضر فيها « محمد عبد الوهاب » و « أم كلثوم » و « يوسف وهبى » و « نجيب الريحانى » ، واللقاء مع أمير الشعراء « شوقى » و « محجوب ثابت » و « سيد درويش » . كانت ذاكرة الجد حديدية وهو يتذكر أصدقاء كل مرحلة من مراحل العمر . .

.. وعندما ما زال التوتر ، قامت عمتى « أمينة » بما كانت تقوم به من مشاغبات ، بسؤال الجد عن بعض تواريخ الحوادث ، وميلاد بعض الأشخاص ، وكان الجد كعهده فى الذاكرة .. دقيقا لا يخطىء .

اليوم الثالث

لم أكد انتهى من افطارى ، حتى دعيت لمقابلة الجد .. قربنى اليه باسما :

ـــ هل لديك محاضرات اليوم ؟

قلت لأسهل عليه الأمر :

ـــ لم ندخل بعد فى الجد .. والأستاذ المهم مسافر للخارج .

قال :

ـــ تهيأ للخروج معى .

قلت :

ـــ ولكن ..

قال بلهجة حازمة :

ـــ ليس هناك لكن .. لا تذكر شيئا عن الأطباء .

قلت مستسلما :

ـــ الى أين ياجدى ؟

ـــ سنذهب الى المرمّة

ـــ المرمّة ؟

ـــ نعم .. المرمة هى ورش وابورات السكة الحديد التى كنت أعمل بها وكان اصلاح الوابورات يتم بها .

تنهد جدى قائلا :

ـ كم رأت المرمة من رجال أفذاذ .. كان السائق والعطشجى رجالا من ذوى العزم ، فالوابرات كانت تسير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالبخار ، وكان الوقوف أمام فرن القطار عمل فوق طاقة الرجال العاديين .. رحم الله السيد رمضان .

قاطعته :

ـــ جد «حازم» زميلى ؟

قال :

ـــ نعم جد «حازم» كان عملاقا يتغدى بشاه ، وكانت قوته خارقة ، لم يستخدمها فى الشر ابدا ، وانما كانت قوته فى نصرة المظلومين .. كم أدب بخيزرانته الجنود «الانجليز» الذين كانوا يتعرضون للنساء .. وهو الذى أوقف الهريدى عند حده .

قبل أن أسأل ، استرسل جدى :

ـــ كان «الهريدى» فتوة القبارى .. بنى لنفسه دولة من الإرهاب ولكنه لم يفكر يوما فى تهديد الأعراض ، حتى كان اليوم الذى رأى فيه « نعمت بنت الكوديه » ، ذات الستة عشر ربيعا ، آية من آيات الجمال والترفع ، فجن جنونه . وزاد كلفه بها لتعاليها على كل الشباب وتمردها على كل من يحاول اخضاعها .. كانت تنظر اليهم جميعا .. بما فيهم « الهريدى » .. على أنهم صبيان يحومون حولها .. توسل اليها باللين تارة وبالترهيب تارة ، ولكنه لم يحرك فيها ساكنا .. ويوما عاد الهريدى مخمورا ، فتهجم على الحارة مناديا على « نعمت » .. وخرج « السيد رمضان » من بيته على الصراخ ، وكانت الموقعة التى لا تنساها « القبارى » .. وقف « الهريدى » ينظر اليه بهزؤ وسخرية ، وسلط عليه بعض الاتباع ، وانتهى الأمر بالصدام بين الاثنين .. صراع الجبابرة .. انتصر فيه الخير على الشر .. وخرج « الهريدى » من الحارة الى الأبد .. وانفتحت مغاليق قلب « نعمت » للسيد رمضان ، لتعيش معه زوجة صالحة حتى آخر أيامه ، لم يسمع أنها تمردت عليه يوما ، حتى ورى التراب ، فأدت فريضة الحج عنها وعنه .

مضيت مع الجد الى ورش الوابورات ، وكان حديث الطريق مليئا بالانبهار عن ذكريات رفاق العمل ، « السيد رمضان » ، و« محمد عمر » و« المصيلحى » ، كانوا جميعا رجالاً ، حتى تلاميذ الجد ، ومنهم من خرج على المعاش .. كانوا صورة للرجولة والشهامة .. ورأيت منهم من بقى فى الخدمة ، كأنهم لمحة من جيل الجد ، ورأيت منهم اكبارا له عزز انطباعاتى عن علاقات الجيل الذى عاشه جدى . كان جدى يرى فى كل ركن من أركان الورشة ذكرى عزيزة .

هنا كان يجلس « محمد عمر » وهذه هى حجرة المصيلحى حينما أصبح رئيسا للمسّاحين بعد « تشريكه لضعف بصره .. وهذا مكتب المهندس الانجليزى « سبنسر » .

وفى طريق العودة كان جدى يبحث ببصره عن شىء فى الحديقة .

قلت :

ـــ هذه حديقة حديثة ياجدى !

ـــ أعرف ذلك .

استقر نظره على صخرة كبيرة بين الأشجار .

قال جدى :

ـــ لم يستطيعوا أن يحركوا هذه الصخرة ، ولكن « السيد رمضان » استطاع تحريكها عشرة أمتار وحده !

قلت لجدى :

ـــ وهل كان للجميع قصص حب مثلما كان « للسيد رمضان » ؟

ضحك جدى وقد فهم مقصدى :

ـــ بالنسبة لى ، لم تتح لى فرصة الحب الذى تعرفونه ، فقد عرفت الحب ساعة أن رفعت خمار عروسى ـ جدتك ـ فى كوشة الزفاف .. كانت يدى ترتجف وأنا أرفع الخمار .. كنت أتمنى وأدعو الله أن أراها جميلة . وخفق قلبى لرؤية وجهها .. كان كالقمر وقت تمامه ! وزاد من جماله هالات الحياء التى كست وجهها .

أما قبل ذلك ، فلم أكن أستطيع أن أرفع نظرى عن الأرض ، وأنا أمر بحارتنا . كان سلطان أبى ـــ رحمه الله ـ قويا ، وكانت شخصيته مهيبة ، حتى ليكاد قلبى يكف عن الخفقان عندما أسمع صوته ينهرنا . كان يخبرنى وأنا صغير بأن العصافير تقول له كل شىء ، وعندما كبرت أصبحت أظن انه يستطيع أن يكشف عن خبايا نفسى من أول نظرة دون حاجة إلى العصافير .

كان أبى شيخا من أهل الطريق ، وكان معروفا بالصلاح ، والزمنا صيته أن نلزم طريق الرشاد .

صمت جدى برهه ، ثم استطرد وكأن صوته يأتى من واد سحيق :

ـــ لقد شاء الله أن يأتى يوم جدتك قبل يومى ، فلم تكن لتتحمل يوما واحدا بعد رحيلى .

اليوم الرابع

لم يكن لخروجنا اليوم ما يبرره .. فالجد قد أراد مفاجأة الأسطى « رجب » الحلاق فى دكانه وكان الأسطى « رجب » قد تعود أن يأتى إلى المنزل فى مواعيد حلاقة الجد ، فلم توقفه توسلات الجد بأن يخفف عن نفسه المشقة بإرسال صبيه .. كانت الصداقة بينهما وطيدة ، وكان الأسطى رجب يحرص على البقاء معه أطول فترة ممكنة ، والجد مستمتع لا يدع لحظة تفوته دون أن يجتر معه ذكريات عزيزة .. فاذا انتهى الأمر بكلمة « نعيما » قالها الأسطى « رجب » بحب صادق ، وتلقاها الجد بأسارير منبسطة ، وكأنها ليست الفاظا روتينية . كنت قد قضيت مساء الأمس ـ حينما خلوت الى الجد ـ استزيده من قصص الفتوات التى بهرتنى ، وجاء فى الحديث ذكر الأسطى « رجب » عده مرات باعتباره شاهد عيان على الكثير من حوادثهم .. وخيل الى أن ذلك هو الذى شحذ فى نفس الجد الرغبة فى زيارة دكان الأسطى « رجب » ، أو لعله أيضا الحنين الى دائرة المكان الذى يتوسطه الدكان .

كان الدكان بجوار بورصة البصل التى اشتهرت بقهوة الاجريجى ، وكانت ملتقى جميع الطبقات ، من تجار البصل وتصدير الحاصلات ، وعمال السكة الحديد الذين يهربون من أعمالهم . وفى المساء كانت ملتقى الموظفين والمثقفين ، وكان كبار الخواجات فى الماضى يرتادونها لابرام عقودهم والقيام بأعمال البورصة . وكانت بجوارها قهوة المعلم « ابراهيم عطيه » التى اضمحلت واقتطعت منها أجزاء كبيرة تحولت الى « بوتيكات » بعد أن مات صاحبها .

القى الجد عليها نظره رثاء ، وقال :

ـ كانت هذه القهوة مقصدا لكبار المعلمين ، وكان صاحبها ـ رحمه الله ـ فريدا فى رجولته ، كلمته لا تنزل الأرض !

عندما اقتربنا من محل الاسطى « رجب » توقف جدى قليلا ، ثم أشار بإصبعه :

ـ هنا قتل الرومى وهو يهم بقتل الحاج « محمد حموده » .

سكت قليلا ثم قال :

ـ عمك « رجب » شاهد الحادثة .

تساءلت :

ـ وهل كان الحاج « محمد حموده » فتوة ؟

قال جدى :

ـ الحاج محمد حمودة كان رجلا صالحا .. كان مقاولا وكان يفتح بيوتا كثيرة .. كان يعمل بالميناء مقاولا من الباطن مع أحد الخواجات ، وعندما اختلف معه لأنه لص وانسحب من العمل توقف العمل تماما فى رصيف الفحم .. واضطر أصحاب المصلحة أن يتعاملوا معه مباشرة ، خاصة بعد ما علموا حقيقه الخلاف .. ولكن الخواجه لم يسكت .. دبر للانتقام من الحاج « حموده » ، فاتفق مع الرومى على قتله .. وتربص الرومى للحاج « حموده » .. وعندما رفع يده بالسكين لقتله لمحه الحاج « حموده » وضربه بسرعة خاطفة بعصاه الثقيلة ، فأرداه قتيلا .

اليوم الخامس

ـ تأهب للخروج .

قالها جدى بلهجة آمره صارمة .

تساءلت :

ـ إلى أين اليوم ياجدى ؟

قال بحزم :

ـ ستعرف عندما نذهب .

وفى الطريق همس إلى جدى كأنه يفضى بسر خطير :

ـ سنزور شيخى .

كنت تواقا لرؤية الشيخ .

كان الطريق طويلا وشاقا ، ولكن جدى كان يزداد تألقا وقوة مع اقتراب موعد النبوءة . عندما وصلنا الى مكان الشيخ ، اقترب جدى من خلوته على أطراف الأصابع وفعلت مثله ـ نقر جدى على الباب بهدوء ، حتى أتاه الإذن .

ـ السلام عليك يامولانا .

طياه الشيخ بابتسامة انارت وجهه وأشار الينا بالجلوس .

ـ معذرة للتطفل عليك يامولانا .

ـ لا عليك ياولدى .

صمت الشيخ هنيهة ، ثم عاد يقول لجدى :

ـ أحان الوقت ؟

ـ بعد الغد أطير ـ ان شاء الله

أشرق وجه الشيخ وهو يتمتم :

ـ مبارك لقاء الحبيب .. طوبى لك !

استطرد الشيخ وكأنه يحدث نفسه :

ـ أوحشنى مولاى « عبد الله » : والأحبّة !

ـ يصل سلامك يامولاى .

سأل الشيخ جدى :

ـ أتزودت ؟

ـ بخير الزاد يامولاى

قرأ الشيخ :

ـ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى

بكى جدى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال الشيخ :

ـــ أنادم على فراق الدنيا ؟

ـــ أبكى ذنوبى .

ـــ كيف ترى الدنيا ؟

ـــ كل ما عدا الحبيب زيف .. وكل ما مر فى غير طاعته باطل

ـــ الاّ بورك فيك وفى ذريتك

سادت فترة من الصمت الجليل .. تشاغلت بالعبث فى قش « الحصيرة » التى نجلس عليها .. نهرنى جدى .

قال الشيخ باسما :

ـــ دعه .. لقد فعلت مثل ذلك فى أول لقائى بمولاى .. سيكون هذا إن شاء الله صالحا . اسعدتنى نبؤءة الشيخ .. قام جدى مستأذنا ... عانق شيخه .

قرأ الشيخ :

ـــ ياأيتها النفس المطمئنة .

وقرأ :

ـــ ان الابرار لفى نعيم .

خرجت من عند الشيخ ، وكأن شيئا قد أنار بداخلى .

اليوم السادس

استدعانا جدى الى حجرته الأرضية . وأصر ان يدخل عليه جميع العائلة لا ينقص فرد واحد . تحلقنا جميعا حول سرير الجد .. صامتين وقفنا .. كان الصمت يضفى على الموقف جـلالاً ورهبة » ، وكان الجد ينظر الينا نظرة المستزيد من شىء يحبه قبل الرحيل .

لم يكن أحد ليستطيع قطع هذا الصمت ، حتى يقطعه الجد بكلماته . وكنا جميعا ننتظر بلهفة ما سينطق به الجد ، وعيوننا تتعلق بشفتيه الساكنتين .

قطع جدى الصمت الجليل قائلا :

ـــ أوصيكم بطاعة الله واحذروا الشقاق .

بكت عمتى « أمينه » فنظر اليها جدى لائما ، فتوقفت عن البكاء . تناول جدى عصاه العاجية ذات التلبيسة الفضية ، وناولها لوالدى .

قال جدى :

ـــ هذه عصاى ، عن أبى ، عن جدى ، نتوارثها منذ أزمان بعيدة .. هى لك فأنت أكبر الأبناء ثم لابنك أكبر الاحفاد من بعدك ... هذه العصـا هى كل مـا تركـه أبى لى ، وهى كل ما أتركه لكم .. حافظوا عليها واحذروا أن تضيع منكم .

قال لى أبى ـ رحمه الله ـ قبل أن يرحل : « اذ ضاعت منكم هذه العصا ضعتم » ولم اكن افهم كلامه وقتها .. والآن افهمه جيدا .. هذه العصا هى إرثكم الحقيقى » . سكت جدى ، ولم ينبس أى منا بكلمه

قال جدى بصوت متهدج :

ـــ تستطيعون الآن أن تنصرفوا .

خرج الجمع متثاقلا حزينا ، وكنت آخرهم .. قبل ان اغلق الباب ورائى ، نادانى جدى :

قال :

ـــ نـاولنى المصحف .. وأغلق الباب وراءك ولا تـدع أحدا يدخل على . ناولته المصحف ، ثم خرجت مغلقا الباب ورائى .. تسمرت بجوار الباب لا أدرى ماذا أفعل .. تناهى الى سمعى صوت جدى متهدجا بالبكاء ، وهـو يرتـل القرآن ، كـأحلى ما سمعت من ترتيل .

اليوم السابع

لم أنم ليلتها .. استولى القلق على كيانى .. أتكون النهاية ؟ أحقا سيموت جدى ؟ فى الصباح يبدأ اليوم الأخير .. اخترق أذان الفجـر مسامعى .. أوقف سيـل الخواطـر المتدفق فى رأسى .. أحسست بنشوة غريبة وأنا أسمع صوت تحركات جدى وهو يستعد لصلاة الفجر .. سمعت صوت باب المنزل يفتح ويغلق .. لقد ذهب اذن إلى المسجد ! . خطر ببالى أن اذهب خلفه ، ولكننى لا أعرف لماذا تقاعست أو خفت .

صليت الفجـر فى المنزل ، وظللت أنتظـره .. سمعت باب المنزل يفتح ويغلق ثـانيةً .. لقـد عاد .. استـولى على القلق ثانية .. ظللت فى خواطرى حتى فـاجأنى ضـوء الشمس .. تسللت الى غرفه جدى .. وبدأت أطرق الباب ....

اسكندرية : خالد السروجى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الغنى السيد

عندما تغرب الشمس وقبل أن يحل الظلام يتناهى الى الأذان صدى همهمات متضاربة من خلف مقابر عمود السوارى .. وفى الليل يستكين كل شىء وتنام مأوى الطوبجية تحت الذكريات المؤلمة .. ومأوى « عبد الباقى فراج » — رحمه الله — تتسرب من بابه المفتوح نصف فتحة بقايا من أشعة نصف القمر .. على وجه أرملته يكتسى نصفه المواجه للباب الضوءُ الفضى ليكشف عن مسحة جمال هادئة لا تزال رغم ألم السنين وفراقها للرجل وهجران البنت والولد وطقوس مواسم التسول تحت ظلال أسوارالعمود .. لم يكن الخميس الأول من رجب فى كل عام هو الأول أو الأخير .. أصبح الآن كل خميس من كل أسبوع يحمل نفس الطقوس الموسمية .. الزحامُ الفوضوى .. الأطفال الشاردون .. الحرامية .. الشيوخ وأنصاف الشيوخ داخل وخارج العمود .. باعةٌ كثيرون وأشباه باعة .. متسولون وأثرياء يرتدون ما يروق لهم من ثياب ممزقة .. أصحابُ سيارات وأصحابُ عمارات يضعون الجبس فوق ذراع أو قدم تشهر التسول تحت السور الممتد وعند المداخل ..

فى الخارج توقفت عربة أمام المأوى .. أدركت « عزيزة حمدان » أنها العربة الراما .. احدى السيارتين اللتين تمتلكهما .. إنها تعرف صوت إطارها وصوت المحرك .. على سطح الباب المواربِ تتابعت دقتان خافتتان تنمان عن أدب الطارق .. هتفت بصوت خفيض ـ أدخل ..

انفرج الباب قليلاً فاستبان المأوى وقبل أن يدلف الطارق سبقه ضوء القمر .. عدلت « عزيزة » من جلستها تستقبل « رشاد » سائق الراما .. أشارت له بيدها اليمنى الى مقعد قريب .. قال فى أدب جم ناظراً الى الباب المفتوح : —

— معذرة .. الوقت متأخر

من المرآة المواجهة لمحت الأرملة جزءاً من أحد فخذيها ناصعاً فعّدلت للمرة الثانية من جلستهابسرعة فى خجل شديد .. نظرت بدقة فى وجه السائق لتتيقن من نظراته .. تأكدت من تأدبه فهو دائما يغض البصر .. كان « رشاد » يستقل « الراما » مجرد أن تشرق الشمس ليبدأ عمله حتى بعد منتصف الليل بساعة .. رحلةٌ مكررة دائمة من كرموز إلى محطة مصر والعكس ضمن عشرات السيارات الدايهاتسو والراما والداتسون .. كانت صاحبة السيارة لا تعبا كثيرا بمحاسبة السائق لكنه عوّد نفسه على محاسبتها يومياً قبل عودته إلى المنزل فى نهاية الليل .. أما السيارة (التاكسى) الأخرى فإنها تجوب شوارع اسكندرية كلها .. يستقلها أكثر من سائق .. وهى تعرف أنها تدر عائداً أكثر من تلك الأجور

المتفاوتة غير المنتظمة .. انهم يحاسبونها كيفما يتراءى لهم فى أى وقت من أيام الأسبوع .. لم يكن يهمها سوى أن تعمل تلك السيارة الفيات القديمة بلا توقف فهى قد حققت ثلاثة أضعاف ثمنها . ولم تكترث كثيراً لحالتها فهم رغماً عنهم يقومون بإصلاحها تباعاً .. لأنها الملجأ الوحيد لرزقهم ولم تعد هى تبالى بالعائد الآن بعد أن حققت من ورائها أرباحاً طائلة .. إنها تستطيع أن تبيعها بنصف ثمنها على الأقل لكنها ترفض فى داخلها إغلاق باب رزق .. تستطيع أن تتخلى عن هذا المأوى .. عرض عليها « رشاد » أكثر من مسكن بكرموز وغيط العنب وجبل ناعسة .. بإمكانها شراء كل ما عرضه عليها غير أنها تشبثت بالجدران التى يفوح منها عبق المرحوم .. تحت سقف تلك الجدران ولدَت « السمرة » .. وفوق ارض تلك الجدران حبا « طارق » تزوجت « السمرة » واستقرت بليبيا .. وتخرج « طارق » من الحقوق وأصبح محامياً ثم تزوج بدوره .. ومات « عبد الباقى فراج » وثوى هناك .. لا شىء إلآن سوى المأوى والوحدة .. تأقلم كلاهما بالآخر .. توحدا فى زمان ومكان واحد .. ازدادا التصاقاً .. لم تشعر يوماً بأن هذا المأوى قد أعجز كيانها رغم الأحداث والمتغيرات الكثيرة والوقائع المؤلمة .. ولم يكن عرض سائق الراما لها هو العرض الأول .. من قبل عرضت عليها « نجية فراج » — أخت المرحوم — الهجرة .. وحاول ابنها المحامى مراراً أيضاً .. إنه يتأفف من زيارتها فى ذاك المأوى وبرغم أنه الابن والسند وبرغم تعرضها للتسول تحت أسوار العمود وبرغم تغيرات الزمن والفصول والمواسم .. فإن ظلال حوائط المأوى عهدت عليها عهداً صادقاً .. تحت ظلال ذاك المأوى راودها حلمٌ تكرر مئات المرات .. دائما تجد نفسها ازاء هذا الحلم دون الأربعين انه العهد الدائم بأن يتوقف الزمن حيال عناصر الجسد .. لا تجاعيد .لاضمور .. لا شعر أبيض بدلا من الشعر الأسود ..

ذات صباح فأجأتها رسالةٌ من ليبيا .. أكدت لها « السمرة » من خلال الرسالة زيارة قريبة .. منذ وفاة « عبد الباقى فراج » لم تفكر ابنتهما فى الزيارة واكتفت برسالة عزاء مختصرة .. « السمرة » لم تنجب حتى الآن ورسائلها القديمة تؤكد سعادتها هى وزوجها بأمر الله .. هذا الصباح تؤكد البنت زيارتها القريبة فى رسالة مطولة .. راحت الأم تعد المأوى أعداداً لائقاً بالزيارة وغمرتها فرحة مشوبة ببعض قلق .. لِمَ تلك الزيارة المفاجئة ؟ ! .. لم تذكر ابنتها الأسباب الحقيقية .. هل تغيرت المشاعر هناك كما تغيرت الأحداث هنا ؟ .. هل تمردا بدورهما على الواقع والقدر الإلهى وأصبح العقم يهدد كيانهما ؟ .. توالت الأيام .. والشهور .. ولا زال المأوى مجهزاً لأى زيارة دون سابق تنويه .. ولكن لم يفد شبح أى زائر .. أرسلت أكثر من استفسار ولكن لارد .. قال لها « رشاد » .

— بالإمكان أن نبلغ الأستاذ « طارق» .

أطرقت الأم فى كبرياء .

— لا لزوم ..

قال « رشاد »

— إنه الأخ والإبن وسيقلق .

قالت فى إصرار

— طواحين العمل لا تقلق أبداً .

أشعل لها سيجارة جديدة .. جمعتهما فترة صمت .. لا أمل فى أحد يزورها .. أطلقت من أعماقها دخاناً كثيفاً ثم طحنت بقية السيجارة فى قاع المطفأة .. تلاقت نظراتهما من خلال الدخان .. توترت النظرات قليلا وسرعان ما هربت فى اتجاهات شتى .. أصطدمت نظراتها بالحوائط .. اصطدمت نظراته بالسقف .. تلاشى الدخان عبر الباب .. ود فى داخله أن يلحق به مجتازاً الباب الموارب لكن دخان الشاى ما زال يتصاعد من الكوب .. يرغمه على الاتزان .. من طرف عينيها الكاحلتين أبصرت فى نظرة سريعة الوجه المحتقن مدفوناً بكوب الشاى .. على بشرته تتصاعد حمرة البنت البكر .. علها المرة الأولى التى لم يغض فيها البصر .. انفلتت رغماً عنها ضحكة أنوثية رنانة لم تستطع كتمانها .. راح يرتشف لهيب الشاى فى تلاحق .. أشعل سيجارة .. نظر فى ساعته وافتعل دهشة مصطنعة يبرر بها تأخيراً وهمياً .. وجه خطوات بطيئة نحو الباب مستأذناً للخروج وما ان غادر مأوى صاحبة الراما حتى تسارعت خطواته وعندما احتواه فراشه ظل ساهراً يحدق فى اللاشىء .. أدرك أن الليل يخبّىء فى أعماقه عينين آسرتين .. للإنسان عمر محدود وللجمال عمر مطلق .. راودته رغبة فى سيجارة لكنه نسى سجائره هناك .

أضاءت مصباح المأوى الفلورسنت الدائرى .. توهجت المرآة المزينة بإطار خشبى مذهب .. راحت تتأمل فى الأنثى الكامنة فيها .. للمرة الأولى تتنبه لوجود المرآة .. تحت ضوء الفلورسنت الفضى لاح نهدان متوتران تنتصفهما هالتان خائفتان .. تورّد وجهها خجلاً .. ترددت فى التفرس فى بقية جسد الانثى الماثل أمامها .. أنهت ترددها وبدأت بظلال كحل العينين العسليتين .. انها نفس ظلال الليل الدافىء .. استدارت نصف استداره فتراءى الردف المتماسك بلا ترهل .. تناولت من الدولاب قميصاً ورودياً شفيفاً .. سارت لخطوات قليلة تتعمد سيراً متراقصاً انتعش له كل عضو .. تعمدت أيضاً إطلاق نفس الضحكة الرنانة .. اشعلت احدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سجائر « رشاد » .. راحت تتأمل جمرة السيجارة المتوهجة وقد ثبتت فى رأسها فكرةٌ لن تحيد عنها .

فى اليوم التالى وبعد منتصف الليل دلف الى الداخل من الباب نصف المفتوح .. ناولها كالمعتاد أجرة الراما الجاثمة بالخارج وسيجارة .. قالت تذكّره :

ـــ نسيت سجائرك بالأمس .

بنفس الخطوات المتراقصة ذهبت الى مخدعها وأتت له بالعلبة من تحت الوسادة .. جلست قبالة المرآة التى أفصحت عن الجزء الناصع .. لم تسارع فى العدول من الجلسة الراقدة .. استبان جزءاً أكبر اكثر نصوعاً .. تلاقت نظراتهما .. على غير ما تتوقع ظلت نظراته معلقة بظلال الليل الدافىء .. قالت فى تدلل .

ـــ سأجهِّز الشاى ..

ظلا يرتشفان من اللهيب طوال الليل وفى ساعات الفجر الأولى تراءت من الحائط عينان حمراوان تحدقان فيهما بغضب .. ارتدت « عزيزة حمدان » ملاءة الفراش على الفور .. ارتدى « رشاد » بقايا ملابسه .. كانت عينا « عبد الباقى فراج » تجردهما تماماً .. قطبت جبينها وأشاحت برأسها متجنبة وخز النظرات النارية من الصورة الكبيرة المعلقة بالحائط .. عادت حمرة البنت البكر تتصاعد فى وجه السائق المزق .. أولى ظهره للصورة الحارقة .. تبادلا نظرات مترنحة فاشتعل كيانه أكثر .. أحس بصهد جدران المأوى يؤججه تماما .. غادر المأوى مهرولاً قبل أن يصبح رماداً .. كانت « عزيزة حمدان » تحترق وحدها بين الجدران .. صاحت فى وجه الصورة .

لم أنل منك سوى أيام شقاء !

صاحت أكثر

ـــ لم أنل منك سوى أبناء جاحدين .

اقتربت من الباب الموارب وأحكمت غلقه فى وجه الفجر .. وفى الخارج ظلت السيارة « الراما » بلا سائق .. راحت تنظر فى الحوائط الهشة المحيطة بها .. من نافذة المأوى طالعها سور مقابر العمود ..

تجمدت نظراتها على حائط السور الممتد .

الاسكندرية : عبد الغنى السيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الساعة

محمود عبده

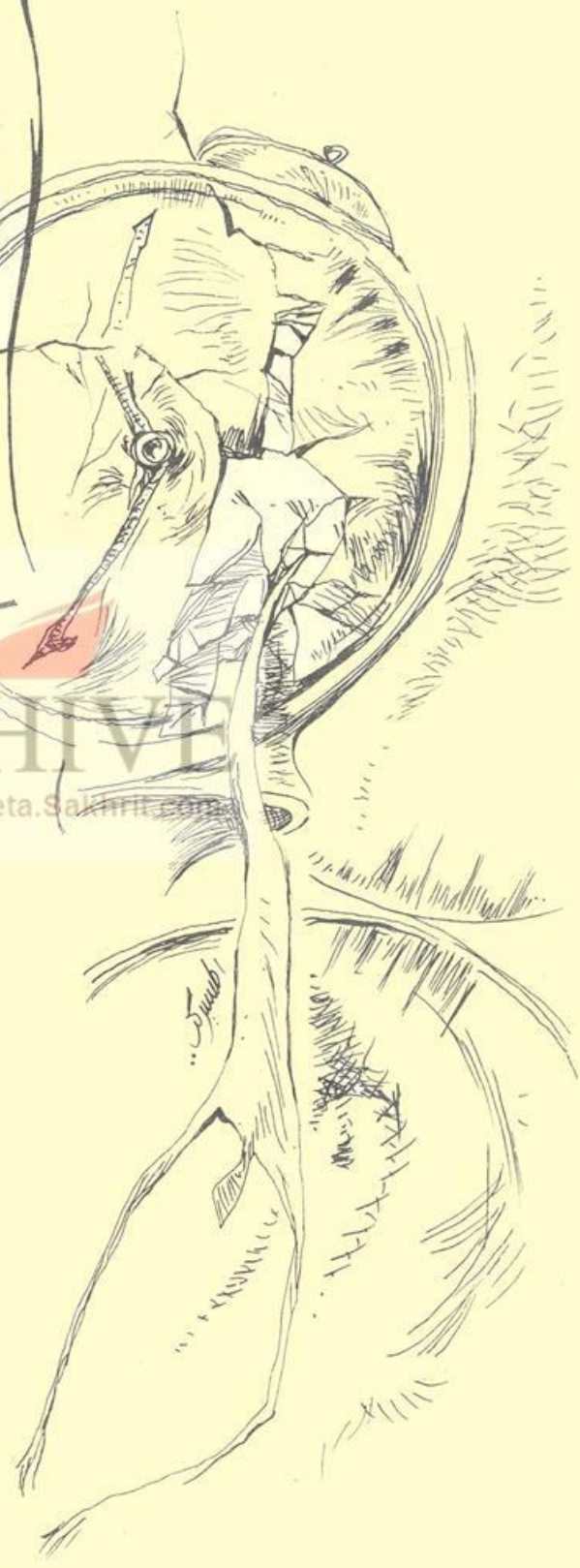

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضبط المنبه ، الساعة الخامسة ، وغط فى نوم عميق .. دقة .. دقة .. المنبه يعد الزمن .. يصدر صوتاً مدوياً .. ينتفض .. يمد يده بسرعة وثقة .. يضغط على الزر .. يسكت الصوت .. يكشف عن تمتمات المارة .. صوت سيارات .. ضجيج عمال الورش .. يفتح عينيه بصعوبة .. ضوء العاشرة يملأ الحجرة .. ينظر إلى المنبه .. أيقن أنه نبهه فى العاشرة بدلاً من الخامسة .. وتسبب فى تأخره عن العمل وخصم يوم من راتبه الشهرى ، « ولفت نظر » من رئيسه وتأخر العلاوة .. قذف بالملاءة الملقاة على جسده وأمسك بالمنبه :

— خربت بيتى !

المنبه متصلب بين يديه .. ترتفع دقاته الخائفة بانتظام متحجر ..

يخرج من المنزل إلى الحارة الضيقة .. ينحرف يميناً ويتطرف .. ينحرف يساراً ويتطرف .. يدخل حارة مسدودة .. وقبل أن يصل إلى السد وعلى جانب الطريق يدخل دكان عم « سيكو » الساعاتى

.. يرفع عم سيكو رأسه ببطء .. مغمض عيناً .. والعين الأخرى عليها عدسة سوداء .. أطراف أصابعه ممسكة بملقاط صغير .. أمامه حقل من التروس والمسامير .. أشياء لامعة لا تراها إلا إذا اقتربت من المصباح الكهربى الكبير الذى أمامه

— أتركه ، وعد بعد يومين

— اضبطه الآن .. لا استطيع التأخر أكثر من ذلك .. أرجوك

— على عينى

... يكشف عن تروس سريعة الحركة وأخرى تبدو ساكنة .. أشياء دقيقة لا حصر لها .. جعل يعبث بها لبضع دقائق

— المشكلة انتهت .. سوف يدق فى الميعاد

— أشكرك .. من غيرك ماذا نفعل !

مد يده فى جيبه .. بادر عم سيكو : جنيهان فقط

يتمتم بكلمات لا يفهم منها إلا الحسرة على ضياع أجرة يوم عمل كامل .. ضبطه الساعة الخامسة .. استلقى على سريره ونام باطمئنان . سمع المنبه يدق ـ فى زمان الأمس ـ جلس على السرير فى صمت .. تتلاطم بداخله الأفكار .. ماذا يفعل الآن ؟ أصبح يشك فى كل شىء

أيعتمد على نفسه ؟

المفك من يمينه

والمنبه فى يساره .

بحذر .. يدير المفك ليسحب المسمار وينفتح الغطاء الخلفى .. (هكذا كان يعمل عم سيكو) .. هل كان يصنع معجزة ؟

يتناول الملقاط .. (هكذا كان يلتقط عم سيكو)

والآن يعبث كما كان يعبث عم سيكو ..

يحاول إدارة الترس .. يدور الترس .. يدور معه .. يتوه بين التروس .. يدور حول المسامير .. يخرج من دهليز إلى آخر .. يباغته الزمبرك ويدفعه بعيداً .. بعيداً ... ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ التروس والعقارب تدور للخلف ترجع به بعيداً بعيداً .. يشعر ببطء أنفاسه .. بالجوع الشديد .. مد يده ليمسح عرقه .. وجد لحيته تملأ وجهه .. طويلة .. طول الزمان

.. خرج إلى الخلاء ومعه عصاه .. لمح أرنباً يجرى .. ضربه ضربة واحدة .. سلخه مستعيناً بمعدن حاد .. نصب الموقد من الحجارة .. القى قطع الخشب .. جعل يشوى الأرنب .. أكل حتى الشبع .. الشمس الساطعة فى منتصف السماء ، دفعته إلى ظله ، يقيسه بعينيه : ـ انتصف النهار ذهب إلى ظل الشجرة : ـ الآن يمكن أن أغفو بعض الوقت

(تن .. تن .. تن .. تن .. تن)

نهض باحثاً عن مصدر الصوت .. خمس دقات .. حاول جاهداً أن يتذكر متى وأين سمعها .

الجيزة : محمود عبده على حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم تعد لى رغبة فيه ..

ربيع عقب الباب

طائراً كان (مسعد) يحلقُ بنا ، كاشفاً الغطاء عن أوعية مَلأى بآلاف الحكايات يرويها بلا توقف ، يطالعنا بما يخامرُ الناس ، واشياً بأسراره كأنما ينهلُ من فيض زاخر . وكنا نطوّقُه مبهورين ، يجتذبنا التطلعُ ، محدقين فى صفحة السماء نسرحُ وراء سحبها الراكدة وشمسها المنفلتة فى بحر الزوال المفعم بالوجد والضنى ، فنرى انفسنا بعيداً كطيور محلقة مخترقين المدى المثخن . وهو يمتطى عقولَنا كأراجيح ، واشماً على نواصيها أحلامَ الحارة المحققة .. والمنهارة أيضاً ، نتنشقها فإذا هى واقعٌ حىّ أمام أعيننا ، وكأن الأحداث تتشابه علينا ، وهى فى الحقيقة ما سبق أن كشف ستره (مسعد) ذات ليلة .

كان علينا ترقب حدوث مصيبة اليوم كما أنبأنا .. رُحنَا نتعجله ليكشف لنا كُنهها ، ندّتْ عنه آهةٌ وتنهّد قائلاً : « انا شايف حاجة مسروقة .. من الناحية دية » ، وخطوطُ وجههِ تضيفُ إلى سنه الصغيرة عشرات من السنين ، تتقاطعُ وقوالب الطوب الأحمر الجامدة التى تركتها الشمس تُقاسي حُزناً فريداً . وحين أشارَ بإصبعه فى اتجاه دارنا دَوّى صراخُ جدتي ــ الذى نميِّزه جيداً ــ مزلزلاً فرائصنا .. على الفور توقعتُ ــ متناسياً نبوءة مسعد ــ أن بهيمةً ما أصابها مكروه ، فما ارتفعَ صراخُ جدتى منذ نفقَت جاموستنا فى العام الماضى .

ركضنا مدركين الجدّة . روّعتنا حالُها . أحطناها بوجوه حزينة بائسة ، ونساءُ الحارةِ ملحاتٍ رُحْنَ يسألنها : « فيه إيه يا خالتى ؟ » . هالنى صوتُها للمرة الثانية . شرعتْ تقبضُ على حفنات التراب ، تعفرُ بها وجهها ورأسها معدّدةً ، ومن بين دموعها اللاذعة ولولتْ : « مهر البنت .. وشبكتها .. يا سنة سودة ! يا سنة سودة ! » . وظللتنى عتمةٌ كريهة كانت تضيقُ .. تضيقُ ، وتبتلعُ كلَّ شيءٍ فى صحن الدار ، فلا أرى شيئاً ، ولا أسمع إلا دموع المأتم وعديد الندابة .

كان الكبار وشيكى الوصول ، يخدمون الغيط البعيد للذرة ، ولابد لنا من عمل شيء وبسرعة ، كى لا تتعرض جدتى لموقف لن تُحسد عليه أمام تهكمات عمى الكبير . من فورنا اتجهنا إلى حجرتها ؛ فالأشياء الضائعة كانت بدولاب الجدة المتهالك .

طفقنا نقلب الأشياء ، نفضّ محتوياته قطعةً قطعة .. أصبحتْ الحجرة فى حالة يُرثى لها كأنها حرثتْ . أيادٍ كثيرة نبشت أصابعها بحثاً عن الكنز الضائع ، كلما انتهينا عدنا مرة أخرى ، وفى كلِّ مرة أشهدُ عمى يقهقه عالياً مرقصاً إصبعه : « ألا وانخلى يام عامر ! » . أنكمش لائذاً بأقرب ركنٍ ، وشكٌ عجيب يحيرُ قلوبنا فيما نحن صانعوه ، فنعاودُ الكرّةَ يحدونا نفس الأمل ، أن نتغلب على الحقيقة التى تصورناها وهماً ثقيلاً حتى آخر لحظة .

مشاركات الجدة ناحتُ النساء ، فانفطر قلبى ، واختبأتُ فى المتبن ، اختنقتُ فعدوتُ مصدوراً ، بينما الجدة ترسلُ نظرات شزراء ، متابعةً حركة زوجة عمى الأوسط ، هذه المكتنزة .. المترهلة .. المشكوك فى تصرفاتها ، غمغمتْ كاشفةً رأسها عن ليل أسود وندّتْ عنها آهةٌ . استطالتْ آهتها . بكيتُ على بكائها .. وغيظٌ متنام من الولد (مسعد) يخنقُ صدرى .. هو الذى « فقّر » علينا ، وأطلق شياطينه سارقةً أشياء عمتى، كان سبباً فى حدوث هذه الكارثة . قررت ألا العبَ معه ثانية ، ولا أستمع لكلامه الذى يأتى بالمصائب .

احتوانى نوعٌ غريب من عدم الفهم ؛ فدولاب الجدة جاء الغجرىُّ وصنعَ له مفتاحاً خصيصاً للأشياء الغالية ، والمفتاح مع عمتى العروس ، التى أقسمتْ بتوجع أنه ما فارق صدرها ، ولطمت وجهها بقسوةٍ ، وهى تدبدبُ كفرسٍ حرون .

غرقت وسط تيهٍ من الأفكار ، وكلمات (مسعد) تعودُ تعبثُ برأسى محلقةً بى فى رحابة عالم سحرى ، تتناهى إلىَّ ثرثراتهن كأنها آتيةٌ من بئر سحيقة ، وإذا برائحة زكية تهاجمنى ، ناشلةً كيانى مما أنا فيه ، وتسرى مذيبةً جمود ذاكرتى .. أطلّتْ برأسها طاغيةً تلك الليلةُ منذ أسبوع حين أتى حاملاً كيس الموز . كان الكيس كبيراً منتفخاً تحيطُ به نحلاتٌ كهالةٍ تواكبه ، ورائحةُ الموز تتسلل مهيجةً كل الحرمان والبؤس مُسيلة لعابى . تمنيت أن يجبر الله عريس عمتى على الرحيل ومفارقة الدار ؛ فبرحيله فقط أستطيع الحصولَ على واحدة ، أما قبل ذلك فلا ، ويكون على حدُّ قول جدتى : « يا دى الفضايح ! يقول إيه ؟ محرومين ! » .

أحسست بقوى خفية تجذبنى .. تسوقنى تجاه الحجرة التى يرقد فوق سريرها كيس الموز ، قاومت بشدة ؛ فالأكف الخشنة ـــ أكف الكبار ـــ كانت تلوح فى وجهى . نحيت حبى الطاغى للموز جانباً ، متلهياً بمراقبة إخوتى . ناوشتنى الرائحةُ . ضبطت نفسى أحصى الأولاد فى الدار ، وأخفف من ضغط الخوف : « هيّا .. من سيعرف أنه أنت بالذات ؟ كثيراً ما تضيع أشياء عمى الصغير ـــ أقلامه وكتبه ـــ فأتّهمُ بسرقتها ، وأنال علقة ساخنة جزاء فعلة لم أرتكبها . رائحة الموز تناديني ، والرغبة تطيحُ بكلّ مخاوفى ، أنساق .. أتوقف حائراً برغمى . عندما ألفيت الدار وقد خفتتْ بها الأصوات ولجتُ الحجرة والظلام يشملها ، خطوتُ مرتبكاً خائفاً ـــ هذه المرة من الأشباح والعفاريت ـــ لكن حبى للموز كان أقوى من عفاريت العالم ، ولابد من واحدة .. موزة ولو كان ثمنها علقة من عمى الكبير .

بجانب السرير العالى شددتُ قامتى ، وبيدٍ مرتعشة رحت أنقبُ عن الكيس فلم أجد شيئاً ، والرائحة تفضح وجوده . تقهقرت لأستجمع قواى ثانية ، ويكون حظّى من الصيد جديداً ، انحرفت قدماى تحت السرير ، اصطدمتا بجسد طرى ، غاصتا فى لحمه . عندئذ تبخرتْ رائحة الموز ، اختفت تماماً ، وزلزلنى الخوف ، فعدوت مرتعباً ، وجسدى ينتفض . زعقت ملتاثاً : « حرامى .. حرامى » .

اندفع عمى الأوسط من الزريبة نحوى بأقصى سرعة . فقابلته بوجهٍ ضاحك مقهقهاً : « أنا بأضحك ... أنا بأضـــ ... » . ولا أدرى لماذا ... ولم كان تصرفى على هذا النحو ؟ هل ترانى خِفتُ من كشفه حقيقة الأمر ؟ لا أعرف ! كل ما أذكره أنه جرى خلفى مغيظاً . ولما طالتنى رجاه ، دفعنى بركلة قوية زاحفاً على الأرض ، ونمتُ ليلتها وقد حاصرتنى أحلامى المفزعة .

بحثُ لجدتى وعمى بما يدور برأسى ، لكن عمى خذلنى ؛ إذ لم يتذكر شيئاً ، فحسبتُ أننى أخرف وأتصور أشياء مثلما يفعل (مسعد) . انتهرنى عمى ساخراً ، فازداد إصرارى ، ورحتُ أؤكد له ما حدث محاولاً نبش ذاكرته ، وكان آخر ما قلته عن حمارنا الذى نهق ساعتها ، ولم يتوقف .

كان اكتشاف أمر السارق ضرورياً ، وإلا فلن تتزوج عمتى ـــ التى أحبها كثيراً ـــ وتصبح وحيدةً مثل جارتنا « فرحانة » .

تحلقنا « الكانون » منتظرين الجدة ، التى سحبت عمتى وقصدتا الشيخ الدهشان « الذى يقرأ الكوتشينة والكف والفنجان ، ولابد أن يدلّهم على ملامح اللص .. ولن يخيب رجاء عائلتنا المنكوبة .

لا أعرف ما الذى ذكرنى بهؤلاء الغجر ، الذين اقتحموا دارنا ظهر اليوم الثالث لزيارة عريس عمتى . تذكرت كيف كانوا يفردونَ أقمشتهم حاجبين الطرقة المؤدية إلى حجرة جدتى ، كيف كان كلامهم غريباً ، وكم كان خوفى منهم كبيراً ؛ فإنهم يسرقون الكحلَ من العين ، ويسحرون الناسَ ، ويلعبون بالبيضة والحجر .. وعندهم الكثير من الألاعيب كما قالت جدتى .

سعرت بحركة غير عادية فى الدار .. يبدو أننى قد غفوت قليلاً ، قمتُ من مكانى لأرى أمّى تتوضأ لأول مرة فى غير رمضان . سألتُ زوجة عمى الأكبر : « هو رمضان جه يا مرات عمى ؟ » . ردتْ بالنفى . ثم رأيتها تفعلُ نفس الشىء . أصابتنى حيرةٌ مما يقع حولى ، لم تطل حيرتى ، فقد رأيت أمى تدلف إلى حجرة جدتى .. ومن خلفها امراتا عمّى .

كان عمى الأكبر يمسك المصحف فى وقار ، ينقله بينهن مردداً فى حشم : « احلفى على المصحف الشريف ما أخذتِ الفلوس ولا الصيغة » . بانتْ وجوهنّ أكبر بكثير من أعمارهن ، وكانت أكثر توحشاً . وكنت أرتجفُ خائفاً على أمى . امتنعتْ زوجةُ العم الأوسط عن الحلف ، وأصرّتْ على عدم ملامسة المصحف . حاولوا المرة بعد الأخرى الضغط عليها ، فتفعل مثل « سلفتيها » ، لكنها أبتْ وبشدة . نكلوا بها .. واتهموها بالسرقة . وحين ضيقوا عليها الخناق هتفتْ باكية : « حرام يا ناس ! أحلف إزاى وأنا علىّ ... » . وزوجها يرسل إليها نظراتٍ ذات مغزى .

كان معنى تجمعهم .. وانتقال المصحف بينهم أن كلّ من بالدار عرضةٌ للاتهام ، وأن ما قاله (الدهشان) ليس كافياً . نمتُ هذه الليلة مؤرقاً حزيناً .. وشعور حاد بالمرارة والغيظ ينهش كيانى ؛ فأنا الوحيد من بين هؤلاء الذى كان بإمكانه الإيقاع باللص ومنع المصيبة من الحدوث . لكننى عندما غرقتُ فى النوم رأيتُ شيئاً مفزعاً قمتُ على إثره قاعداً ، والصورُ تتلاحق أمام عينى : « رأيت عريس عمتى يرتدى لباساً غجريًّا .. كان بين الغجر وهم يعرضون أشياءهم : الأقمشة .. المفروشات .. أطقم الصينى . ها هو ذا يغافلنا ، يتسلل إلى الحجرة ، يفتحُ الدولاب — الذى طاوعه دون مفتاح — وظلّ ينبش حتى عثر على المهر والشبكة . يعيد محتوياته ، ينسحب خارجاً . كانت زوجة العم فى انتظاره ، أعطاها الأشياء ، تخيرتْ لها موضعاً فى حجرتها ، هناك فى ركن قصى تحت السرير ، وكنت أرقبها . ما إن خرجت حتى تلصصتُ داخلاً ، خضتُ فى تراب الحجرة ، أجلّى التراب عن الحفرة ، وإذا بثعبان ضخم يهاجمنى ، يفحُّ فحيحاً عالياً ، وقبل تمكنى من الهرب أدركنى ملتفاً حول عنقى .. يعتصرنى . أصرخ . يعتصرنى . أصرخ . قمتُ من نومى وأنا أتحسسُ عنقى الذى كان يؤلمنى بالفعل !

عاش البيت حزناً عميقاً خيم على كلّ من به ، وكان لابد أن نسير الحياة كالعادة ، فما ذنب الأفواه الكثيرة ؟ والدواب التى يجب أن ترعى وأن ترى الشمس صبيحة كل يوم ، والأرض المهيأة للزرعة الجديدة ؟

فى اليوم التالى عم الصمتُ الدار ، سرح الأهلُ إلى الغيط مطأطئى الرؤوس . تسبقهم الدواب ، وقد ألانت من عنادها المعتاد . والحلمُ يغلقُ علىّ منافذ التفكير ، متشبثاً بى كالقراض ، فأتصور أننى سوف أحصل على ما ضاع ، وأُفرحُ جدتى فترضى عنى . ومعنى رضائها ألا ترتفع يدٌ لضربى . لعبتْ برأسى الفكرة . فاعتديت على حجرة عمى الأوسط منجذباً ، تقدمت تجاه المكان الذى حدده الحلم . انتابتْ أصابعى رجفةٌ ، وشعرتُ بها تتململ ، وتذكرتُ الثعبان . أحفر .. أحفر ، فلا أجد شيئاً ، أتوقف ، اختلط كلُّ شىء ، التبس علىّ الأمر ، أقصد مكاناً آخر ، فلا أجد إلا الفحيح ، فأغادر الحجرة مهرولاً ... وأنا أبرئُ زوجة العم ، لكن سرعان ما أعودُ إلى اتهامها ؛ فإليها يعود السبب فى المصائب التى تحلُّ بدارنا . هى الوحيدة التى لا تسمح لأحد بضربها أو شتمها !

بعد أسبوع أقبل عريسُ عمتى المفعم بروائح الفواكه الرائعة بناءً على استدعاء جدتى .. أقبل دون أكياسه .. ونحلاته المضيئات ، وقبل انصرافه دبتْ خناقةٌ بينه وبين عمى الذى أصر دون تراجع أن يحلف على المصحف مثلما فعل مع الجميع فرفض ، واتهم عمى بعدم التمييز وانه ... ، وانصرف مهدداً بفسخ الخطوبة .

كانت أياماً سوداء على الدار .. وعلى من فيها من آدميين ودواب ، كلُّهم يحملُ فوق ظهره ثقل الكارثة .. ومَرارات فى الحلوق فلا تتخاطب ، يتحدثون برتابة وتشكك ، وكلٌّ يحدق فى وجه الآخر متهماً إياه : « لم لا تكون أنت ؟ » .

أقصُّ على الأصدقاء ما كان ، يبكى بعضهم متأثراً ، ويروحُ آخرون طارحين أفكاراً غاية فى الجرأة .. تشبه أفكار الكبار ، فنضحك مستخفين بصاحب الرأى الجسور ، ضاربينه بما فى أيدينا . قال (مسعد) بعد صمت طويل ، راسماً على وجهه سيما الجد والوقار : « المهر والشبكة .. المهر والشبكة فى مكنة الخياطة .. ها هى أمامى .. هناك فى تابوتها تنام نفرتيتى » . مصعوقاً تجمدتُ من المفاجأة .. ها هو (مسعد) يملك ، مازال ، سحره .. يمارسُ هوايته ، ويتلاعب بعقولنا . وكان لعمتى بالفعل مكنة خياطة من طراز نفرتيتى .

إيه يا مسعد .. يا من انطلقت الأشباح من فمك ، فسرقت عمتى ! تنبهت إلى قسمى ألا أعاود اللعب معه ، وكان

يتجنبنى غير مصدق . دنوتُ منه . ازداد تباعداً ، شاعراً بالغدر فرَّ من أمامى هارباً ، وأنا أعدو خلفه . لما يئستُ من اللحاق به توقفت عن مطاردته .. وكلماته ترنُّ فى ظلمة الحارة . لحق بى الأولاد ، جريت غير مبال بنداءاتهم المتكررة .

غافلت جدتى متسللاً داخل الحجرة ، أسعى فى ظلامها محدداً طريقى ، اصطدم بشىء حاد . آلمتنى ركبتى .. لم أترلجع . وإذا بضوء يقتحم علىَّ الحجرة . ظبتنى جدتى ، تفحصتنى بينما أبحثُ جاداً عن منفذ . لما طال سكوتها شعرتُ بفداحة ما أقدمت عليه ، زعقتُ فى وجهها : « الفلوس والشبكة فى المكنة يا ستى » . تأرجحت اللمبة بين أصابعها : « إيه اللى عرفك ؟ » .

دون جدوى أرهقتُ الجميع معى ، فبكيتُ مكتويا .. دافناً جسدى الضئيل خلف الباب . اقتربتْ منى والعرق يغسل وجهها ، جذبتنى إلى صدرها حانية .. مطيبة خاطرى : « همه فى المكنة برده يا روح ستك .. ماتزعلشى منه لله .. همه فى المكنة .. همه فى المكنة » . استمر لسانُها مجدداً يردد : « همه فى المكنة » حتى اختفت .

ب

لم أنم ، درتُ ساعياً خلف (مسعد) ، وبقبضتى حجر ، وكلِّى إصرار على شجِّ رأسه .. فقد جعلهم يضحكون على .. وجعلنى أخجل منهم وأحس بنظراتهم تلسع وجهى . عندما أصبحنا وجهاً لوجه أدركتُ إلى أى حدٍّ أحب (مسعد) . فقط تعاتبنا .. وتصالحنا فى الحال . وعاد يحكى نبوءاته الشنيعة ، وعدتُ أتحين الساعة التى نتسامر فيها ، أترقبها بفارغ الصبر بينما الدار تنفضُ عنها تجهمها شيئاً فشيئاً ، فأرى أمى تعود لـ « نقارها » مع إحدى « سلفتيها » ، وأسمع جدتى منتحيةً بعمى جانباً ، تثقل كاهله بحديث مسهب ، وتعرفه كيف يكسر شوكة امراته العنود ، وعلا صوتُ مكنة الخياطة بلا توقف .. ليل نهار .

عندما عادت جدتى من السوق عصر يوم ، ومعها عمتى تحمل آنيةً كثيرة . علتْ زغاريدُ مدوية فى الحارة ظلت تتردد كل أسبوع . وفى إحدى الأمسيات كنتُ عائداً من لهو كل ليلة مع (مسعد) ـــ الذى يبدو أنه كان يكبر بسرعة عجيبة ـــ هاجمتنى رائحة الموز فواحة .. هفهافة . هرولت متابعاً مسارها فإذا حجرة جدتى تتلألأ أنوارها فى فرح ، وعريس عمتى يتوسط المكان باسماً ، وقد أضفتْ الأضواء على وجهه نوعاً قاسياً من التورد أشاع فىَّ الفزع ، فخيِّل إلىَّ كأننى أرى أقراطاً تتدلى من أذنيه ، وأوراقاً حمراً . متلاصقة تطلُّ من كمه . أحجمت عن دخول المكان .

حاضناً ضلفة الباب حدقتُ فيه ، فانقشعتْ هذه الرائحة ، وطغتْ عليها رائحةُ الزريبة القريبة ، فانسحبتُ حزيناً .. ولم ألتفت لنداءات جدتى ، وهى تطاردنى بموزه الذى لم تعد لى رغبةٌ فيه !

المحلة الكبرى : ربيع عقب الباب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعد

سعيد عبد الفتاح

فى مدخل القرية كان يستوقفنى مرحّباً :

— أهلاً بالاستاذ ، حمداً لله على سلامتك . أين أنت ؟ المرحوم والدك كان يودنا ، وقطعت أنت الود .. لماذا ؟

أضحك فى وجهه متودّداً :

— أهلاً بك يا عم عباس . أنت تعرف ظروف الحياة . الوقت ليس ملكى .

قلتها مبتسماً ، قبض على يدى فى حب ، وربت بالأخرى على كتفى :

— يا غالى يا ابن الغالى . الله يرحمه . عشر سنين وانت تقول الظروف . واحنا عشمنا فى الود . تفتكر الوقت المناسب قرّب . واللّا ....

يحمر وجهى خجلاً أمامه . كثرت الوعود ، ولم أف بوعد واحد ، لاحظ هو شرودى ؛ فضحك :

— ربنا يعينك ، ويقوّيك . لكن طمعنا فى الود من حقنا يا ابن الغالى .

— طبعاً . طبعاً . ازاى !

ولم أستطع الفكاك من حصاره ، فوجدتنى مرغماً أمامه على القسم بالوفاء الليلة :

— الليلة أكيد . بعد العشاء انتظرنى .

— نخليها على العشاء . أبوك الله يرحمه كان يعتبرنا أهلا .

— سأشرب الشاى الليلة ، إن شاء الله عندكم ، والأيام قادمة .

شعرت ببهجة لحظة تفلّتى من محاصرته . قررت تغيير طريقى حتى لا يرانى ثانية .. فيم نتحدث ؟ . هل يعتقد فى صداقتى له مثل أبى ؟ ماذا يفعل هذا الرجل الغريب الطباع ؟ . لم يقبل منى اعتذاراً واحداً .. ود . ود . ود .

كنت أدمدم محتجاً على طريقته . أخبرت أمى بما حدث . عنّفتنى بكلام رقيق ، وحزن ناعم يبدو على وجهها ، أعرفه حين يذكر والدى أمامها . فى البداية أحسست بالخجل لعدم تقديرى لرأيها ، ثم وجدتنى أقوى على الحديث ، منفعلاً أمامها :

— تتصورين ماذا يدور بينى وبينه ؟— عمك عباس رجل يفهم فى الأصول ، ويقدّر الناس . ويود ذرّية الذرّية . كان هو والمرحوم إخوة .

تنهدت ثم قالت :

— أكثر من الإخوة ، وأنت ناوى تقطع ....

— وأنت لا تزالين على العهد . أعلم .

تململت موافقاً ، خشية انفعالها . وشرحت لها مبررات الموافقة ، ثم أكدّتُ أننى سأحاول الذهاب خمس دقائق . اليوم ، ولن تتكرر ، حتى لو أخذ علىّ عهداً بأن أزوره مرة أخرى ..

تطلعت إلى مدخل البيت ، وعيدان الحطب الجاف متكتلة حوله . نتوءات الأرض أمام المدخل ، والظلام السارى فى الأشياء ، أزعجنى . توقفت راجعاً . لكننى خبطت الحلقة الحديدية بالباب خبطتين . تمنيت لو لم أجده ، وجاء صوته :

— أهلا . أهلا . يا أعز الحبايب .
زارنا النبى يا أستاذ . تفضل
تفضل . يا مرحبا .

— جئت لتصدق أننى آتى بوعدى . طالما الظروف تسمح .

— لا تشغل بالك . احنا زارنا النبى .
الليلة دخولك عندنا يديم الود فى قلوبنا
والله غالى ، وابن غالى .

فطنت إلى ما يرمى إليه . أردت أن أفهمه أن هذه الزيارة هى آخر زياراتى ، ولا يطمع فى أكثر من هذا . لكننى انتظرت حتى فتح باب حجرة على اليمين قائلاً :

— تفضل . تفضل أهلا . أهلا وسهلا
الشاى يا صابحة .

— لو سمحت يا عم عباس . يكون سكّر خفيف .

— سكّر خفيف إيه يا ابنى ! النبى (عليه الصلاة والسلام) كان يحب الحلو والعسل .

— لكن الدكتور . الدكتور يا عم عباس .....

وتقطعت كلماتى حين دخلت الحاجة مرحّبة ومهللة . أخذتنى فى حضنها . كانت تقبلنى مبتهجة وأنا أتقلّت من يديها

قالت :

— يا ألف الف مرحبا . أهلاً وسهلاً أهلا يا ابنى

— أهلا بك يا حاجة .

— كبرت والنبى يا ابنى ، كبرت والصحة

لا تساعد على شىء . ازىّ الست والدتك ؟

— بخير .

صمتت ثم أردفت :

— نحمد الله على كل حال .

تهللت ، مثلما فعل عم عباس ، تنادى :

— يا صابحة الشاى . الشاى علشان الأستاذ .

كان جو الحجرة خانقاً ومنفّراً ، وانبعثت من الجدران الرطبة رائحة غريبة . وناموس . ناموس . وحصير تآكلت أطرافه . كنت أتحدث متعجلاً ثم أضرب بيدى فى مواضع مختلفة : الرأس ، الفخذ ، والأطراف . حريصاً على ألاّ يرسل حديثه كيف يشاء . أجيب ، فقط بكلمة أو كلمتين . حتى ينتهى .

وتناهى وقع خطوات آتية من حجرة أخرى مجاورة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وامتدت صينية فى فى مدخل الباب ، عليها أكواب شاى ممتلئة ، فزعق الرجل :

— ادخلى قدّمى الشاى . الأستاذ ابننا
وانت تعرفينه ، وتعرفين المرحوم
والده . كنت صغيرة . ادخلى .

دخلت : جلباب بسيط لم أستطع تحديد نوع قماشه . لكنه ، بسيط جداً ، ومنديل أبيض يلف شعراً ينسدل أكثره على الأكتاف . وتقاطيع وجه جميل . قارنت بينها وبين الحاجة . وحولت نظرتى إلى عم عباس ، فدعانى بهدوء :

— تفضل الشاى .

جمال صاف . من يقدّره أو يعطيه حقه . إبداع وروعة ..

— ابنتك يا عم عباس ؟

— طبعاً نسيت شقاوتك أنت وهى .
شقاوة الدنيا كلها .
إن شاء الله تحضر فرحها

تطلعت إلى يدها تمد لى الكوب . أحسست بنسمة هواء هبت فأنعشتنى . قالت :

— معلهش .. مش قد المقام .

ابتسمت فى هدوء . ونظرت إلى عم عباس قائلاً :

— البيت بيتى . وانتم أهلى .

أكدّ هو على كلامى :

— طبعاً . طبعاً يا ابنى .

وأردفت الحاجة :

— أعز منك ما فى . يا ابن الرجل الطيب .

كنت مشغولاً بالنظر إلى ملامحها الهادئة ، العينين ، والأنف . والذقن الدقيق يحوى « نغزة » أسفله ، والصدر الفائر المتماسك . والخصر الدقيق الرائع . نظر الرجل إلىّ :

— مرحباً . نورتنا .

بدأت أحكى له . ما قال والدى . وما طلبه منى فى ودكم ، وأن الوفاء بوعده برٌّ يُدخِل الجنة .. كان يصدّق على كلامى :

— نعم . نعم .

دخلت فى مواضيع كثيرة ، متأملاً بساطة الحجرة وهدوء ألوانها . وأحسست بألفة شديدة للمكان . وكان عم عباس يسمعنى ثم يهز رأسه ، فأنظر إلى عمامته ، قال :

— الناموس هنا كثير . لكن ماذا نفعل ؟

— أبداً . أبداً . حاجة بسيطة .
بسيطة جداً .

وشعرت فجأة أنه يوافقنى على المضى فى كلامى متحرجاً ، فصمت ، وانسلّت هى فجأة لإشارة من أمها فلاحظت على الفور كعبيها العاريين ، ودفقة هواء تنفخ فى روحى ..

وبين وقت وآخر كان عم عباس يرسل كلماته :

— نورتنا . يا مرحبا .

أرد عليه ترحيبه فى حماس متدفق ، معبراً عن مدى سعادتى ، وشاكراً له دعوته ، ثم أكدت له ، بصدق شديد ، ضرورة التزامى بالوفاء بما وعدت به والدى من ودّ أصدقائه .

القاهرة : سعيد عبد الفتاح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـــا رأيـــك ؟

تأليف : ج . س . ثورنلى

ترجمة : ايزيس فهمى

أود أن أحدثك أيها القارىء عن مشكلتى .. يجب أن أحدث أحداً عنها لقد وَصَلْتُ إلى حالة حرجة .. لا يمكننى أن أنام جيداً الآن .. ولكنى أريدك أن تفهمنى جيداً .. ولتبدأ القصة من أولها .. وأرجوك أن تصدقنى .

اسمى « ادوارد مول » وأبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً ، ومن سكان مدينة صغيرة تدعى « هيرلى » وأشتغل ببيع وشراء السيارات المستعملة وغير متزوج .. ربما لديك زوجة حنون ولطيفة يمكنك أن تحدثها عن مشاكلك .. أنا لا يمكننى ذلك ..

بدأت مشكلتى بقراءة كتاب فأنا أحب قراءة الكتب الغريبة .. لقد عثرت على كتاب عنوانه « عقول الرجال » وكان موضوعه عن الذين يمكنهم رؤية أفكار الآخرين .. بعض الناس لا يمكنهم ذلك مطلقاً ، ولكن بعضهم يستطيعون ذلك .. إنهم يجلسون ويفكرون فى لا شىء على الاطلاق ، وحينئذ يمكنهم رؤية أفكار الناس .. يمكنهم أن يتطلعوا إلى وجه رجل ويرو أفكاره .. أنا نفسى أستطيع ذلك .. أحياناً أستطيع أن أرى أفكار شخص ما .. عندما أكون بالقرب من رجل يمكن أن أرى أفكاره كما ترى صورة تماماً .. ولكنى لا أراها دائماً .. فى بعض الأحيان فقط .. ولكنى الآن أراها أكثر فأكثر .. وفى أغلب الأحيان .. ان قواى الخفية تتعاظم كل يوم !

كيف أفعل ذلك ؟ .. يجب أن أكون قريباً من الرجل ولا أفكر فى شىء مطلقاً .. هذا ليس أمراً سهلاً .. هل حاولت ذلك ؟ .. حاول ألا تفكر فى شىء على الاطلاق .. هذا أمر صعب للغاية .. ولكنى أستطيع أن أفعله بسهولة تامة .. أنا غالباً أفعله .. وحينئذ إذا نظرت إلى وجه رجل أستطيع أن أرى أفكاره .. لقد اكتشفت هذه القوى الخفية فى نفسى منذ سنة تقريباً بعد أن قرأت هذا الكتاب عن عقول الرجال .. أنا غالباً ما أسافر بالقطار .. كنت راكباً القطار ذات يوم وكان معى عدة أشخاص .. فتحت نافذة القطار فهبت منها نسمة هواء شديدة أنا احب الهواء .. جلست أشم الهواء ولم أكن أفكر فى شىء .. وكانت هناك فتاة حسناء تجلس فى مواجهتى .. كانت عيناى مفتوحتين وكنت أنظر إلى وجهها ولكنى لم أكن أفكر فيها .. لقد جلست هكذا هادئاً بعض الوقت .. وحينئذ رأيت صورة فى رأسها ، وفى هذه الصورة رجل يغلق النافذة .. نظرت جيداً .. كان الرجل هو أنا ! طبعاً تعجبت جداً .. ولكنى فهمت ما حدث عندما تذكرت الكتاب .. ودَّت الفتاة أن أغلق النافذة فقلت بالتأكيد ثم قمت وأغلقتها ثم سألتها : هل هذا أفضل ؟ فقالت « شكراً لك .. لقد أردت منك أن تغلقها . ولكن كيف عرفت ذلك ؟ بدت علامات الدهشة واضحة عل محياها .. فضحكت ونظرت إلى صحيفتى ولكنى لم أقرأ شيئاً .. كنت أفكر فى الصورة التى فى رأس الفتاة .. وقلت لنفسى يجب أن أحاول مرة ثانية ..

بعد ذلك بقليل ركبت قطاراً آخر كان معى فى القطار رجل واحد .. نظرت إلى وجه الرجل وأنا أفكر فى لا شىء .. مرة ثانية ظهرت صورة غريبة أمام عينى .. رأيت غرفة أنيقة ومدفأة ومقعداً كبيراً وعشاء فاخراً وامرأة جميلة زرقاء العينين وشعرها مسترسل وفوق عينها اليسرى علامة صغيرة .. كانت علامة صغيرة تماماً .. لقد أدركت كل شىء .. كان الرجل ذاهباً إلى منزله لتناول العشاء مع زوجته .. كان يفكر فى كل ذلك ، وأردت أن أكون متأكداً تماماً فربما كنت أحلم فقط .. لذلك لمست ذراع الرجل وقلت له : هل تسمح لى بسؤال ؟ .. نظر إلىَّ وعلى وجهه علامات تعجب فى انجلترا كما تعلم — لا يتحدث الناس غالباً فى القطارات بعضهم مع بعض .. ولكنه أجابنى : بالتأكيد ، تفضل « فسألته : هل زوجتك لها علامة صغيرة على عينها اليسرى ؟ .. كان سؤالاً غريباً .. وقحاً .. نعم .. فما ينبغى أن يسأل الناس أسئلة كهذه .

بدا الرجل أكثر تعجباً عن ذى قبل وأشد غضباً أيضاً وقال لى : أنا لا أعرفك يا سيدى .. ولن أجيبك على سؤالك .. إن عين زوجتى ليست من شأنك ! .

سررت من إجابته .. إنه متزوج . فها هو ذا يتحدث عن زوجته .. لقد كنت على حق حينما فكرت فى أن هذه المرأة هى زوجته .. ومادام لديه زوجة فلديه منزل أيضاً .. وأردت أن أعرف منه العلامة التى على عين زوجته .. لم أتحدث إلى الرجل ثانية ، وعندما نزل من القطار نظر إلىَّ باستغراب شديد ، ولم أقل شيئاً !

بعد ذلك بيومين شاهدت نفس الرجل فى الشارع ، وكان برفقته امرأة جميلة . كانت تماماً مثل المرأة التى رأيتها فى الصورة ، ولها شعر مسترسل ، وسرت أمامها ثم نظرت إلى عينيها ، كانتا زرقاوين ، ورأيت علامة صغيرة على عينها اليسرى سررت للغاية ولكن زوج المرأة لم يكن كذلك .. ونعتنى ببعض كلمات .. لن أقولها لك .. بعد ذلك أصبحت متأكداً تماماً من قواى الخفية .. أصبحت أستطيع قراءة أفكار الآخرين .. وسرنى ذلك كثيراً فى البداية .. ولكن هذه القوى جلبت لى الكثير من المتاعب فيما بعد ..

نعم .. هذه كانت بداية متاعبى .. ربما تظن أن القوى من هذا النوع تجعل الانسان سعيداً ! أنت واهم إذا ظننت ذلك .. أرجو أن تفهمنى جيداً .. أنا أعرف أفكار الناس .. ولكن أفكارهم فقط .. يفكر الناس فى أشياء كثيرة ، ولكنهم لا ينفذون دائماً ما يفكرون فيه وهذا جزء من مشكلتى ..

إن قواى الخفية أفادتنى فى عملى .. عندما يحاول شخص أن يبيعنى سيارة رديئة بثمن مرتفع أعلم ذلك ويمكننى أن أرى أفكاره بسهولة تامة .. لذلك لا أشتريها .. وعندما أبيع سيارة لأحد أعلم السعر الذى سيدفعه .. ربما أريد أربعمائة جنيه ثمناً لها ولكنه على استعداد لأن يدفع أربعمائة وخمسين .. وهو لا يخبرنى بذلك ولكنى أعرف .. فإنى أطلب منه أربعمائة وخمسين جنيهاً ويدفعها .. نعم .. إنى ناجح فى عملى وموفق وأصبحت أكثر ثراء عن ذى قبل ولكن النقود ليست كل شىء .. النقود لن تشترى الأصدقاء أو النوم ..

فى السنه الماضية وقعت فى حب فتاة .. كانت لطيفة وجميلة معاً .. نويت أن أتزوجها .. كنا سعداء قبل أن اكتشف قواى الخفية .. لاحظت عليها بعد ذلك بعض التغيير .. لم تعد تحبنى كثيراً كما كانت قبلاً .. وصممت أن أعرف السبب فى هذا التغيير .

ذات يوم كنا معاً ونظرت إلى وجهها وقتاً طويلاً وحاولت أن أفكر فى لا شىء .. لم يكن ذلك بالأمر السهل .. كيف يمكننى أن أفكر فى لا شىء عندما أنظر إلى وجهها الجميل ؟

ولكنى حاولت ذلك بكل صعوبة .. استطعت أن أرى أفكارها بعض الشىء أصبت بالدهشة والحزن معاً .. لم تعد تحبنى كثيراً لأن عينىَّ لهما نظرات غريبة وكانت تخاف منى .. الخوف والحب لا يجتمعان ..

حسناً .. ماذا يمكننى أن أفعل ؟ لا يمكننى أن أقترن بفتاة لا تحبنى الناس الذين يفعلون ذلك تعوزهم الفطنة . إن ذلك يجلب الشقاء والتعاسة فى النهاية ، لذلك لم أعد ألقاها كثيراً . وذات يوم أعطتنى خاتم الخطبة الذى أعطيته لها أيام سعادتنا الأولى .. إنها ستتزوج رجلاً آخر .... أنا لا أذهب إلى الحفلات الآن .. إن أفكار الناس الذين يقيمون الحفلات وأفكار الذين يذهبون إليها ليست دائماً أفكاراً جيدة .. ويبدو أنه لا أحد يحب أحداً كثيراً فى هذه الأيام .. لا يوجد أصدقاء كثيرون حقيقيون فى هذا العالم .. كثير من الناس الذين كانوا أصدقائى فى الماضى لم يعودوا كذلك الآن ، وعندما يقابلوننى فى الشارع يعبرون إلى الرصيف المقابل . أنهم لا يحبوننى لأنى أنظر إلى وجوههم وعندما أرى أفكارهم يتغير وجهى .. أرى أنهم لا يحبوننى وأصبح غضوباً وحزيناً .. يعتقدون أننى رجل شاذ .. وهم على حق !

حسناً .. لقد فقدت أصدقائى .. ولكنى مازلت محتفظاً بقواى الخفية وعلىَّ أن أستخدمها .. يجب على الرجل أن لا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يفقد قواه .. لقد بدأت أجربها على الحيوانات ولكن بدون فائدة .

إن الكلاب تجرى بعيداً عنى عندما أنظر إلى عيونها ، ولكنى استطعت أن أنظر إلى عينى حصان ورأيت صورة فى رأسه ليس لها لون .. لقد كانت صورتى فقط ! ولم أحاول تجربة قواى على الطيور لأنها لن تبقى أبداً على مقربة من أحد ..

وذات يوم ذهبت إلى شاطىء .. وجدت رجلاً يملك قارباً صغيراً ، وركبت معه القارب .. وأردت أن أقرأ أفكار سمكة ! ولوقت طويل لم تقترب أى سمكة من القارب ، ولكن بعد ذلك رأيت سمكة كبيرة ليست بعيدة ، فنظرت إلى أسفل قريباً جداً من الماء ، وحاولت أن أنظر إلى وجهها ، ولكنى وقعت فى الماء ! وعندما ظهر رأسى على سطح الماء .. كان الرجل يضحك منىّ ، ولكنى لم أضحك مطلقاً ، وعندما جذبنى إلى القارب كنت مبتلاً .. وكان علىّ أن أعود إلى المنزل على الفور ، واستمر الرجل يضحك ويقهقه حتى وصلنا إلى الشاطىء .. لقد كان رجلاً سخيفاً ..

لم أستطع أن أستخدم قواى على الحيوانات ، وكنت آسفاً على ذلك ، لأنى كنت أريد أن أكون أول رجل فى العالم يعرف أفكار الحيوانات ! ولكن كان ذلك مستحيلاً ..

ومنذ خمسة أيام حدث أمر أرقنى كثيراً ، وسأحدثك عنه .. ركبت قطاراً ، وركب معى رجل ضخم الجثة ، كان يرتدى حلة قديمة زرقاء ، وجلس فى مواجهتى وأغمض عينيه وكان باستطاعتى أن أرى وجهه بسهولة لذلك بدأت أرى أفكاره .. كان يفكر فى امرأة ضخمة بدينة ، لها ذراعان حمراوان .. لم تكن جميلة على الاطلاق .. ربما كانت زوجته ، وكان يفكر فى قتلها ويدبر خطته .. كان ينوى أن يدس السم لها فى طعامها وهى لا تدرى .. لقد خفت ولم أرغب أن أرى أكثر من ذلك .. ولكن عينى الرجل كانتا مازالتا مغمضتين ، ولم أستطع أن أدير رأسى بعيداً عن الصورة التى كانت فوق رأسه نظرت ثانية ورأيت تاريخاً .. ١٦ أبريل .. كان الرجل يرسم خطة لقتل زوجته فى هذا التاريخ .. فتح الرجل عينيه فنظرت بسرعة تجاه النافذة .. كنت فى شدة الاضطراب .. إن الرجال غالباً ما يفكرون فى أشياء رديئة ، ولكنهم لا ينفذونها دائماً .. هل هذا الرجل سيقتل زوجته ؟ .. إن الصورة التى رأيتها فوق رأسه كانت واضحة تماماً .. لكن لا يمكننى التأكد من ذلك .. ماذا أفعل ؟

إنه لن يذهب إلى « هيرلى » لقد نزل من القطار فى محطة صغيرة قبل « هيرلى » وكان علىّ أن أفكر بسرعة .. إننى لا أعرف اسم الرجل أو عنوانه ومن الجائز أننى لن أعثر عليه بعد ذلك ، لذلك نزلت من القطار ، وسرت خلفه إلى خارج المحطة وطول الطريق حتى دخل منزلاً متواضعاً وأغلق الباب ..

قابلت أحد الفلاحين أثناء عودتى فسألته عن اسم الرجل الذى يقطن فى هذا المنزل الصغير فقال لى إن اسمه « روبير » وسألته هل هو متزوج ؟ فأجابنى : نعم .. لماذا تسأل ؟ .. فابتعدت عنه وعدت إلى منزلى فى حالة اضطراب شديد .. ماذا أفعل ؟ هل أبلغ الشرطة ؟ هل أبلغ زوجة « روبير » ؟ لن يصدقنى أحد بالطبع .. لم أتحدث مطلقاً مع روبير ، وهو أيضاً لا يعلم عنى شيئاً ، وأنا لم أر أبداً المرأة التى سيقتلها ، وربما لن يقتلها .. ربما كان يفكر فى ذلك فقط .. وإذا أخبرت أحداً بذلك فروبير بكل تأكيد لن يقتلها ، وهكذا سأفقد حياتها ولكن ماذا سيحدث لى ؟ .. لا أحد يمكنه أن يعرف أشياء كهذه .. يوجد قانون يعاقب على ذلك .. اليوم ١٥ أبريل .. هل ستكون زوجه « روبير » مقتولة غداً ؟ وبماذا سأشعر لو حدث ذلك ؟

وإذا قُتِلَتْ هل سأخبر الشرطة عن « روبير » ؟ ولنفرض أننى أبلغتهم بعد قتلها فهناك احتمالان : إذا لم يصدقونى فما الفائدة ؟ .. وإذا صدقونى فسيلومونني لأننى لم أبلغهم فى الوقت المناسب ..

أنا أفكر فى ذلك الآن وأنا راقد على فراشى ليلا ولا يغمض لى جفن .. الحياة أصبحت مزعجة بالنسبة لى .. فما رأيك ؟

القاهرة : إيزيس فهمى

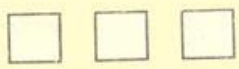

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صـــوت

زيدان حمود

ريح ومطر وظلام يلف الطرقات التى بدت أشبه بالمهجورة . (هو) وشخص آخر يتبعه بصمت فى ذلك الليل الموحش . الشخص ملفع بغطاء سميك يحتمى بالجدران المرتفعة المغطاة بالوحل المحمّل برذاذ المطر و (هو) يخوض فى وحل الشارع . خطواته واسعة مرتبكة تعمل مدى انعكاساتها الريح ، أضلاعه بارزة ، يكسوها جلد داكن ، رأسه حليق وعيناه زائغتان يغطيهما الاحمرار .

توقف كالمصعوق يستمع إلى صدى الكلمة الشاحب الذى يدور فى رأسه أشبه بعقارب موقوتة .. مخت...ا...ر

لحظة خاطفة تتجدد فيها التفاصيل القديمة لنوبات من الهيستيريا يفقد فيها الصغير كل شىء له علاقة بالوعى والذكرى ، عدا تلك المفردة التى تلاحقه أشبه بابتهالات صلاة متقطعة مخد...ا..ر

لاأحد يجرؤ على الاقتراب منه سوى الرجل المحتمى بالجدران والذى برز أمامه بغطائه السميك يردد تلك الكلمة التى يعرفها (هو) كانعكاس ثابت لحياته القديمة المرتدة على أثر الصوت المنطلق فى أوقات متباعدة من اليوم الواحد .

ـــ مختار .

خطوة واحدة خطاها إلى الأمام . توقف الرجل خلفه ووضع غطاءه السميك على كتفيه . التفت برعب وأطلق صوتاً ضعيفاً وهو يمسك يد الرجل الذى ربت على يده قائلاً :

ـــ البرد شديد وجسدك مبتل وقد أنهكنى الليل .

تحسس الغطاء السميك فوق كتفيه ثم عاود المسير . تبعه الرجل بخفة وهو يستمع إلى صوت الريح . ويتابع خطوط العتمة الممتدة طويلاً فى بقايا لُهاث السنوات المنصرمة من عمره . تتجلى فى ظلمة تلك الليلة التى يتواصل فيها ضوء البرق وعواء الريح وصوت النقر الذى تحدثه قطرات المطر فوق الأشياء .

ـــ كان الأجدر بك يامختار أن تبقى فى البيت ، لقد مللت السير فى الشوارع ولا يمكننى البقاء وحدى هناك ... الحجرات أفواه مفغورة فى وجهى والشجرة أفعى تحاول الالتفاف على جسدى .

الشخص يحاول اخراج ما فى نفسه من تراكمات طويلة لأشياء تتجذر منذ أزمان بعيدة فى تلك الحجرات الواسعة المنداة بماء الأرض الطافح فوقها أشبه بالقيح . حجرات متراصة باتساق يطل على باحة واسعة تنتصب فى وسطها شجرة كبيرة من تلك الأشجار العتيقة نساء ملفعات بعباءات من الصوف . أطفال حفاة تتمزق العتمة فى عيونهم المغطاة بركام أصفر فى زواياها وهم يضعون رؤوسهم فوق أفخاذ النساء وهُنّ يفتشن فى الشعور المغبرة فى ضوء الشمس تحت ظلال الشجرة التى تتساقط منها ذرق العصافير المكدسة فى أعشاش صغيرة مسطرة على فروعها المتشابكة .

(هو) آخر سلالة الأطفال المتباعدين فى أماكن مختلفة رحلوا إليها بعد أن جفت صدور النساء واصبح الرجال عاجزين عن إنجاب أطفال جدد فى ذلك البيت الكبير الذى تحولت حجراته إلى افواه مغفورة فى وجه الشخص المحتمى بالجدران والذى يعود هو الآخر إلى سلالة آخر الآباء الأحياء .

ـــ انت لا تريد الكلام اليس كذلك ؟ لا عليك .. لقد تعودت الصمت وتعودت كل الأشياء التى تلحق الأضرار بالجسد عظمى ثقيل ويتحمل أكثر ولكن المسير يتعبنى ولا يمكننى أن اتركك بمفردك ... لا تسرع .. خطواتك واسعة ... أعطنى يدك .. كانت يدك فى يدى دائماً .. لا أكلم أحداً غيرك ولا تستمع إلى غيرى .. بدأت أشعر بالتعب .. الظلمة بدأت تحجبك عنى.أعطنى يدك .. توقف .. أين أنت ؟ مختار ... مخت ...ا .. ر . دوّت الكلمة بشدة ورددت أصداءها الجدران المغطاة بوحل الشوارع المطورة .

توقف (هو) وتحول إلى صدى ميت فى حروف الكلمة .. عيناه تبحثان عن لا شىء وراسه يدور فى فراغ هائل ... اصطدم به الرجل الذى تعبت خطاه وامسكه بقوة . كانت يده متشنجة تعكس ارتجاف الجسد المحتبس بقوة هائلة تفجرها لحظات الذكرى المقترنة بعوالم بعيدة تتوضح فى ظلمة الليل .

شجرة السدر التى تناثرت العصافير فيها ، أغصانها متشابكة ، تلتف على مئات الأعواد الميتة وتشخص أشبه بكائن خرافى وسط الأشياء المكدسة بإهمال واضح فى باحة بيت الأجداد .. مهدٌ من الخشب ما زالت التمائم معلقة فوق أعواده .. طيور ، ارانب ، ديكة رومية ، قطط ، وحمام فى مزاريب من الصفيح الصدئ ، أقفاص من جريد النخل تتكدس فوقها جلود الحيوانات التى ذبحت فى أوقات الرخاء . كلب واحد هرم لا يقوى على النباح إلا فى وقت الليل عندما تبدأ جولة الكلمات المتباعدة فى وحشة الظلام .

لعب أطفال ممزقة ، رؤوس لفتيات من المطاط الأصفر بعيون زرق وشعور صفراء ملطخة بزرق الدجاج ، بقايا إطارات قديمة لدراجات غابرة وعشرات الشتلات الصغيرة لنباتات محفوظة فى أوعية من الخيش يتاجر بها الأب فى أوقات الربيع .

اشتدت القبضة فوق الذراع الهزيلة ، عندما لمعت السماء ببرق خاطف أعقبه صوت شديد تناقلته جدران البيوت المغلقة كمتاريس محكمة ، ودار فى فضاء الليل يحاصره مع الشخص الذى أمسكه بقوة وهو يهمس بدفء .

ـــ لا عليك .. هى السماء تراقبنا وتتألم .

أحكم قبضته فوق الذراع وعدّل وضع الغطاء السميك على الجسد المرتجف ، تماماً كما كان يفعل فى السابق .. يهدأ الارتجاف ببطء ثم تتواصل تلك الارتعاشات التى تعقبها موجة من الصراخ والألم لا يهدئها سوى التراتيل التى يرددها له يومياً قرب الفراش المشبع بروائح لا يمكن أن يستغنى عنها أبداً .. هى نفس الروائح التى ابتاعها لها قديماً .. عطور عملتها أكثر من عرافة تتقن فتنة الفتيات الحسان نحو الرجال وكان هو واحدا من أولئك الرجال الذين لا يمكن أن يغلبهم أحد فيما يريدون ، وقد أرادها أن تكون امتداداً لذلك البيت المتخم بأقاويل الماضى وركام الأزمنة المتعاقبة ، تحتويه فى وحدته مع الشجرة المباركة والغرف الواسعة وتلك الكتب المخزونة فى الصناديق بعيداً عن الماء .

مكثت معه سنتين متواصلتين بالحب ، لا تترك فرصة لإيفاء نذور الأولياء التى نذرتها لهم كى تصبح زوجة له .

هو يحلم بها وهى تذرف الدموع أمام بخور العرافات وتبتهل إلى الله أن تكون من نصيبه .

أصبحت له ، وجمعهما ذلك الفناء الكبير ، يلتقيان فيه كل أصيل تحت شجرة السدر ، تباركهم العصافير ، وتعمدهم مياه الغرف الواسعة التى تطفح امامهم كذكرى لا تزول .

هى تحوك الصوف وهو يبيع فسائل الأشجار والجلود ويقرأ فى كتب الماضى حبيساً فى بيت الأجداد يشده الى الحاضر فيه وجودها معه بقامتها الفارعة وشعرها الذى تركته يتهدل على ظهرها بسواده القاتم الذى يشبه سواد عينيها الواسعتين .

هى كالحلم ، أشبه بطائر لم يبق منه سوى صدى صوته المنطلق مع الصباح . غادرته فى ذلك الليل الشتائى البارد بعد مخاض شديد وألم اعتصر قلبه طويلاً . صورتها تجذرت فى رأسه كلون من ألوان المتعة التى تتركها المرآة فى ذاكرة تطبعت على وهج شفاف .. وتلك النداءات المستغيثة التى تتردد فى أرجاء الغرف المظلمة الموبوءه بالماء الآسن دوامات تدور به متعاقبة مع الأيام التى يلمح فيها صورتها تنعكس على وجهه (هو) وحيداً مع الهم والذكرى بعد أن تركته مصاباً فى دماغه لا يفقه سوى الكلمة التى تربى معها منذ سنوات بعيدة تلاحقه مع تلاحق الخطى يوماً بعد يوم ...

بغداد : زيدان حمود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصطفى الأسمر

●● أسلم عقله للفكرة حتى أصبح أسيرا لها .. تحادث مع نفسه بصوت مسموع مؤكدا أن من الأفضل فعلا إسدال الجفون الأربعة على العينين واستدعاء النوم .

(١)

قلت له : اسمعنى ...

هز رأسه ولم يتكلم .... حركت يدى كعادتى عندما أناقش أمرا هاما .. لم أكتف بهذا بل حركت كل عضلة فى وجهى .. مع ذلك استمر يهز رأسه ولا يتكلم .

* * * *

قالوا له ... وهو على هذا الحال .. هيهات هيهات !

استفسرهم قصدهم من الكلمة .. لم يجيبوه .. ابتأس .. رثى لحاله .. ثم رتب الأشياء كلها فى حقيبته الحجرية وحملها فوق رأسه وخرج ..

(٢)

قلت له : لماذا لا تريد أن تصدقنى ؟.. هل عهدت فى الكذب من قبل ؟

هز رأسه ولم يتكلم .. مددت رقبتى وسحبتها .. خفضت من صوتى وجهرت به فى محاولة جادة من جانبى لإقناعه .. اكتفى بهز رأسه ولم يتكلم .

* * * *

فى الشارع ظهر له صديق عمره ، على غير العادة أخذه بالأحضان وقبل وجنتيه ... توهم أن هذه القُبَل قد أصابت الوجنتين بثقوب من نوع ما .. تحسس الثقوب فأصابه أسى لا حدود له عندما غارت اصابعه فيها نظر إلى صديقه وهمَّ بمعاتبته .. ولكن دفعة مفاجئة له منه فى جنبه وَأَدَت على لسانه العتاب . قال الصديق :

انظر كادت العربة تكتسحك وتقضى عليك ..

نظر إلى حيث أشار ، لدهشته لم يجد أثرا لأية عربة على الإطلاق ، ولكن على البعد كانوا هم هناك بملابسهم الفضفاضة الصفراء وقد ارتسمت فى عيونهم نظرات جامدة .. احتمى بصديقه من النظرات ، احتضنه الصديق وقبله ... جاءت القبلات هذه المرة فوق جبهته فارتجف .. تحسس مكانها فوجد نتوءات بارزة .. قال الصديق :

ـــ أنت اليوم فى حالة غير عادية .. كأنك استعملت آلاف الأقراص المنومة .. ولكن .. هيهات .. هيهات !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣)

قلت له : عجيب أمرك حقا .. غيرك كان من المفترض أن يسلم بالأمر الواقع وقد سقت له كل هذه الحجج . هز راسه ولم يتكلم .. فكرت ان اجامله واقدم له هدية تناسبه .. كدت اطير فرحا وانا اقرأ سطرا على بياض عينيه انه قد ابتدأ يفكر بأسلوب جديد ويطرح عن ذهنه فكرته الجامدة .. ولكنه خذلني عندما هز راسه ولم يتكلم .

* * *

قابله الصديق وقال له فى ود حقيقى :

— معقول أتركك وأنت على هذا الحال ؟ محال هذا ... سنعبر معا هذا المجرى .. ما رايك ؟

قبل أن يعطيه رأيا ، تذكر انه لا يعرف السباحة .. كان الموج يصطخب فى المجرى ويرتفع عاليا ، والشط الآخر لا يظهر لعين ، ولا أثر لسفينة أو حتى قطعة خشب يعتليها فتنقله إلى هناك ... وكانوا هم هناك فوق الموج المصطخب بملابسهم الفضفاضة الصفراء وبعيونهم جامدة النظرات ..

(٤)

قلت له : عندى فكرة ... أصمت انا وتتكلم أنت .. اهز راسى انا وتستطرد أنت .

هز راسه ولم يتكلم .. تصورت هذا الراس محشوًا بالحجارة بدلا من الخلايا الدقيقة المرنة المتمردة المتوهجة دوما .. فكرت ان ادق على الراس بمطرقة صلبة لأجلو لكلينا الحقيقة ... فتحرك راسه كبندول ساعة حائط يهتز ولا يتكلم .

* * * *

ادهشه انه اينما ذهب وجدهم هناك كما هم .. نفس النظرات .. نفس الملابس ... نفس الحركات .. ايضا كان صديقه ملتصقا به لايريد ان يبرحه او يغادره .. قرر العودة الى البيت ليغلق بابه عليه كما اغلق الجفون الأربعة من قبل .. أحضر قفلا مميزا واعد كل ما يلزم لتنفيذ الفكرة ... عندما ابتدأ يعمل بجد فاجأه الصديق على غير توقع ... سحبه نحو الفراش وجلس فى مواجهته ثم استأذنه أن يدخلهم عليه ... استغرب كيف لم يفطن الصديق أن الحجرة ستضيق بهم طمأنه الصديق وقال له إنه حسب لكل شىء حسابه ... ثم رفع القفل المميز من فوق الباب وفتح المصراعين على اتساعهما فدخلوا بنظام بديع ، ثم جلسوا صفوفا صفوفا .. عندما امتلأت الحجرة بهم وصارت غير قادرة على استيعاب وافد جديد منهم .. دفعوا سويا بأيديهم المتلاصقة جدارين من جدران الحجرة الأربعة فانزاحا ، ثم تلاشيا تماما لتسطيل الحجرة . أحس بالاختناق قال الصديق :

— سأفتح لك نافذة ...

رجاه ألا يفعل أو يحاول .. كان كل ما يشغل باله أن ينفرد بنفسه ويستكين إلى فكرته فيعض عليها بالنواجذ مهما كلفه الأمر ..

(٥)

قلت له : بودى أن تفهمنى .. صدقنى ... ستنجح .. فقط عليك أن تحاول أو تطرح عن عقلك ما استقر فيه .. هز راسه ولم يتكلم .. ضاقت امامى كل السبل ورأيت من المناسب أن أجرى له اختبارا لأعرف مدى استجاباته الحسية ... حركت أمام عينيه أصابعى .. ثم صنعت من هذه الحركات عشرات التعبيرات الجادة والهازئة وترقبت ماذا سيصنع ... ولكنه قبر كل الاشياء فى داخلى عندما هز راسه ولم يتكلم ...

* * *

أشعل الأفرع الجافة فى ركن الحديقة المهجورة فارتفعت السنة اللهب مضيئة المكان حولها ... تراقصت سحنهم وملابسهم الصفراء ونظراتهم الجامدة ، تبين ملامحهم كأوضح ما تكون الملامح .. دقق النظر فتأكد له أن لا فائدة ردد لنفسه .. هيهات .... هيهات ..

(٦)

قلت له : نجعل الأمر بيننا لعبة أو حتى نحوله إلى مباراة فقد يأتى التشويق بما فشلت فى غيره حتى الآن ما رأيك ؟ .. اعتقد أن المطروح الآن هو افضل الحلول

هز راسه ولم يتكلم .. كدت اعطيه ظهرى وانصرف حتى لا يشدنى معه إلى المنحدر .. ولكنى لم افعل وانا ارى وجهه الخالى من الفم والأنف والأذنين والعينين يهتز ولا يتكلم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بحث عن الصديق لم يجده .. كان اختفاؤه المفاجيء مثيرا للدهشة ولكن هذا الاختفاء منحه فرصة استعادة كل المسائل على انفراد .... قرر أن يضحك ، فتذكر نتوءات جبهته وثقوب وجنتيه ففير قراره على الفور وبكى .. تلقف على كفيه دموعه ، وعندما امتلأ الكفان بالماء لعقه بلسانه قبل أن يسيل ويراه أحدهم ظهروا بملابسهم الفضفاضة الصفراء ونظراتهم الجامدة .. المحو له أنهم قد رأوا كل شيء ، فازدادت الدموع انهمارا حتى فاضت وتسربت من بين أصابعه وشقت لنفسها مجرى ..

(٧)

قلت له : لم يعد لدى ما يقال .. حتى لو كان باقيا عندى ما أضيفه فقد انتهى كل شيء .. صدِّقْنى انتهى كل شيء ومن الخير أن يتغير أيضا كل شيء .. وإياك إياك أن تهز الرأس .

* * * *

أيقن أن وجودهم بملابسهم الفضاضة الصفراء لم يكن من قبيل الخطرفة أو التوهم ... وأن اختفاء الصديق وظهوره أمر حقيقى .. ولا فائدة من تكذيب نفسه .. تمنى لو حرر العقل من الفكرة الواحدة مهما كانت كى ينجو ... حاول رفع الجفون الأربعة عن العينين .. لم يستطع .. كانا قد التحما تماما

دمياط : مصطفى الاسمر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العـــرس الـــدامى

تأليف : عبد الله عزيز خالد

ترجمة : محـمد البـدرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد ليال صاخبة من التفكير المرهق ؛ بعد أن راحت تنهمر من مآقيها دموع الحسرة الممتزجة بالغبطة إلى حد ما ، قررت مع نفسها خلع ثياب الحداد بيدين مـرتجفتين وتعـالت على شفتيها المؤتلقتين ابتسامة رقيقة وهى ما زالت فى حالة مؤلمة من البكاء ... البسطاء من الناس كانوا يرشقونها بعاصف من اللوم : « كيف ذلك ولم يمض على رحيل زوجها وولدهـا غير أشهر عدة ؟! » .

أم آزاد كانت امرأة مكتملة ناضجة بارعة القوام ذات لون حنطى فى الخامسة والثلاثين يتألق عـلى وجهها عينـان سوداوان وينسدل على كتفيها وجيدها شعر طويل رائع وتبدو أكثـر جمـالاً وجـاذبيـة وهى تبتسم فتبـدو عـلى وجنتيهـا « غمازتان » ..

كانت تظهر فى كل مرة فى حالة خاصة فحينا هى مشرقة حلوة وحيناً ترتسم عليها علامات هموم داكنة ويطويها تفكير عميق وكأنها تسرح فى عوالم بعيدة مخيفة .. لا .. يبدو أن ذلك كان لإخفاء موقف معين .. « لا .. لا .. أن غريزتها قد نغّصت عليها الحياة إنها فى كل يوم عند شخص .. تتـزين كثيـراً وتجلس فى الـزقـاق وأحيـانـاً تتجـول فى قيصـريـة النقيب » ... محُالٌ أن يرى المرء فيها صـورة للماضى فليس لديها من الحياء والخجل شىء .

لم يكن قد مضى على مفارقتها للسواد إلا ثلاثة أسابيع فى حين أن البريجادير « بيتر » لم يمض على تجواله فى المنطقة هذه غير عشرة أيام ، ...

« بيتر » كان فى الثلاثين من العمر متوسط القامة ذا بشرة سمراء . .. عينا « بيتر » الجائعتان كانتـا أشبه بعينى ذئب مسعور .. لا .. فهو على حق ، لقد مضى على مجيبه إلى هذه المدينة فترة من الوقت ، وحين كان يتحدث لم تكن تتصور أنه ليس من أبنائها ، تصرفاته كانت طائشة كان هائماً متعطشاً لاصطياد « الغوانى » .

أم آزاد وحيدة هذه الليلـة تعيش عذاب الضمـير ، انها تعيش الضجر والسأم .. حيناً تسدد النظرة إلى كتب ولدها آزاد وبعد أن تشبعها ترتيباً وتقليباً يأخذها الحنين وتقودها الذكرى للغوص فى أرجائها ... وفجأةً تقع عيناها على رسالة

عزيزة لم تواتها القدرة على قراءتها فاكتفت بالقاء نظرة سريعة عليها وعندها تعالى صوت الصخب فى الزقاق لكنها لم تُغْرِهُ انتباها وتذكرت الليلة التى هجم فيها اللصوص على دار الأرملة «خاته» وكيف استطاعت أن تصل لنجدتها قبل أبى آزاد وكيف فرّ اللصوص خائبين .. كانت تعيش فى عوالم تلك الليلة وفجأة سمعت طرقاً على الباب :

— من ؟

— افتحى الباب .

ثم راحوا يصعدون إلى سطح الدار مثنى و ثلاث عن طريق سلالم خاصة ... ثم وقف « بيتر » عند عتبة الباب وهمس أحد الحراس فى أُذن زميل له :

- فعلة « بيتر » هذه الليلة خاصة له دون غيره .

وبعد أن فتح الباب ، دخل « بيتر » دون تردد وألقى نظرة ملؤها الرقة على أُم آزاد :

— لا تفزعى ولا تقلقى ... إننى لا أروم إلا اطمئنانك فلا داعى للخوف ... ان مهمتى فى البيت الواقع فى الطرف الآخر من داركم ..

والتفت « بيتر » إلى من فى صحبته وقال :

— مثلما أخبرتكم .. تتوزعون كما اتفقنا .

وحين تفرق الحرس اقترب من أُم آزاد وقال :

— أليس لديكم سلّم فى الدار ؟ كيف يمكنكم الصعود إلى السطح ؟

وأجابت المرأة بإيماءة من رأسها ، وقال بيتر ، كإنسان مغترب !

— طبيعتكم جميلة جداً ! .

ولم تجب المرأة ، ولكن « بيتر » اقترب منها فى زهو وكبرياء :

— أنا الآن كل شىء فى هذه المدينة فلا أحد يقدر على التفوه ببنت شفه .

واستمر فى حديثه مع نفسه وهو يقهقه :

— آه .. أجل .. لقد تذكرت .. ما الذى حدث فى البيت الواقع فى الجهة الأخرى من بيتكم ليلة أمس ؟ دُون أن يدع مجالاً للمرأة كى تجيب قال :

— أشعر بالعطش .

ومضت أُم آزاد إلى فناء الدار وجاءته بكوب من الماء .. ثم راحت تردد مع نفسها :

— « كم هو هادىء ورائع المحيا ! إن دمه كله دفء وحرارة ! ثم عادت إلى نفسها وشعرت بقشعريرة تهز أعماقها :

— « لا .. لا .. إنه مذنب .. فهو الذى قتل والد آزاد » .

كانت أُم آزاد تعيش جحيم هذه الأحاديث ، وقد أعادها إلى الوعى صياح ديك الجيران مرتين متتاليتين تناول « بيتر » الماء مبتهجاً ثم استطاع بإيماءات من عينيه ان يفهم المرأة أنه يريد أن ينالها .. وقال :

— ما أقسى الحياة من دون رجل !

وخيمت الهموم على المرأة وتذكرت والد آزاد وكيف قتلوه وهو فى الأربعين من عمره فى أحد صباحات حزيران رمياً بالرصاص ، وكيف بقيت جثته مطروحة فى فناء المسجد المهدم إلى وقت متأخر ، إلى أن هرعت مع عدد من نسوة المحلة وقمن بدفنه تحت شجرة التوت فى الدار ..

وبعد فترة هدوء مليئة بالهموم نظرت إلى « بيتر » بصمت :

— بالموت أم بالبعاد ؟

أجاب « بيتر »

— إن الوقت لا يتّسع لمثل هذه الأحاديث .. انك عندما تتفوهين بكلمة موت يسيطر على الهلع ..

قالت المرأة لنفسها :

— « إنه نفسه الذى قتل بيديه شابين من شباب المدينة مساء أمس » .

ودخل أحد مرافقيه قائلا فى أدب ووقار :

— سيدى .. لقد حان وقت المداهمة ، فلنداهم الدار الواقعة فى الطرف المقابل .

صاح به بيتر :

— أخرج .. فالوقت ما زال مبكراً .. أنا الذى سأصدر الأوامر ..

ذهب الشاب والتفت « بيتر » إلى المرأة ثم قال :

— ألا أجد عندكم شيئا من الشراب ؟ هات لى قدحاً . واقترب منها وهو يواصل حديثه :

— لا .. لا .. لا تقلقى يارائعتى ، كونى مطمئنة ، فما دمت أنا موجوداً فى هذه المدينة ، فليس هناك من أحد يستطيع أن يمسّك بسوء .. أعرف أن الوقت متأخر وأنك تريدين النوم .

واستمر يحدث نفسه :

— إننا عادة ننهى مهماتنا ليلاً ..

وذهبت أُم آزاد فى أمل أن تجلب له الشراب وهى تحدّث نفسها :

— لقد أرسله الله .. ليقُلْ الناس ما يريدون لقد كنت اسمع بأذنى هذه : « إن خلعها لثياب الحداد علامة على سقوطها » ..

وحين كانت تتذكر تلك الكلمات كان وجهها يزداد تأثراً وانزعاجا وتقول لنفسها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـــ حسناً .. الست مثل أية امرأة ذات رغبة واشتهاء ؟!

وكان « بيتر » فى الوقت نفسه يزداد شوقاً ولهفة ..

ـــ لقد روضت جيّدا ، أنهم لم يدلونى على هذا المكان عبثا .. لن تفلت من يدى !

عطرت أم آزاد نفسها وازينت وارتدت ثوبا زاهيا وحملت معها قدح الشراب وسارت إليه فى ابتسامة حلوة . وابتسم هو الآخر واقبل نحوها ، قائلا :

ـــ لقد أزعجتكِ ..

تناول منها القدح فى عجل والتصقت إلى جانبه فسرت ارتعاشة دافئة فى جسده وبدت الفرحة فى عينيه حين قالت أم آزاد فى عذوبة :

ـــ أشعر بشىء من التعب .. أشعر بالنعاس ! .

وأفهمته بنظرة خاصة أنها تريده معها فى غرفة النوم ، ولم يدر فى خلد « بيتر » أن فريسته يمكن أن تصاد بهذه السهولة فاستبدّ به الفرح ... سار وراءها والقدح ما زال فى يده ودخل الغرفة .. وسارت المرأة صوب مكتبة آزاد برفقة « بيتر » ، توقفت فجأة ونادته بابتسامة فاقترب منها دون تردد ووقف إلى جانبها .. وحين انقطعت قلادة أم آزاد تهيأ « بيتر » ووضع قبعته جانباً ثم وضع القدح على الأرض وراح يلملم حبات العقد المتناثرة هنا وهناك ويردد مع نفسه :

ـــ لا تغتمى يافاتنتى سأجمعها لك بسرعة .. ثم أردف وهو منهمك فى جمع حبات العقد !

ـــ فى هذه المرة ـ عندما أسافر إلى ـ لندن ـ سأجلب لك عقدا من الماس .

وانشغل ثانية فى جمع الحبات ودون أن يشعر سألها :

ـــ الحق .. ألا تعرفين قاتل ولدك ؟ .

هزت كلمة « ولدك » أم آزاد من الأعماق وأحست أن الدنيا قد تحولت إلى ظلام حالك ... كان آزاد فى الخامسة عشرة ، ابنها الوحيد ، وبعد وفاة والده صار الابن والصديق وكل شىء .. انها لن تنسى ذلك اليوم الأسود الذى تم سحله فيه فوق الأرض والأشواك والصخور فى محلة « هولى »

انتفضت واعية ومدت يدها إلى المكتبة وأخرجت منها فأساً وانهالت به على رأسه بكل قوة ثم أجابت بصوت خافت :

ـــ نعم والله أعرف قاتله !

ولفظ البريجادير بيتر أنفاسه الأخيرة وغرق فى دمه ..

تناولت أم آزاد عباءتها بهدوء وفتحت باب الدار وتوجهت إلى الحارس بابتسامة هادئة وقالت :

ـــ تريثوا الآن ، ان بيتر لم يرتد ثيابه بعْدُ

ثم أضافت :

ـــ سأعود اليكم بعد قليل .

كان الحارس شاباً أسمر اللون ضعيف البنية .. وصاح فى ابتسامة على الحارس الآخر الواقف فى الطرف المقابل من الزقاق قائلاً :

ـــ أنظر ... أنظر .. هنيئاً مريئاً يامستر بيتر ...

بغداد : محمد البدرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

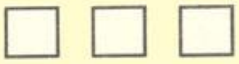

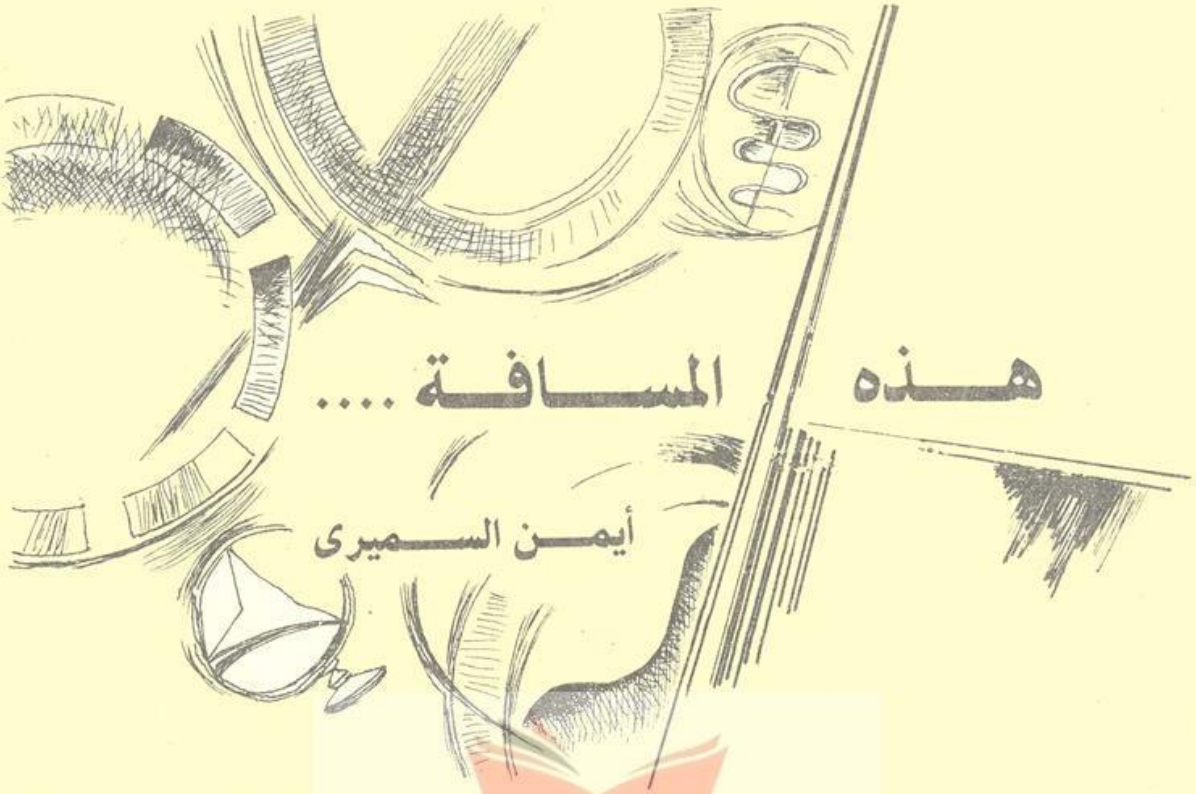

هـــذه المســـافـــة ....

أيمـــن الســـميرى

انتثرت القطرات على زجاج السيارات المتراصة على الجانب الأيمن .. لا أحسبنى انتبهت يوما إلى ما ترسم القطرات من تشكيلات تلقائية إلاّ الآن .. كان الالتماع الحزين على أوراق شجر « البانسيانا » وقضبان نبات الكورنيش شاهداً على ما فعل الضباب والندى بالصبح ، فالبرودة استغرقت كل الكائنات الصباحية واحتوى الأفق الكلسى مزيداً من الأصوات فى غلالته .. بعض الأصوات مكتومة لكنها من الوضوح بحيث لم يصعب علىّ فهم كونها نهنهة أو حشرجات شكوى أو شىء من هذا القبيل .. أسرع ذوو الرؤوس المختبئة فى الياقات السميكة والأيدى المستكنة فى سخونة الجيوب يجتازون الكوبرى كى ينتشروا فى أرجاء مجهولة قبل الثامنة : بينما البخار ينبعث مع الزفير ليستحيل هالات جامدة حول كل راس .

كان النيل تحت قدمى وأنا أبحث عن مساحة خالية فى الصفحة الأولى للأهرام .. متعاقبة أعرفها من آلية خطوى : تسير على نحو مألوف وكأنى لم أغب عن نفس الطريق الحبيب عاما كاملاً وكأن أناسا آخرين ـــ أبداً ـ لم يستبيحونى ولم ينفخوا فىّ تعاليم المباغتة الصارخة .. لكنى وبعد تنازلى قسراً عن أشياء كثيرة كانت تلازمنى كأعضائى ، . أشعر أنه ما زال بإمكانى اختراق صفوف المنتظرين لسيارة ميكروباس كى أمضى الهوينى مطلقا عقيرتى للهمهمة الجميلة بأغانى عبد الحليم أو مسافراً فى استشراف زمان قد يأتى بما مجّته الوسادة .. هو نفسه النيل يحتوى وجهها والرصيف والإطارات وكذا رجع اتفاقات بيضاء يلمح كلانا تلاشيها فى الهواء الصباحى كانت حينها برّية رائعة لا تفطن للكذب الجميل فى رنين صوتى وأنا أتحدث عن لون عينها والحياة الآتية من مكاننا الأثير فى الصف الأول من المدرج .. ترى هل ما زالت تحب الكذب ... ؟

اهتديت الى سنتيمترات خالية فى جريدة الأهرام فجعلت ـ كدأبى ـ أحصى السيارات الواقفة على الجانب الأيمن .. عينى لا تخطىء الإطارات والألوان رغم أنى كنت أستعين أولاً بالعدد على طول مشوارى ؛ فأبدأ العدّ من آخر نقطة فى الكوبرى حتى بوابة الجامعة وعند الوصول أسجل بقلمى الرصاص على السنتيمترات فيتهلل وجهها لنعود سويا إلى وقت طفل كناه قبل أن تسكننا الحروف والأرقام ..

برجوعى إلى وقت موغل فى الرتابة : أعرف أن هوايتى تلك لم تولد هكذا بين عشية وضحاها وإنما احتوتها أطوار نموّ مضطرد على فترات متباعدة :

فى البداية .. وتحديداً فى « سنة أولى » كنت أكتفى بالعدّ السريع بينما جُلّ انشغالى بثوبها السماوى حين يحتويها فيشرق من أعلاه شعرها لتنجلى أسرار التحولات الكبار فى الكون وغياب النجوم عن الظهر مذ خلق الله الأرض والقلب .

ترى أستعرف أن الذى عقد الألفة الحميمة بينى وبين اصفرار الأفق وتكاثر السيارات وارتباك الشعر تحت شجيرة بعينها فى إحدى جزائر المحيط سيسرى فينا ليفكّ اختناق الصبح ويزيح الضباب والأصوات ؟

أعرف أن البناية التى بجوار « دار المعارف » تقف أمامها سيارة بيضاء عريضة والصيدلية التى تليها تقف أمامها سيارة حمراء صغيرة ذات باب واحد .. المسافة الصباحية من كوبرى طلخا حتى البوابة (١٢١) سيارة سجلْتُها شروحاً وتذييلات وحواشى على أى سنتيمترات بيضاء فى اهرام كل صباح مع ملحوظة ما بين قوسين : (توجد خمس سيارات مجهولة يغطيها أصحابها بأغطيةمن المشمع القاتم) .. (المسافة الصباحية فى يوم الخميس بالذات ، ما بين ١٢٥ إلى ١٣٢ سيارة) ..

*

فى « سنة ثانية » ، أضفت إلى التصنيف القديم عنصر اللون .. بعملية نسبة وتناسب سريعة يكون العائد مثيراً للنشوة فى « ثالثة ورابعة » كنت قد نضجت بما يكفى لأميز بين الماركات المتباينة فأصبحت لا أكتفى بالعدد واللون والملاحظات وإنما دخلت الماركة الى التصنيف الصباحى فقرأ الأولاد ضاحكين :

٣٢	فيات	أحمر	ملاحظات
١٣	مرسيدس	أبيض	
١٢	بيجو	أبيض ورمادى	
١٩	مرسيدس	أحمر	
٦.	انواع غريبه	متباينة	

سألتنى عن محصول اليوم أو فاتورة الحساب فضحكنا عالياً وكذا ضحكت عناوين الجريدة الحمراء .. يوم ظهور نتيجة الليسانس كانت مسافة الطريق الصباحية تستعصى على العدّ .. لا أذكر بعدها أنى بقيت على ولائى القديم لهوايتى الأثيرة لكنى بقيت أغنى كل صباح وأكرس فى اليقظة أضغاث سفر مستحيل .

*

منذ أيام خضت نفس الطريق بعد غياب .. لم ترد على خاطرى الأرقام والألوان والملاحظات .. عند البواية العالية توحدت عيوننا على ذات المسار المُندّى .. تصافحنا .. طالت إغفاءة يدها فى كفى الساخن .. انبعثت كلمات غريبة لا أذكرها ربما لأنى لم أكتبها على السنتيمترات البيضاء .. بعد وقت طويل خرجت حروفها مرتبكة :

— غبت .. !

لم تسعفنى مهارتى القديمة فعقبت مهزوماً :

— الجيش ...

مشينا .. عادت آلاف النجمات تلوح فى نفس السماء الصباحية الباردة .. زوت المقدمات والنتائج والترتيب فى غفلة من التوقع .. بدا رجع الكلام البعيد ماثلاً : حدة المناقشة ، الوعود / الرمال ، شكسبير ، اليوت ، الرصيف ، تعليق الصحاب ، طريقة حديثها بالإنجليزية فى محاضرة الدراما والشعر .. جعلت تفرك فى أصابعها : كانت بيضاء منسابة خالية إلاّ من خاتم ذهبى أعرفه .. أخيرا : هى والنيل والسيارات وعينها المزدحمة بالسؤال .. هذه المرة خاو نطاقى سوى من ريش ملون وهلام .. قالت مبتسمة وقد أدركت أن الغرّ القديم بكلماته وكذبه الجميل وتواريخ بناء اشجاره يحزنها :

— اذن فمازالت تكتب حكايات .. ؟

— طبعاً ...

ضحكت وقد وارت انفراج شفتيها بكتاب فى يدها .. شاركتها فلم يكن متاحاً سوى الضحك والصمت .. كانت تشرب عصير البرتقال وتشرح مدى صعوبة الدراسة فى دبلوم عن « يوجين أونيل » والأدب الأمريكى فى القرن العشرين .. تحدثت عن ابن خالتها العائد من الكويت وعن الزحام والبنايات العالية والسيارات والمعيد والماجستير .. كنت أنظر الى دفاترها وأصابعها والخاتم وإلى غطاء زجاجة المشروب المدور تحت قدمى .. مضت إلى المحاضرة .. لوحت من بعيد طويلاً .. اجتزت البوابة الى الرصيف والنيل .. عند الكوبرى توقفت قليلاً لأسجل على السنتيمترات البيضاء فى الصفحة الأولى .

العدد ....

اللون ....

الماركة ....

المنصورة : ايمن السميرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مساء الخير يا أمنا الجميلة

(دراما شعرية من فصل واحد)

وليد منير

شجرةُ سنطٍ عجوزٌ بجذعها الضخم ، تنتصبُ بين منحدرٍ خالٍ يفضى إلى تُرْعةٍ عميقةٍ ومتسعةٍ وبين فضاءٍ من الأرض مقسومٍ بدوره إلى قسمين : طريق ممهد للسير ، طويل ورفيع بعض الشيء ، تتلوه مساحاتٌ خضراء شاسعةٌ على مَدِّ البصر ، يتناثر فيها عددٌ من الاكواخ التى تفصل بعضها عن بعض مسافاتٌ كبيرة ، ساقيةٌ تدور حيناً وتتوقف حيناً آخر ، بناءٌ ابيضُ بعيدٌ اشبه بالمدرسة ، تقف الشجرة العجوز كالزمن فى يسار المنظر ، قريبة ، واضحة فيما يلوح البناءُ الأبيضُ العريضُ المكوّن من طابقين منخفضين فى اقصى العمق من اليمين .

الضوء يشى بصباحٍ صَحْو

الفتى والفتاة يجلسان على حافة الترعة ، فى يد كلٍّ منهما سنّارةٌ لصيد السمك ، السنارتان مغموستان فى الماء ، الشجرة تضفى ظلها عليهما فى صمت ، بين حينٍ وآخر يمر عبر الطريق الممهد للسير فلاحٌ عجوزٌ او رجلٌ او صبى .

الفتى نحيلٌ فى الثامنة عشرة ، والفتاةُ ذات شعرٍ قصير ، سمراء ، وتصغره بنحو عامين .

الفتاة : أحس بالرغبة فى أن يثبَ الزمنُ
إلى بعيدٍ مثل عصفورٍ
لكى تصبحَ أحلامى حقيقةْ

الفتى : سألتُ هذى السنطة العجوزَ مرّةً عن الأحلام كيف نستطيع أن نصيدها فضحكَتْ

الفتاة : أنتَ عجوزٌ مثلها

الفتى : أحبّها كأنها أمّى

الفتاة : أمّى تقول إن جدى كان يستلقى كثيراً فى ربيعٍ ظلّها

الفتى : هل اعترفتْ مرةً لها بشىء ؟

الفتاة : اعترفت لى هِىَ ذات يومٍ بحنين روحها إلى الخلود

الفتى : (ناظراً إليها بمزيجٍ من الرغبة والحنان)
كم كَبُرْتِ يا صغيرتى !

الفتاة (فى دلال) : وأنتَ ايضاً كم كَبِرْتَ يا صغيرى

الفتى (ضاحكاً) : ماكرةٌ

الفتاة : مكابرٌ

الفتى : مغرورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفتاة : إذن ، لماذا تنحنى على فؤادى كى يَـرِقَّ لَكْ ؟

الفتى : لأننى أبصرُ فيه قَمَرَ العالمِ

الفتاة : هل تمشى على شواطىء الليلِ وحيداً ؟

الفتى : دائماً أمشى على شواطىءِ الليلِ

الفتاة : هل اعترفتَ للسنطةِ ؟

الفتى : كم خلوتُ بالسنطـة كى أودِعَها أسـرار روحى

الفتاة : هذه خيانةٌ

الفتى : لا .. هذه معجزةٌ

الفتاة : ألم أقل مكابر ؟

الفتى : حقيقة .. معجزةٌ !
أنا أراك كلما جئتُ إليهـا دون أن يكون وجهك الجميلُ صوْبَ عينىَّ كأنما تَعَوَّدتْ خطاىَ أن تراكِ

الفتاة : هل تُصدِّقُ الخُطَى ؟

الفتى : أصدِّقُ الدروبَ

الفتاة : مرّتـين أو ثـلاثةً أتـيت وحدى هاهنا
كنت أريد أن أضمَّ جذعها إلىَّ ثم أبكى وبكيت

: قلت : يا أيتها السنطةُ هل يحبّنى ؟

الفتى : قالتْ ؟

الفتاة

(ضاحكة) : هسيسُها سرٌ كبيرٌ
سيظلّ بيننا
ولن أقولَ لَكْ !
(بسرعة يسحب الفتى سنارته إلى أعلى)

الفتى فى فرح : لتنظرى
هل ظفرت سلَّتُك الخاليةْ
بمثل تلك السمكةْ ؟

الفتاة : فيما مضى

الفتى

(متأملاً) : كبيرةً جداً .

الفتاة : كأنها تضىءُ

الفتى : هذه هديتّى لعامك السادس عشر

الفتاة

(تنظر إلى الوراء) جَرَسُ المدرسةِ البعيدةْ
سوف يدقُّ بعد أسبوعين

الفتى : هل سنلتقى كل مساءٍ مثل كوكبين ؟

الفتاة : عند سنطةِ الحياةِ ؟

الفتى : عند سنطةِ الحياةِ

الفتاة : ياله من سارقٍ يلوذ بالفرار صيفُنا القصيرُ

الفتى : فى خزانة الفصول الأربعة
خَبَّأتُ حبّى لَكْ
وقلت : ياحبّى أنا أمانةٌ لديكْ
فلا تدَعْها تزهدُ الفصولْ

(يـداً فى يـد ينهضـان عـلى مهـل . يستديران . يتأملان المساحات الشاسعة ، فيدقُّ جرسٌ بعيدٌ ، وتدور الساقية)
(إظلام)

* * *

الضوء يشى بالغروب

فلاحٌ عجوزٌ يجلس تحت الشجرة ويأكل .
ثلاث فلاحات يجلسن عند المنحدر . يغسلن ثياباً او يملأن جراراً ويتحدثن .

هى (١) : ونحـن صغيـران كـم فتحتْ هذه الشجرةْ ساعِدَيْها لنا .

هى(٢) (ضاحكة) : تحبّينه رغم ما كان مِنْهُ ؟

هى(١) : يريد عيالاً

هى(٣) : له عُذْره ...
كما أنه لم يزلْ يتمنّى رضاها
ويأتى لها بالكثيرْ

هى (٢) : الرجال جميعاً لدىّ سواءُ

هى (٣) : كعهدك قاسيةٌ !

هى (٢) : وكعهدك مخدوعةٌ !

هى (١) : هذه الشجرةْ
زمنٌ كاملٌ

هى (٢) : شاهدٌ

هى (٣) : أنتما تلحظان العجوزْ ؟
دائماً يتأملها فى شجَنْ

هى (٢) : ربّما كان أيضاً يكلمها

هى (١) : ذكرياتُ الفؤادْ
لاتمر سريعةْ
إنها غضّةُ الرائحة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتظلّ برغم السنين التى عَبَرَتْ مثل وشم
على الجلد
ليس له أن يزولْ

هى (٢) : آه ..
أنت خياليةٌ
وأنا لا أطيقُ الخيالْ
أزفَ الوقتُ
هيّا بنا

(هى (٢)
وهى (٣) : تنهضان . تحملان حاجاتهما وتتأهبان للرحيل)

هى (١) : سأظلّ قليلاً
هى (٣) : كما ترغبينَ
هى (٢) : غداً
هاهنا قد أراكِ
ادفعى عنك هذا العجوزَ
فلو بدأ الثرثرهْ
لن يَكُفَّ

هى (١) : (مبتسمةً فى عطف) وحيدٌ ..
ولكنه طَيِّبٌ

هى (٢) : تصبحين على خَيْرٍ
(هى (٢) ، هى (٣) تخرجان من يمين المسرح)

العجوز : لكل زمانٍ أذانٌ
هى (١) : تكلّمنى ياأبى ؟
العجوز : لا ..
أقول لنفسى
لكل زمانٍ أذانُ

هى (١) : رأيتُ حفيدتك الرائعهْ
أمس
تلهو كزنبقةٍ
كفراشةْ
ورثتْ من أبيها شقاوَةَ عينيهِ
لكنها أمُّها بالتمامِ ! :
الجبينُ
الفمُ
الأنفُ
شعرُ الحريرِ

العجوز : أبوها مضى قبل موعدِهِ

هى (١) : ياأبى
حكمةُ الله
لكنها قمرٌ
بارك الله فيها

العجوز : وبارك فيك

هى (١) : وفى أمّها ...
سيطول بقاؤك حتى
تراها عروساً

العجوز : أنا ؟
لا أظنُّ
تمنيّتُ لو أننى هذه الشجرةْ
بصلابتها
ومهابةِ أغصانها
كى أقاومَ ريحَ الزمانِ
ولكننى سأسافرُ عما قريبْ

هى (١) : يا أبى
هذه الشجرةْ
هى أنتَ
أتذكرُ
أنك كنت تداعبنى تحت أفيائهاوأنا طفلة ؟
أنت والشجرةْ
أصلُ أحلامِ هذا الترابِ
وتلك النجومْ

العجوز : ربما كانت الشجرةْ
وحْدَها أصل شىءٍ كهذا .

هى(١) : قم معى ياأبى
العجوز : لا .. سأبقى قليلاً
هى (١) : هواءُ المساءِ شديدُ البرودةِ
العجوز : كالذكرياتِ
هى (١) : الصغيرةُ تشتاق أن تتواثب بين يديكَ
العجوز : وبى رغبةٌ يا ابنتى مثلها أن أكرِّرَ مافاتَ
أن أتواثبَ بين يدىْ هذه الشجرةْ

هى (١) : كم لها من بهاءٍ
وحزنٍ
وحكمةْ !
العجوز : إنها نفسها
هى (١) : بينما نحنُ
العجوز : لسنا بأنْفُسنا
هى (١)
(تنظر إلى فوق) القمرْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العجوز : جاء كى يتعلّم منها
هى (١) : دروسَ المساءِ ؟
العجوز : دروس الحياةِ بأكملها
هى (١) : طيّبٌ يا أبى
أنت !
العجوز : يوماً ستسمع فيها حفيدةُ قلبى صدايَ
كوشوشةٍ
هى (١) : ستقول لها الشجرةْ
كل شيءٍ عن الحبِّ
العجوز : والموتِ
هى (١) : والفرحِ البكرِ
العجوز : والذكرياتِ
هى (١) : وحزنِ المواويلِ
العجوز : والرحلةِ الدائمةْ
(يشرق ضوء القمر أكثر فأكثر)
(موسيقى مَوّالٍ تأتى من بعيد .
يستمر صوتُ الناى لبعض الوقت)
(إظلام)

* * *

الضوء يشى بالغروب

(الفتاة تقف وحدها
تعترف أمام الشجرة)

الفتاة : قولى لى
هل أبصرت الماءَ يَمُرُّ على جسدى
ليزمزمَ أفراحى
هل أبصرت حبيبى يأتى
ليربّت فوق يدى
ويقول : أنا عطشانُ للظلْ ؟
ياشجرةْ
كيف يكون الوقتُ لنا
والأمكنةُ الأخرى
كيف تكون لنا ؟
ياشجرةْ
هل أوْدِع جدّى فيكِ أمانةً ؟
هاتى أسرارَ الغيمِ إذنْ
لأطمْئِن سنبلةً فى قلبى
هاتى شوقَ الغصنْ
لأطمئن طائر أحلامى
الفتى يدخل
تلتفت إليه الفتاة
يتعانقان
الفتاة : قد تأخرت قليلاً
الفتى : إغفرى لى
الفتاة : كنت أحكى شجَنى للغصنِ
الفتى : بالأمسِ
أتتنى الشجرةْ
لم يكن حلماً
وأيضاً
لم يكن صحواً
أتتنى الشجرةْ
حالةٌ ما بين بينْ
كانت الساعة بعد الواحدةْ
قلت : يا أمى الجميلةْ
أين عصفور المساء
هَمَسَتْ :
بين سماءٍ وحظيرةْ
ومضتْ
الفتاة : كيف تركتَ الغصن يمضى ؟
الفتى : كنت تعبانَ
الفتاة : وماذا قد فهمتْ ؟
الفتى : غنوةً غامضةً
الفتاة : أمىّ مريضةْ
الفتى : وأبى سافرَ
الفتاة : أينْ ؟
الفتى : لبلاد الزيتِ والأقمارِ
الفتاة : جدّى كان محظوظاً
الفتى : لماذا ؟
الفتاة : لم تكن أيامه تعرفُ أسفاراً
وكان الحبُّ أجملْ
الفتى : وطواحين المسافات أقلّ
الفتاة : والمدى ؟
الفتى : كان المدى أوسعَ
الفتاة : والأشجارُ أعلى
الفتى : والعصافير كثيرةْ
الفتاة : والأغانى
الفتى : وحقولُ القمح
الفتاة : أخشى أن يسير الزمن الآتى على عكّاز
خوفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفتى : شَدَّ ما أنت رقيقةْ !
الفتاة : غَنِّ لى
(الفتى يغنى) : يا ملاكاً واقفاً فوق جفونى
لا تدع حُلمى يُوَلّ
لا تدع قلبى يَنَمْ
يا ملاكاً : بين عقلى وجنونى
صرت أهواك فقل لى
كيف تختار الختامْ ؟
الفتاة : عذبةٌ نبرةُ صوتكْ !
الفتى : تتمشَّيْنَ قليلاً ؟
الفتاة : بل أعودْ
الفتى : لِمَ والحلمُ قصيرٌ ؟
الفتاة : فى غدٍ تكملُ لى أغنيتى .
الفتى : والشجرةْ ؟
الفتاة : أمى الجميلةْ ؟
الفتى : امّنا
الفتاة : سوف نراها فى غدٍ
نحكى لها عن قمرٍ
تحكى لنا عن موجةٍ
الفتى : كل غروب فاتنٌ
بين يديها
فاتنٌ بين يديكِ
الفتاة : لِنَعُدْ يا مَلِكى
الفتى : هيا بنا يا ..
ياملاكى .

(يداً فى يدٍ يخرجان)
تتغير الإضاءة
الضوء الآن يشى بالصباح فى أوّله

يدخل فلاحان .

هو (١) : سيقطعون الشجرةْ
ويردمون الترعة الآسنةْ
لكى يوسِّعوا من الطريقْ
هو (٢) : حسنٌ .. هذا حَسَنٌ
لو أنهم قد فعلوا من قبلُ !
هو(١) : شهراً واحداً
ويغمرالأسفلتُ هذى السكةَ المتربةْ
هو(٢) : على امتدادها !
هو(١) : على امتدادها .
هو (٢) : كم عمر هذى الشجرةْ ؟
هو(١) : آه . كثيرٌ
إنها أول شىء فى حياةِ الناس هاهنا
قبل المياهِ
وفضاءِ الزرعِ
والعمرانْ

هو(٢) : منذ سنين عشرْ
كان عجوزٌ من أهالى القريةْ
يكاد لا يبرحها
هو (١) : أذكره
كان يحبّها .
هو (٢) : كم يتغير الزمنْ ؟
هو (١) : فيولد المكان من جديد .
هو (٢) : ويولدُ الناسُ على شاكلةٍ أخرى .
هو (١) : نعمْ
هو (٢) : وهكذا الحياةُ
هو (١) : دائماً تجرى ولا تلحقها الخطى
هو (٢) : ولن تلحقها الخطى !

(يخرجان من الناحية الأخرى)
تتغير الإضاءة
الضوء الآن يشى بالغروب مرةً أخرى

(الفتى يقف وحده أمام الشجرة)
الفتى : ياشجرةْ
لِمَ لَمْ يأتِ ملاكى ؟
لِمَ أخّرتِ خطاه عن الأغنيةِ الموعودةْ ؟
ياشجرةْ
يا أمَّ العشّاق المفتونين بنور القوسِ
الغاربْ
شعْرُ الشمس طويلٌ حتى التعبْ
لكن العمر قصيرْ
قولى لى ماذا أخّرها ؟
فأنا ملهوفٌ أن أكمل أغنيتى
قولى لى
ماذا يحبس أحلامى فى قفص الوقتْ ؟
فأنا أصبو لجَناحَىْ عصفورْ
هل قررت أخيراً
أن تتخلّىْ عن كنز الروحْ
هل قررت أخيراً أن نمضى
أو أن تمضى
قولى لى
فأنا لا أتحمّلُ أحزانكْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(يبكى) يا شجرةْ

(إظلام)

* * *

الضوء يشى بالغروب

جرس المدرسة يدق
الشجرة مقطوعة حتى الجزء الأسفل من جذعها

تدخل الفتاة وقد بدا عليها حزن عميق . تسير ببطء إلى الجذع الضخم المستدير . تجثو أمامه فى انكسار وتبكى .

الفتاة (تتحسس الجذع المتشبِّث بالأرض)
صوتُ جدى يموتْ
تتلاشى الغصونُ الوحيدةْ
تنطفى شمعةُ العمرِ
آهٍ ..
هواء المساءِ ثقيلْ
وأنا لا مكانَ لقلبى
لماذا تودّعنى
يا حبيبى ؟
لماذا تودعنى ؟
قصّتى بعدُ لم تنتهِ
الذكرياتْ
من يدى هربَتْ أغنياتى
هربت من يدى ياحبيبى الطيورْ
بردُ روحى شديدْ
أين دفءُ الرَحِمْ ؟
قفصى مغلقٌ
أين حرّيتى ؟
ورغيفى دموعْ
أين سنبلتى ؟

يدخل الفتى مرهقاً ، وملامحه تفيض بالحسرة . فى يمينه سنارته وفى يسراه سلته . يقف بعيداً بعض الشىء ويرقب الفتاة فى ألم .

الفتاة (بعد برهة من الصمت)
مات ظلّك يا شجرةْ
مات حتى الأبدْ
فضحوا سرَّنا
ومضوا
هؤلاء الرجالْ
يالقسوتهمْ !
مات نورك يا شجرةْ
هل أخذتِ زمانى معك
وتركتِ لعينى الرمادْ ؟
أنتِ
آهٍ
بعيدةْ
وأنا لا مكان لقلبى

الفتى : يا ملاكى
(يضع حاجاته ويقترب منها ويطوِّقها بيده . تنهض باكية)

الفتاة : أنا
لا ..
أنا لم أعد يا حبيبى ملاكاً
لقد كسروا أمسِ أجنحتى

الفتى : وأنا لم أعد مَلكاً
لقد انتزعوا التاجَ من فوق رأسى وألقوا به تحت أقدامهمْ

الفتاة : هل أتيت لتصطاد آخر أسماك أحلامنا ؟

الفتى : ربما اليوم
اصطاد ذكرى تفرُّ

الفتاة : ستمضى الظلالُ بلا عودةٍ
(يجلسان ملتصقين على حافة الماء . يدلى الفتى بسنارته)

الفتى : غبتِ يومين
كانا كأنهماَ
سنواتٌ من التعبِ اللانهائىِّ
كانا كأنهما
عدمٌ
يستبدُّ بشمس وجودى

الفتاة : جلستُ وحيدةْ
أُحَدِّقُ فى وجه أمّى الذى يعتريه الشحوبْ
فإذا ما فرغتُ استدرتُ إلى شرفتى لأُحدِّق
فى جسد الشجرةْ
وقد إنهار ينبوعُ أيامهِ

الفتى :

(مستنكراً) وأنا أتعذّبُ وحدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفتاة : تخيَّلتُ أنك سوف ترى
صورتى
فوق مرآة قلبكْ

الفتى : آه
لا شىء قطُّ يُعَوِّضنى
عن مرور يديك على جبهتى
عن مداعبتى خصلةً
يستعير النسيمُ ارتعاشتها
عن ملامستى للعبير الذى
يعتريك كأنشودةٍ

الفتاة : أنا كل هذا ؟

الفتى : وأكثر
لو تعرفينْ !

(الفتى يسحب سنارته)

آهِ
لا فائدةْ

الفتاة : مات كل السمكْ

الفتى : لِمَ لا
أوَلَم تمت الشجرةْ ؟
أولم يمت الطفل فى زاويةْ ؟
أولم يمت الضوء فى كلمات السراجْ ؟

الفتاة : لمن سوف يعترف الطائرُ الذهبىْ ؟
لمن سوف يعترف العاشقون الصغارْ ؟

الفتى : هذه ليلة الإعتراف الأخيرْ

الفتاة : لنُلْقِ بآخر أغنيةٍ فى الطفولةْ
إلى جذعها .

(ينهضان ويتقدمان صوب الجذع . تقترب الفتاة)

الفتاة : سامحينى
أنا لم أسدِّد لك الدَّينَ
لم أستطع أن أحبَّك
مثل ملاكٍ
لأنى هربت إلى وحدتى
وتركت الرجال القُساةَ
يهزون فى وجهك الفأسَ
كنت أُحِسُّكِ فى داخلى تستغيثينَ
لكننى خفت أن يعرفوا
أن أسرار قلبى
ترفرف فى كل غصنٍ
وتخفق فى كل ريحٍ تهبُّ
تركت مكان فؤادى لهمْ
وهربتُ
وكنت أرى
صوت جدّى
وحلم خطاى
وشمس حنينى
أرى كل شىء يسيل دماً
ويعضُّ الترابَ
وينظر لى فى عتابٍ
ويصمت حتى الأبدْ

(يقترب الفتى)

الفتى : ندَمِى لا يُحَدُّ
وحزنى يفيضُ كما الخمر عن كل آنيتى
لا إجابات عندى
بالضعفى
وبالتردد روحى أمامك !
كيف سمحت لعينىَّ أن تغفلا عنكِ
فى لحظةٍ
فإذا بكِ تحت يدى جثةٌ ؟
كيف قلت الزمان يدورُ
وأسلمتُ نفسى إلى الذكريات التى كنتِ
ينبوعَها الأبدىَّ ؟
أنا مَلِكٌ خائبٌ
لم أدافعْ عن الحبِّ
لم أنتقمْ من عدوى
أنا لست أهلاً لظلٍّ تفيَّأتُهُ تحت
شمسكِ
لست جديراً بعطفكِ
أو بحنان فتاةٍ سبتنى برقّتها فى جوارك
هل أستطيع مواصلة الأغنيات الجميلةِ
من بَعْدُ ؟
لا ..
فأنا قد تخلَّيت عن نُبْل مملكتى للغزاة
وأطلقت ساقىَّ للريح
لم أعتقدْ فى شجاعة قلبى
ولم أر مثلى جباناً
لذلك لن أستطيع مواصلة الأغنيات
الجميلةِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا زمانٌ غريبٌ عليَّ
ولكنه قادرٌ أن يمد مداراته كي
تغطّي جميع السمواتِ
آهٍ
زمانٌ غريبٌ

ولكنه قادرٌ أن يراني
ويهزمني .
(يدق الجرس من بعيد بشكلٍ جنائزيٍّ هذه المرة . وتدور الساقية)
(إظلام)

القاهرة : وليد منير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعمال كمال أمين عوض بين العالمية والوطنية الفنية

● د. محمد جلال عبد الرازق

« عالمية الفن » التى تعطى للفنان ـ من خلال ابداعاته ـ حق التعبير وتسجيل حياة شعوب غير التى ينتمى إليها وتحدد دوره فى نقل هذه الثقافات ، نستطيع من بين الأمثلة الكثيرة عليها أن نتلمس انعكاسات عراقة فنوننا وأصالتها فى أعمال فنانين ، ممن كشفت عناصر تكويناتهم بوضوح عن عشقهم لها . مثلما نستطيع من خلال هذه الأمثلة أيضاً معرفة ما يعرض منها سواء على شكل تعبيرات أو لمجرد التسجيل أو النقل .

فأمام لوحة الفنان بول جوجان (Paul Gauguin ، ١٨٤٨ ـ ١٩٠٣) التى نفذها أثناء حياته فى جزر البحار الجنوبية فى أواخر القرن التاسع عشر سنجد أنفسنا حائرين بين موضوعها الذى يصور جانباً من حياة أهل هذه الجزر وبين حركاتهم المأخوذة من حركات صور العازفات الفرعونيات وحارثى الأرض .. خصوصاً أن المسألة هنا تدور حول فنان فرنسى ولوحة تعبر عن حياة شعب يختلف فى عاداته عن كل من العادات الفرنسية والمصرية القديمة . هذا الامتزاج الغريب ليس إلا انعكاساً واضحاً لسيطرة روح الثقافة الفنية المصرية ، لا على التشكيل وحده وإنما أيضاً على وجدان هذا الفنان الذى لم يبال بأن ما ارتبط بذهنه من فن عريق قد يبتعد كثيراً بمعنى أحد أعماله عن الواقع (حتى لو أنه رأى علاقة بين عودة المومياوات المصرية والشخصيات الزومبياوية إلى الحياة ، حسب الأسطورة) . مثال آخر لفنانة يوغسلافية شابة ومعاصرة ـ عكست لوحاتها أيضاً عشقها لفننا المصرى القديم (الفنانة دوسيكا ذاروفيك Dusica Zarovic مواليد ١٩٦٠ ـ خريجة معهد الفنون ببلجراد ، حضرت عام ١٩٨٨ إلى قسم الجرافيك بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة كدارسة مستمعة) ، اذ نستطيع أيضاً للوهلة الأولى ملاحظة السمة الفنية الفرعونية مختلطة فى بعض أعمالها مع الأسلوب الذى اختارته : فنفرتيتى فى إحدى لوحاتها قد نقلت وحفرت على الخشب بطريقة الطباعة الملونة ، أما فى لوحة «٢» فتبدو ـ السيدة الجميلة زوجة الفرعون ـ فى أناقتها تصل إلى ارتدائها أفخر الثياب . وفى لوحة اسمتها « أحبُّ من أُحب » (تقصد بهذه التسمية على حد قولها حب مصر وفنونها) تبدو عناصرها الانسانية ذات السمات الفرعونية كأنها عارضات للأزياء ، أو بمعنى آخر وكأننا نرى فتيات اعلانات الفنان هنرى دى تولوز لوتريك (Henri de Toulouse -- Loutrec ، ١٨٦٤ ـ ١٩٠١) فى هيئتهم الفرعونية . هنا نرى الانسجام بين الروح المصرية القديمة وأسلوب الفنانة رغم عدم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقيدها بالنسب المعروفة والألوان المصرية .

والحق أن وجود هذه السمة واضحة فى أعمال هؤلاء — أو غيرهم — ليس إلا تعبيراً عن حالات صادقة فى حب فنوننا وأصالتها ، وكنوع من استخدام لغات فنية عالمية متداولة .

وكذلك نرى هذه « العالمية الفنية » فى أعمال بعض فنانينا .. خاصة هؤلاء الذين تأثروا بأساليب لفنانين عالميين أو أولئك الذين انتموا بالفعل بأعمالهم وبأفكارهم الفنية إلى مدارس أوربية حديثة لها تأثيرها القوى واذا كنا فى هذا نستطيع أن نجد الأسباب للذين يعالجون فى لوحاتهم موضوعات لها معانيها الإنسانية المطلقة فى محاولاتهم للبحث من أجل الابتكار ، فإننا فى الوقت نفسه وفى أحوال كثيرة قد لا نجد أى سبب فى بعدنا الكامل عن « وطنيتنا الفنية » ، خاصة فى تلك الأعمال التى تعبر عن واقع حياتنا وسط عالم ملىء بالأوطان والعادات والأذواق المختلفة .

فالفنان المنتمى إلى هذا البلد بتراثه الفنى وعاداته الاجتماعية والعقائدية له الأولوية فى القدرة على التعبير وعلى عرض قضاياه (محلياً ودولياً) مثلما له القدرة على استخدام تشكيلات فنونه وعناصرها .
ومن المحاولات الناضجة المبذولة من فنانينا للاتجاه بفنوننا من الوطنية نحو العالمية ، وضرب الفنان كمال أمين عوض (١٩٢٣ — ١٩٨٠) مثالاً واضحاً فى الانتماء إلى تراث فنى وفى طريقة عرضه (دولياً) وتطويره . وعلى مدى ثلاثة وثلاثين عاماً (حياته الفنية منذ تخرجه) . وهو واحد من الدارسين للفنون وللثقافات الأوربية (حاصل على

دبلوم الدراسات العليا من معهد فنون الكتاب بأوربينو — إيطاليا — عام ١٩٥٤ ؛ وشهادة القسم العالى من معهد « إستين » للطباعة عام ١٩٥٦ ودارس لقسم الجرافيك بمدرسة الفنون الجميلة العليا بباريس وحاصل على منحة فنية فى كلية الفنون الجميلة بأمستردام فى الفترة ١٩٧٥ — ١٩٧٦) وهو من القليلين الذين لم تجرفهم تيارات الغرب الفنية بعيداً عن تعبيراته ومحتواها المصرى شكلاً وموضوعاً .. حتى فى موضوعاته التى تعرض من خلالها لنواح إنسانية قد عولجت بوجهة نظره المصرية التشكيلية الصميمة ، حيث استخدم فى صياغته التشكيلية شخصيات وعناصر ذات قيمة جمالية .. جمعت بين البساطة كأسلوب والروحانية كإحساس والتراث كتطوير : هذه الصفات الثلاث ساعدت أعماله فى الاقتراب من سمات فنون فترة هامة من فترات تاريخنا الفنى (وهى فترة الفنون القبطية ، التى استمدت جذورها من أصول فرعونية ومؤثرات بيئية مصرية كانت استجابة للعقيدة المسيحية — واستمرت حتى بعد الفتح الإسلامى ، وقال فيها الدكتور باهور لبيب فى الجزء الأول من محيط الفنون — دار المعارف — إن آثارها .. هى : « المخلفات التى تركها شعب مصر قبل ظهور المسيحية بزمن طويل واستمرت امتداداً للحياة الشعبية المصرية إلى ما بعد دخول العرب مصر .. »).

وهناك عدة أشياء تؤكد أن أسلوبه وتعبيراته لم تكن عنده وليدة المصادفة أو رد فعل طارىء لموقف أو لحالة معينة أو نقل لعناصر تاريخية وإنما كانت انسجاماً بين حياته وفكره وبيئته وعقيدته :

والقريبون منه — فى حياته — يتذكرون هدوءه ، الذى انعكس فى أعماله وأصبح صفة عامة من صفات شخصياتها ، مثلما اثرت بساطته فى حياته وملابسه وعلاقاته بالآخرين على تصميماته ، فمثلاً : لوحة « الفتاة والقمر » فى بساطة تكوينها جمعت بين قيم تركزت فى : الروحانية التى أكدتها الفتاة الصغيرة (سليلة الفراعنة) ونظرات عيونها وتسريحة شعرها البسيطة وجلبابها الخالى من أى زخرف ، إلى جانب اللمسة الحزينة المتمثلة فى العلاقة بين هذه النظرة وسن الفتاة وخسوف قمر الخلفية . وهى القيم التى لم يستطع إخفاءها فى لوحته التى رسمها بألوان المياه ضمن مجموعته الأخيرة التى نفذها عام ١٩٧٦ رغم زخرفته لحلى الفتاة وللحمامة (انظر اللوحتين : ٤ ، ٩) .

والمتتلمذون على يده أو العاملون معه (من بينهم كاتب الدراسة) فى حقل التدريس بكليات الفنون الجميلة بالقاهرة والاسكندرية يستطيعون إدراك اعتماده فى شرح دروسه على بَثّ حب التمسك بالأصالة المصرية الفنية فى وجدان تلاميذه — الأصالة التى تكمن فى فنوننا الفرعونية والقبطية والإسلامية والشعبية — وصياغتها بما يتفق مع العصر الحديث ،

والمتأمل لأعماله يمكنه أن يلاحظ أن رؤوس شخصياته رسمت أشبه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمثلثات قاعدتها لأعلى ، مما أتاح الفرصة لصغر الفم ولاتساع العيون وللتعبير عن التفكر والتأمل ، أكد هما هروب القرنيات لأعلى والإحساس بثقل وكثرة ما يحمله العقل البشرى والمصرى بصفة خاصة ، وكأنه إحساس متطور لما تعكسه الصور الشخصية التى وجدت مرسومة على توابيت مقابر الفيوم منذ القرن الأول الميلادى .

وهناك واحدة من لوحاته نفذت فى امستردام أثناء منحته ، فيها يستطيع الدارس لأعماله وأساليبه الفنية من خلالها الوصول إلى صراعاته الداخلية بين التأثيرات الأوربية وتمسكه بمفهومه كمصرى ، وحدات معمارية غربية ، وبينما هى تعزف وتتناثر مجموعات الزهور واوراق الأشجار .. إلا أن ملامح هذه المرأة وحركات يديها كانت فرعونية . اذ عبر فى هذه اللوحة (رقم : ٧) عن الربيع فى بلد أوروبى بشىء من التحرر والترف على غير العادة باستخدام امرأة شبه عارية تقف فى ميدان وسط وهذه المحاوله فى جمع المصرية والأوربية تذكرنا بمحاولات الفنانين « جوجان ودوسكا » فى الأمثلة السابق ذكرها عن العالمية الفنية » ، وقد تعودنا أن نرى المرأة فى أعماله بطرحتها السوداء وعيونها المكحلة المسبلة وبمنديل رأسها وأقراطها وخلاخيلها ، ودائماً يأتى فى مخيلتنا عند رؤيتها أنها واحدة من بين من عاش وسطهن (فى ريف محافظة الغربية) أو ممّن شاهدهن فى جنوب الصعيد أو فى ريف منطقة النوبة أو ممن وهبوا حياتهم لخدمة قيم اسرية وعقائدية .. واما كفتاة فى ريف مصرى أو فى حى شعبى أو كطفلة مع أطفال يلهون فى شوارعنا وحوارينا (بنفس الألعاب التى لعبناها فى طفولتنا) .

ولو دققنا النظر فى تفصيلات لوحاته فسندرك أن الوحدات الزخرفية التى جاءت فى بعضها كانت تعبيراً عن مفردات شعبية : مثل التى حليت بها واجهات البيوت الشعبية وعربات « الكشرى » وعربات « الكارو » والتى زينت بها المنسوجات وغيرها . كما أن العناصر الكتابية فى أعماله كانت أيضاً تصويراً لعبارات متداولة (شعبية ودينية) : فمثلاً لوحة « المولد النبوى » (رقم : ٨) قد جمعت بين اركانها شخصيات بملامح السيد المسيح عليه السلام (فى حركات تذكرنا بما عبرت عنه لوحات الهروب إلى مصر) وعبارات مثل : « لا إله إلا الله » و « محمد رسول الله » وغيرها من الكتابات والأسماء التى امتلأت بها مساحات الخيام الزخرفية والبيارق والتى تتردد فى الموالد والأعياد والأفراح . كما أن دوره كفنان تشكيلى مسجّل للتراث وللثقافة يمكن تلمسه فى رسوماته العديدة التى تضمنتها موسوعة الأعلام ــ كتاب « الجوامع الإسلامية » وكتاب « القاهرة فى ألف عام » .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه المعانى استطاعت أن تصل إلينا من خلال أهم الصفات الجرافيكية الجمالية للأعمال المطبوعة والمرسومة .. والتى ندركها فى خطوطه (سواء المحفورة بالأزميل أو بالأحماض) وفى توزيعاته للأبيض وللأسود . كما انه بطباعته لهذين اللونين على أرضيات برنزية (فى بعض أعماله) زاد بساطة خطوطه ومساحاته غنىً ، مثلما زاد معنى ما يعبر عنه وقاراً . أما شفافية درجات الوانه المائية فأكسبت رسوماته لغة رقيقة هادئة وشفافية تقسيمات مساحاتها الماسية تشعرنا بالانسجام التام بين الشخصيات وخلفياتها المعبرة بصدق عن تجمعات بيوتنا القروية .

وخلاصة القول ، أن فنه ليس عودة إلى الماضى ، وإنما هى الأصالة تعود ــ عبر بساطة تكويناته ــ لتعرض واقعنا الشعبى ومفهومنا الوطنى . ممّا جعلها تستحوذ على احترام المتذوقين والنقاد .. حين قدمت فى معارض داخلية ودولية (فى الجزائر ، أوربينو ، باريس ، بيروت ، روما ، سان باولو ، فلورنسا ، كراكوف ، موسكو وفى السويد ، المجر ، النمسا ، الهند ، بلجيكا ، يوغوسلافيا وغيرها) لتنال الكثير من الجوائز بأهميتها ، الوطنية والعالمية » وبقيمتها الفنية .

القاهرة ــ د . محمد جلال محمد عبد الرازق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعمال كمال أمين عوض بين العالمية والوطنية الفنية

الفتيلات والمركب ، ١٩٧٢ ، حفر حمضى + طباعة برونزية ، مقاس : ٥ , ٤٣ × ٢٩ سم ،
نسخة معروضة فى مكتب الوكيل بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتاة ريفية بحليها الذهبية وأحجارها الثمينة ، ١٩٧٦ ، رسم بألوان المياه (طبعت فى بطاقات بمقاس ٣ ، ١٧ × ١٣ سم) ، الأصل مكانه غير معروف .

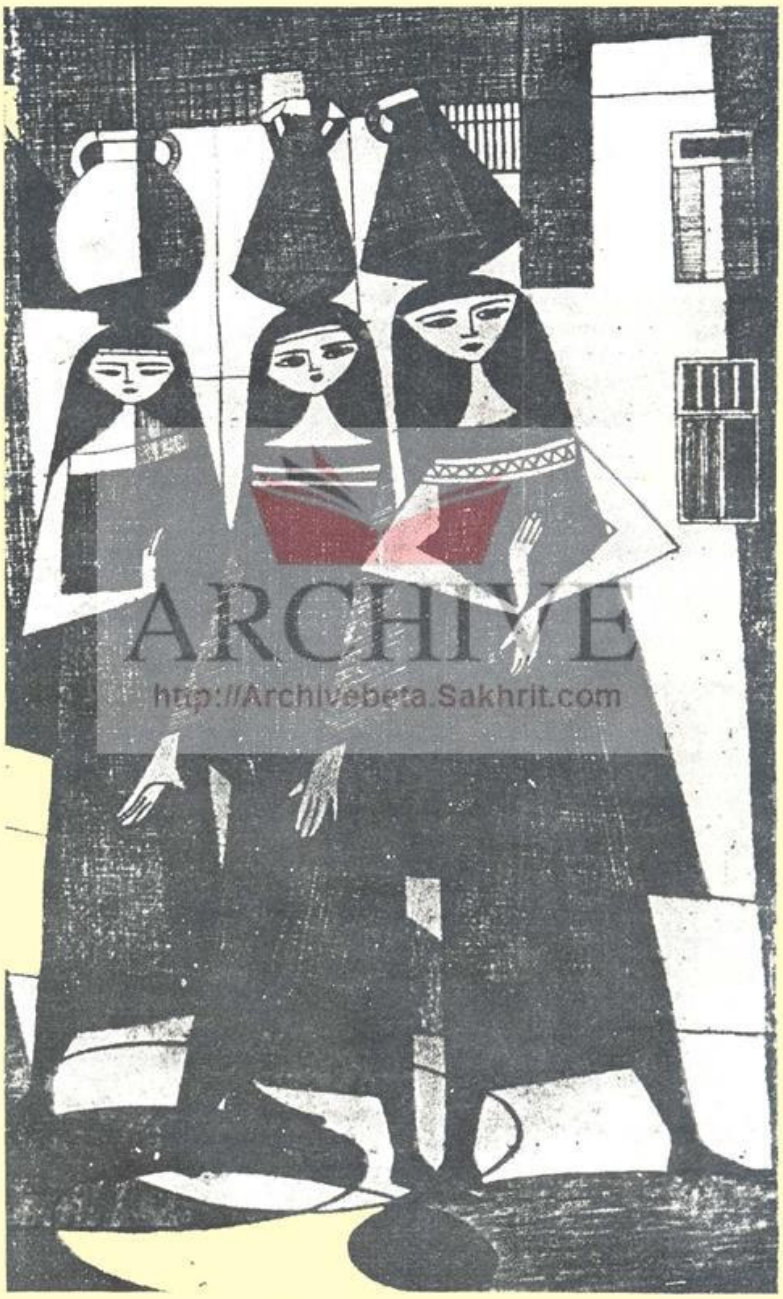

ثلاثة من بنات النيل ، ١٩٦٠ ، حفر حمضى (طباعة غائرة أبيض وأسود) ، مقاس : ٢ , ٢٩ × ١٧,٥ سم ، نسخة معروضة بمكتب عمارة كلية الفنون الجميلة بالقاهرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتاة ريفية ــ حاملة للزهور ، ١٩٧٦ ، رسم بألوان المياه ، (طبعت فى بطاقات بمقاس ٣ ، ١٧ × ١٣ سم)
الأصل مكانه غير معروف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

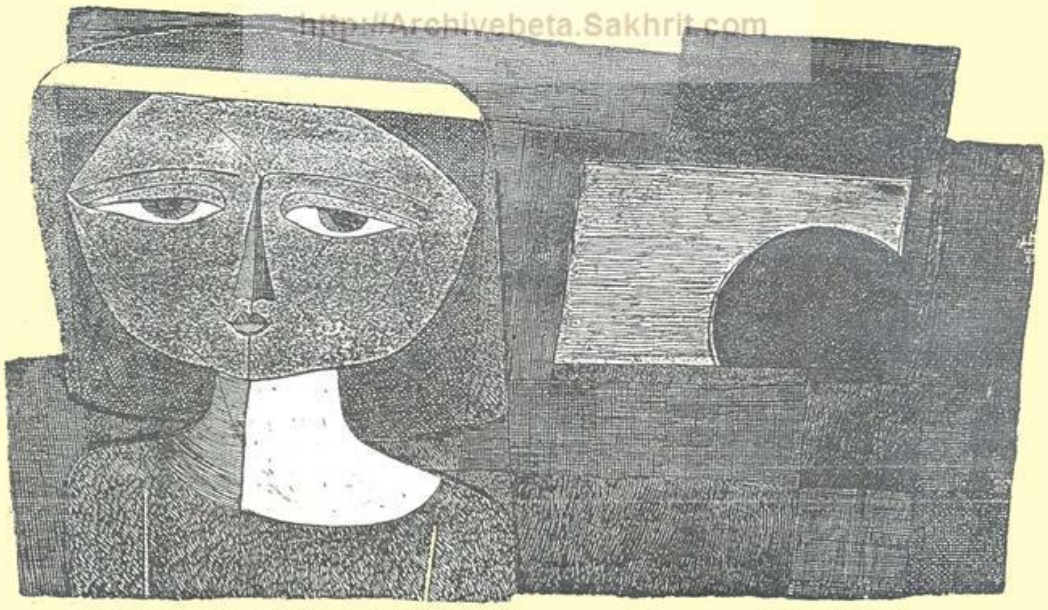

الفتاة والقمر ، ١٩٧١ ، حفر حمضى + حفر بالأزميل ، مقاس : ٢٨ × ٤١ سم ،
(طباعة غائرة أبيض وأسود) ، من مقتنيات أسرة الفنان الخاصة .

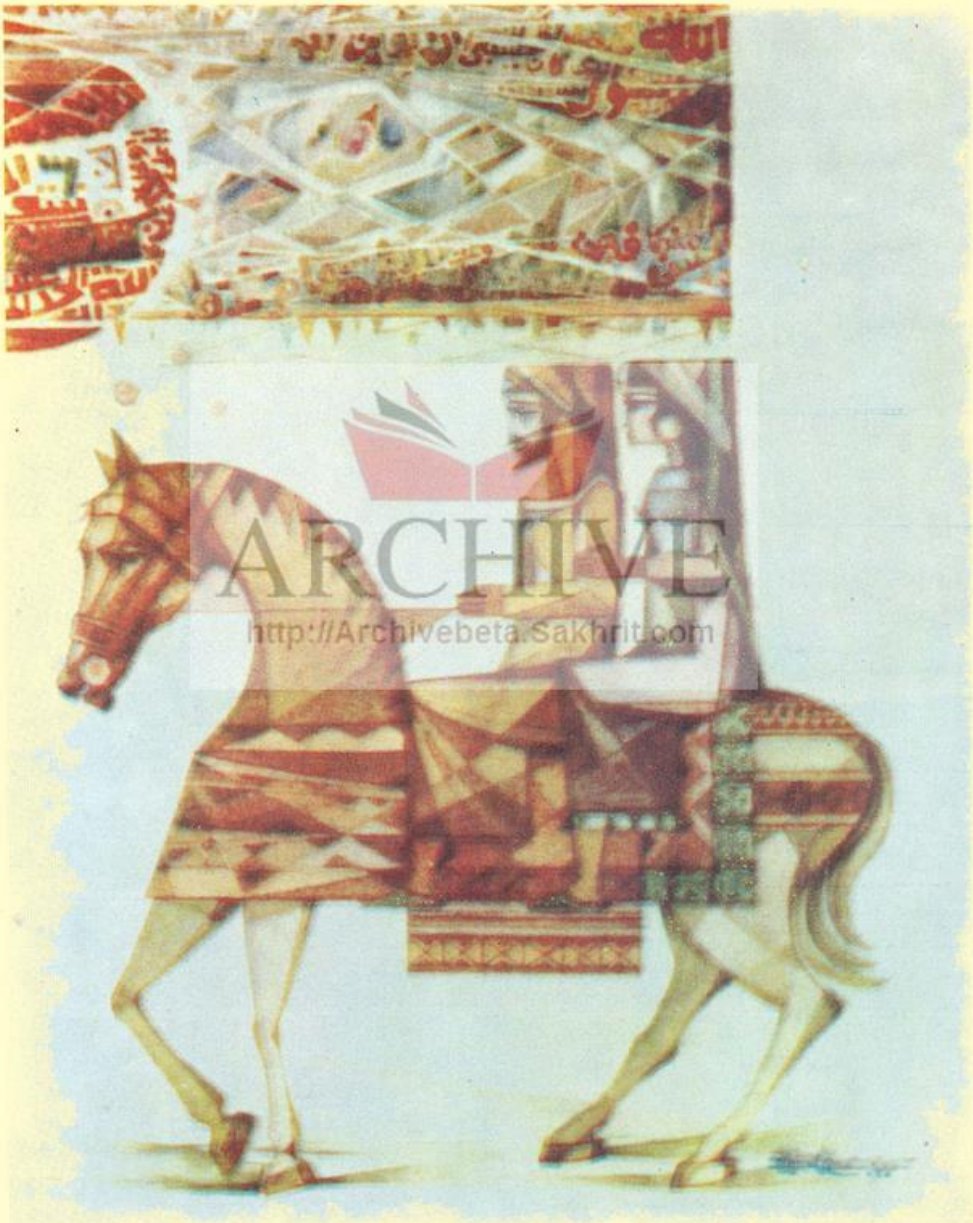

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمناسبة المولد النبوى ، ١٩٧٦ ، رسم بألوان المياه . (طبعت على بطاقات بمقاس : ٣ , ١٧ × ١٣ سم) ، الأصل مكانه غير معروف .

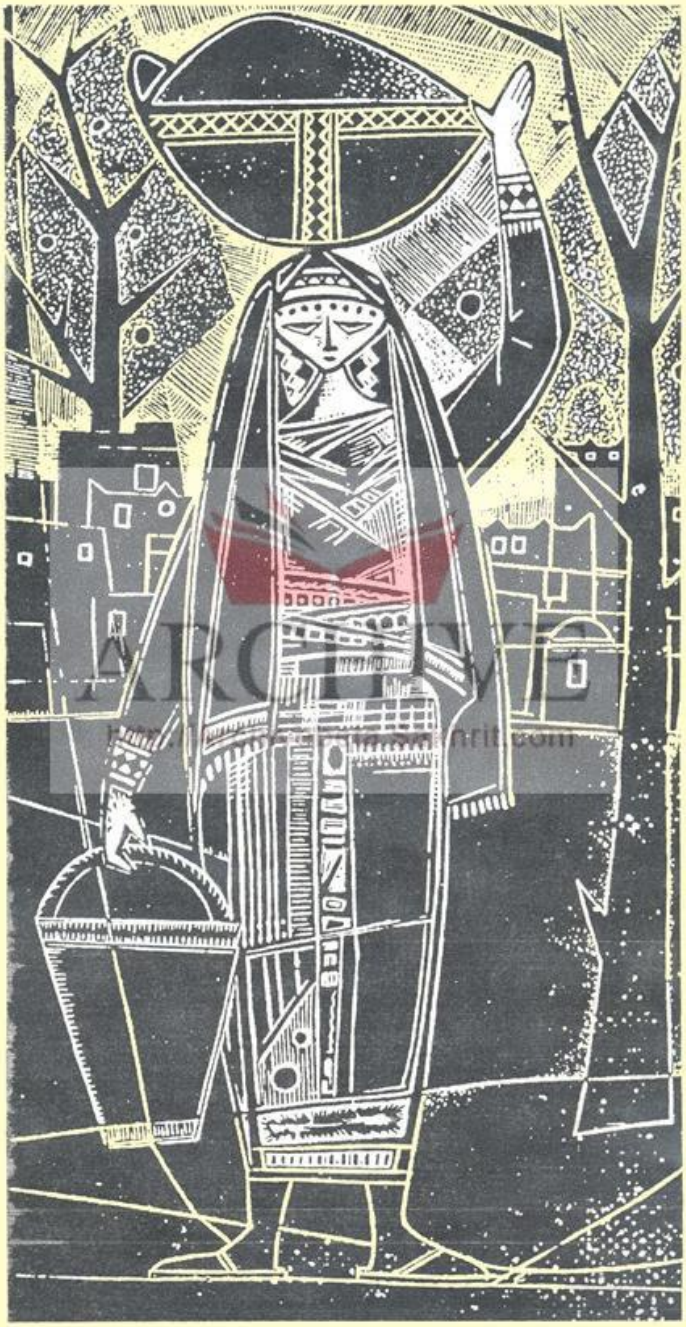

فتاة نوبية ، ١٩٦٥ ، طباعة بارزة من الينوليوم (أبيض وأسود) ، مقتنيات أسرة الفنان الخاصة .

صورتا الغلاف للفنان كمال أمين

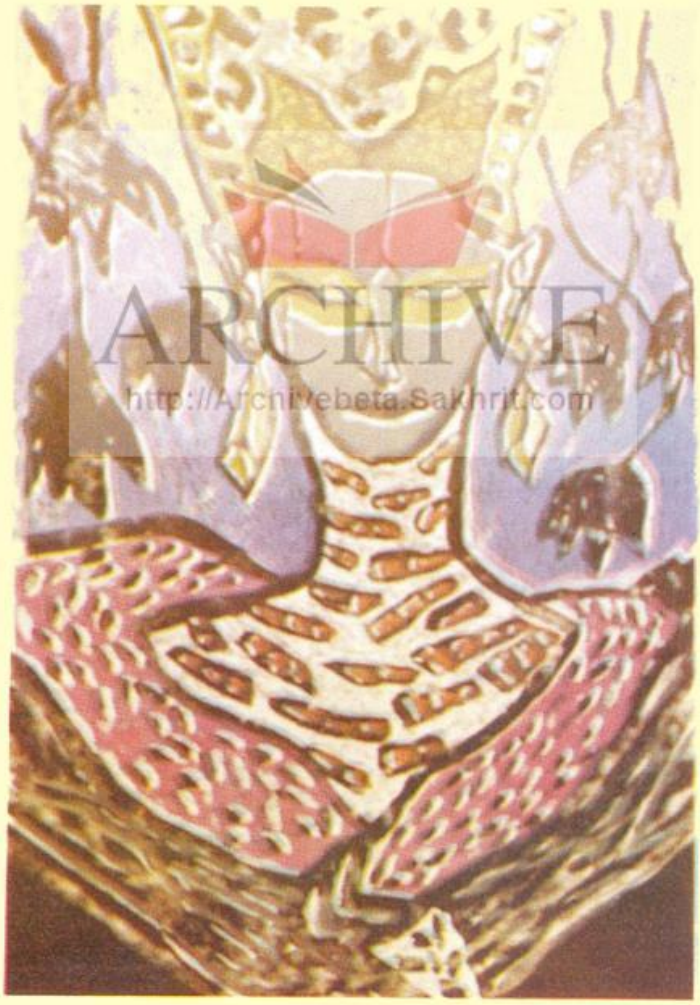

دوسيكا ذاروفيك . صورة شخصية (Portrets Ijiljanima) ، ١٩٨٧ ، طباعة بارزة على الليتوليسوم ،
مقاس : ٧٦ × ٥٦ سم ، مقتنيات الفنانة الخاصة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب